مذكرات مدمن انترنت

بقلم : نسيم نجد

سليمان الصقير

ⓒ سليمان صقير سليمان الصقير،١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصقير،سليمان صقير الصقير

مذكرات مدمن إنترنت./سليمان صقير سليمان الصقير،البدائع،١٤٣٢هـ

٣٥٢ص،سم٢١X١٤سم

ردمك:٤-٨١٢٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١-الإنترنت-الجوانب النفسية ٢-الإنترنت والمجتمع ٣-جرائم الإنترنت أ.العنوان

ديوي٠٠٤،٦٧٠١٩ ١٤٣٢/٧٩٦٨

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٧٩٦٨ ردمك: ٤-٨١٢٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى : ١٤٣٢ هـ/١٤٣٣هـ

تنويه: يمنع نسخ أو اقتصاص أو اقتباس لمادة هذا الكتاب سواء ورقياً أو إلكترونياً أو أي شكل آخر إلا بإذن من المؤلف مباشرة وسوف يقع المخالف تحت طائلة قانون حفظ الحقوق والنشر

حقوق الطبع و النشر محفوظة للمؤلف/سليمان بن صقير الصقير

جوال:٠٥٠٩٥٥٥١٠١

ص.ب: ١٦ القصيم – البدائع ٥١٩٥١

موقع المؤلف على الإنترنت: www.naseemnajd.com

تويتر : al_sugair

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء...

إلى أصحاب الأنفاس الطيبة..أفراد أسرتي..
الذين يدعون لأبيهم صباح مساء..بالطريق السديد..

إلى أخوتي الأعزاء أعضاء الشبكة..
الذين ما فتئوا يطالبونني..بالمزيد..

إلى جسدي الساجد..
الذي يستخير ربه بأن يبين له..السبيل الرشيد.

الشبكة: يقول جيجر:"قل لرجل أنه يوجد ٣٠٠ بليون نجم في السماء وسوف يصدقك، وقل له إن الطلاء الذي على المنضدة لم يجف بعد وسوف يلمسه ليتأكد". لقد صدقنا حرب النجوم التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية على الإتحاد السوفيتي رغم بعدها الفضائي، واليوم نعيش واقع الشبكة العنكبوتية العالمية "الإنترنت"(internet) بعد أن لمسناها بأيدينا. لقد ذهب وتفتت الإتحاد السوفيتي وماتت القوة العظمى التي أقيم مشروع حرب النجوم بسببها وبقيت الشبكة، وكُشف السر الذي أخفي سنين عدة في بطون الساسة وصناع القرار، فحرب النجوم كانت تدار عبر شبكة معلومات خاصة بوزارة الدفاع الأمريكية، وبعد أن انتهت تلك الحرب تم تحويلها إلى شبكة عامة للأفراد في أصقاع الأرض وأطلق عليها اسم "الإنترنت" (internet)، وماهو إلا زمن يسير حتى قطعت تلك الشبكة المحيطات وشقت الصخور العاتية كي تصل إلى كل بيت بل كل شبر من الأرض؛ وكان طرفاً

من خيوطها اللانهائية قد وصل إلى بلدتنا محافظة البدائع (أحدى محافظات منطقة القصيم)، تلك البلدة الساكنة على ضفاف وادي الرمة أشهر وأكبر أودية الجزيرة العربية، المتكئة على الطرف الجنوبي منها على كثبان رمال رامة، عامرةٌ المنازل التاريخية، محط أنظار العشاق من الشعراء الجهابذة، فتلك الكثبان الرملية هي حبيبة قيس ابن الملوح، وأمنية زهير ابن أبي سلمى، وعشق جرير، وقلب الفرزدق وعين الحطيئة. مدينتنا الوادعة ترقد بملء عينيها على بساط أخضر ويحيط بها من كل جانب كما يحيط السوار بالمعصم، فمزارع النخيل والقمح والخضار والبرسيم تمتد مد البصر فتنقي الأجواء من كل شائبة وتغذي النفس بالحسن والجمال وتجلو ما علق بالنفس من الهموم. فمهما هبت صوبها النسمات ومن أي جانب أتتها فإنها تحمل معها نسمات المزارع العبقة لتلامس وجهها الحسن فتوقظها من رقدة الخير والنعيم التي تعيش فيها، فإن هي لم تستيقظ ببرودة تلك النسمات الندية فإنها ستصحو مع إسفار الفجر على زقزقة العصافير وتغريد البلابل والقمري والنحم وأم سالم القادمة من

البراري المحيطة والمزارع القريبة والأعشاش الصغيرة وكأنه عزفٌ موسيقي متكامل خصص من أجل هذه المهمة، وإن كان التعب قد أعياها فلم تسمع صوت التغاريد فإن دفء خيوط الشمس كفيل بردها إلى الحياة من جديد. هذه حال بلدتنا قبل أن تمتد إليها يد التقنيات الحديثة، وهذه حال بيوتنا قبل أن تطرقها خيوط الشبكة، وهذه حياتنا في البلدة وادعة بسيطة قبل أن تجتاحها الحياة الحديثة بحلوها ومرها.أما اليوم فليس لنا خيار إلا أن نركب مركب الحداثة لننشد غداً أفضل، ونضبط أشرعنا كما يقول وودي آلن:"المتشائم يشكو من الريح، والمتفائل ينتظر تغير الاتجاه، والواقعي يضبط الأشرعة".

اللحظة الأولى: تقول الحكمة:"من لا يشرب من بئر التجربة، سوف يموت عطشا في صحراء الجهل". في بادئ الأمر لم أكن أحسب لهذه الشبكة الدخيلة أي حساب سوى أنني اشتركت في خدماتها من باب العلم بالشيء، ومن باب تتبع أثر

كل حديث وعصري يَقدُم إلينا فنستخدمه فترة ثم يصبح قديماً نبحث عن آخر أحدث منه، ومن باب أنه كتب علينا أن نجمع رواتبنا كل الشهر من أجل أن نضعها آخر الشهر في خزينة مروجي الترفيه أو حسابات مقدمي خدمات التقنية والاتصال، ولم أكن أتوقع أن تلك الخطوة المتهورة التي أقدمت عليها بفتح المجال أمام خيوط شبكة الإنترنت لتسكن في أركان بيتي واستأمنتها على محتواه من أنفس بشرية تعيش في أرجائه، أن تكون سبباً لشرارة الإدمان التي كادت تستبيح عروق جسدي، ولم أكن أحسب أن الشبكة قد رَمَت بطُعمها إليّ من أجل أن تسوقني إلى حياة أخرى في مضامينها حياة جميلة جديدة وفي جانب آخر موت ماضٍ في قلبي عزيز، وفي خضم هذا وذاك اختلط على صاحبكم الأمر..أقديمنا أجمل؟ أم أن الحياة الحديثة أكثر جمالاً؟ دعوني أرجئ الجواب حتى ننهي كل حروف هذه الرحلة لتجيبوا بأنفسكم عن هذا السؤال واضعين نصب أعينكم أمراً مهماً من أجل الحكم على الأشياء وهو أن أي أمر لا يخالف معتقداتنا الدينية ويحقق أهدافنا النبيلة وأحلامنا

الجميلة بأسرع وقت وأقل ضرر سيكون هو الأجمل بلا ريب، يقول لانفستون هيوز:"تمسك جيداً بأحلامك، فإذا ماتت الأحلامُ، باتت الحياةُ طائراً بلا جناحين مقيداً على الأرض".

البحث عن علاج: كان السبب في دخولي بعمق إلى الشبكة، أن أصيب ابن أخي بتلف في خلايا المخ أثناء الولادة-شفاه الله-، مما تسبب بإعاقة بعض أطرافه؛ هذا الحدث استوجب أن نبحث له عن مصحة لإعادة تأهيله وعلاج مايمكن علاجه؛ وفي بحثنا عن الخيارات المطروحة التي يمكن أن تحقق الهدف المنشود، فعلمت أن ممن لديهم الخبرة في هذا المجال بعض المستشفيات في جمهورية ألمانيا ودولة التشيك. فما كان مني إلا أن ذهبت للسيد قوقل(google) للسؤال عمن هو الأنسب؟ وأي الدول أكثر خبرة في علاج مثل هذه الحالة. ولأن السيد قوقل(google) لا يعلم مافي النفوس، ولا يقرأ ماخلف السطور، فقد جلب لي النتيجة الأكثر بحثاً من قبل زائريه، وأَجَدُّ صفحاته

عهداً، وذلك بحسب خوارزمية البحث التي برمج عليها، والتي اقتنع هو بها، حتى لو لم أقتنع أنا وأنت بها. فكان أن وضعني اجتهاداً منه – عفا الله عنه– وجهاً لوجه أمام منتدى سياحي. هذا المنتدى السياحي وُضِع في ناصيته الكثير من الصور لمزارات ومعالم دول العالم، ويحتوي المنتدى على بوابات متعددة، وكل بوابة تحكي قصة لأهل السفر عن تلك الدول بالحرف والصورة، فكانت الصفحة التي اختارها لي الشيخ قوقل في ذلك المنتدى صفحة تتحدث عن دولة التشيك. أخذت أقلب الصفحات وأزور تقارير أعضاء تلك البوابة، وأطلع على تجاربهم، وقصص سفرهم، وما واجهوه من مصاعب وما لاقوه من متاعب. فرأيت أن المكان مناسب لأن أسأل أهل الخبرة في تلك الصفحة عن الأنسب في العلاج هل ألمانيا أم التشيك؟ خاصة أن الكثير من التقارير تتحدث عن المصحات العلاجية في تلك الدولة، وعن البرامج المقدمة للمرضى الزائرين من طالبي الاستشفاء من العرب المسافرين. ولكن الشبكة وبرغم قربها مني ترفض أن تجيب على تساؤلاتي إلا بعد أن أسجل في ذلك المنتدى

"منتدى العرب المسافرون"، وأن أختار اسماً جديداً ويسمونه فيما بينهم لقب أو كنية أو اسم مستخدم أو معرف وبحروف الدولة المصنعة (nickname) ومن ثم تُفتح لك مع هذا الاسم أبواب السؤال وتصبح من أبناء الدار ويتطلب منك أن تكون بعد السؤال عضواً فعال..ترددت بالتسجيل..ولكن يتطلب الأمر شجاعة واتخاذ قرار، تقول الحكمة:"ليس البطل أشد شجاعة من سواه، بل إنه شجاع مدة خمس دقائق أكثر من سواه". إن التسجيل في المنتدى لن يستغرق الخمس دقائق التي سوف تصنع بطلاً شبكياً.

اسمي الحقيقي: يقول جواهر لال نهرو":غالبا ما يكون النجاح حليف هؤلاء الذين يعملون بجرأة، ونادراً مايكون حليف أولئك المترددين الذين يتهيبون المواقف ونتائجها". الذي جعلني أتردد بالدخول في عالم الشبكة، أن عالم الشبكة غريب عليّ ولم أعتد عليه، وأنهم كذلك يريدون اسماً جديداً لي؟!..من أجل التسجيل في المنتدى..وأنا منذ أن كنت طفلاً صغيراً ومنذ أن ألهمني

الله- سبحانه وتعالى- تمييز الأصوات وتحليلها، كان هناك اسم يتكرر على مسامعي، عَرفت فيما بعد أنه أسمي الذي أطلقه أبي عليّ عندما قدمت إلى هذه الحياة، ولقد أختاره لي مطابقاً لاسم جدي-رحمه الله -كما جرى بذلك عرف أهل البلد وتقاليدهم، براً بوالديهم وتيمناً بهم. ولأن جدي-رحمه الله- كان يحمل شخصية فريدة محبوبة، ركائزها الخلق الحسن والورع والتقوى، فكانت الدعوات تحفني من كل جانب وفي كل حين بأن أكون خير خلف لخير سلف، وبظاهر الأمر كنت مبتسماً مسروراً لذلك السيل المنهمر من الدعوات، أما في حقيقة الأمر لم أكن أعي تلك الكلمات بكامل معناها وبقدر الحماس الذي أجده في وجوه المتحدثين، وذلك لأنني لم أعايش جدي-عليه رحمة الله- فكانت الصورة التي يتحدثون عنها غير مكتملة في عقلي الصغير، فهي صورة ضبابية لشخصية لها معنى كبير لدى أهل البلد لم يستوعبها عقلي بعد، ومع الوقت وبعد أن كبرت بدأت بتركيب ملامح تلك الشخصية حتى تكونت بوضوح في نفسي وأكبرتها غاية الإكبار.

اسم المستخدم: يقول فيكتور هوغو:"عندما كنت صغيراً، تمنيتُ أن أكون كبيراً، فلما كبرتُ عاودني الحنين إلى شبابي". وأقول إننا قد نتمنى أشياء قد فات أوانها، فلو عادت عجلة الحياة للوراء لم نملك إلا أن نختار ما قدّر لنا، أيضاً قد تمنحنا الحياة فرص أخرى لكي نتحكم في تلك الخيارات فنجد أنفسنا مشدوهين حائرين عاجزين عن عمل ما يمكن عمله برغم أننا كنا من قبل نعتقد بسهولة الأمر. إن اختيار أبي لاسمي في العالم الواقعي لم يكن باختياري كما هو متعارف عليه. كما لم أكن أتوقع أنني في عالم الإنترنت سوف اختار لنفسي اسماً لم أختره بكامل إرادتي..فجأة وجدت أصابعي تتسابق لتكتب حروفاً لم يسبق لها أن طافت بذهني، وتُركب اسماً جديداً لي لم يمر عليّ من قبل، ولربما ظننتم أن في ذلك بعض الخيال، لكن هذه هي الحقيقة؛ فلا يظن أحد ظن السوء بي لقد كتبت أول معرف باسمي (nickname) في عالم الإنترنت باسم "نسيم نجد" فهذا الاسم هطل علي بدون دعاء استغاثة، واختارني بدون أن يقع عليه اختياري، ولما أتى إليّ لم

أهرب منه، بل وجدت فيه ومعه الألفة، والأنس بين حروفه وحين سماعه. يقول روبرت شومان:"هناك شيئان شديدا الصعوبة في العالم: أحدهما أن يصنع المرء اسما لنفسه، والآخر أن يحافظ على هذا الاسم"؛ وبعد أن عقدت مع اسمي الجديد عقد ألفة، أساسه إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، بدأت أفكر أيكون هناك شيء جديد خلف هذا الاسم؟ أم أنه اسم عابر في حياتي لن يكون ذا أثر، أم أنها الحاجة ألزمتني بهذا الاسم وسوف أشد الرحيل عنه بعد انقضاء حاجتي ولا يبقى له في قلبي أي ذكرى..أسئلة كنت أجهل الإجابة عليها!!...وعلى كل حال دخلنا دور المنتديات من أبوابها..سائلاً المولى تعالى خير المولج وخير المخرج، فباسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا..

نسيم نجد: عندما اختارتني نسمات نجد لأقترن بها، وأطلقت علي جميل لقبها أنست بذلك، فكنت أعتقد أن نسمات نجد تعرف أهل دارها وتألفهم فتعطيهم ما يريدون كرماً

منها، ولم أكن أعلم أن كرمها تعدى أبناءها، فنزل حتى وسع من نزل فيها من الغرباء، فلِنجد في وجوه الغرباء صولات وجولات، فقد أعطتهم من كرمها أوفى من ذلك وأجزل، فنفحاتها تبحث عن الرحالة تحت أشعة الشمس في صحاريها الوادعة فتهبهم أرق نسماتها. فهذه الرحالة الإنجليزية آن بلنت (AnneBlunt)حفيدة الشاعر وزوجة الشاعر لامستها نسمات نجد في أحدى رحلاتها إلى الجزيرة العربية، فلم تغادرها تلك النسمات حتى سحرتها بجمالها، فعبرت عن ذلك في كتابها (رحلة إلى بلاد نجد) تحت عنوان (نسيم نجد) قائلة: وفي الوقت نفسه كان أمامنا على أي حال أربعة أيام من الراحة، ومن الهدوء الذي تمنحه الصحراء وحدها، واتفقنا على التمتع بها حتى النهاية، هناك شيء ما في هواء نجد كفيل بأن يبهج حتى إنسان مدان..ومن المستحيل أن تحس –والحق يقال– بأنك مغموم أو قلق مع شمس ساطعة كهذه وهواء نقي منعش كهذا)..[1]

[1] - مقالة عن منطقة نجد في صحيفة الشرق الأوسط العدد ١١٠٠٠مقتبساً من كتاب "صبا نجد"

ولم يكن حال النسمات حديثٌ قريب، ولم يكن تغزل المارين بفيافيها وليد اليوم، فهذا ابن جبير الكناني الذي وصف نجد في رحلته قائلاً(..وما أرى في المعمورة أرضاً أفسح بسيطاً ولا أطيب نسيماً ولا أصح هواءً، ولا أمد استواءً ولا أصفى جواً، ولا أنقى تربة، ولا أنعش للنفوس والأبدان ولا أحسن اعتدالاً في كل الأزمان من أرض (نجد) ووصف محاسنها يطول والقول فيها يتسع). [٢] وحق له أن يتغزل بها فنجد شامخة أنفة، لا تترك زائريها قبل أن يسطروا كلمات الحب والهيام بمقامها، وكلمة نجد تعني الأرض الصلبة المرتفعة، وهي بمقام القلب النابض وسط الجزيرة العربية. ألبستها الصحراء حلة فائقة الجمال، والأودية زيّنت خصرها بنطاق قد أبدى محاسنها، وكستها السماء في صباحها ومسائها بكل معاني الصفاء والنقاء. صيف نجد..نهاره حر شديد، وليله هواء عليل..في النهار لهيب الشمس يلفحنا وفي الليل النسمات تصافحنا. ولا يُحس

للمؤلف محمد الحمدان

[٢] نفس المصدر السابق

بالحسن إلا بوجود الأضداد..وكما قيل وبضدّها تتميّز الأشياء. فهذا زمهرير الشتاء يجفف زفرات الصيف..فالشتاء في نجد شديد البرودة..تجاهد خلاله الشمس لتبقى على العهد القديم، ولكن زمهرير هذا الفصل أقوى من تلك الخيوط الذهبية التي خف بريقها فظهرت على خجل وذهبت على عجل. ليل الشتاء في نجد طويل ويزيد طوله برودته القارسة، وهواء نجد معتاد على معانقة الأجسام، والتقرب من أهلها في كل حين، لكنه هذا الفصل يكون أشد حرصاً وأكثر وفاءً، فلا يقف دونه حائل من الملابس. وشتاء نجد الأليم هو مخاض ولادة الربيع البار، فربيع نجد يحمل كل الحسن والجمال، وفيه الكثير من الخيرات الحسان. فعندما تقبل سحب الجنوب وتلقحها رياح الشرق ويجود صاحب الكرم والجود -سبحانه وتعالى- بالأمطار على أهل البلد، فترى الجداول تتجمع، والتلاع تجري، والأودية تسيل من أعالي نجد وتصب في أطرافها، فتأخذ الأرض زخرفها وتتزين بكل زهر بهيج، وتلبس الأرض ثوبها القشيب فتنبت أعشابها. والأشجار تورق وتجري الحياة في أعذاقها، فلا يبقى دار

وبر ولا مدر إلا غشيتهم أفراح الربيع، ولم تبقى نفس رطبة في بيتها أو فلاتها أو في جحرها إلا ابتهجت بذلك الحسن..أعلم أن النسمات قد حملتني بعيداً عن لب الموضوع ولكن هذا حالها تسحر ألباب المتحدثين عنها وتذهب بعقولهم وتلهيهم عن مرادهم..وما أنا إلا جزء من قول مارتن توير:"الحب! يا له من مجلدٍ في كلمة، ومحيطٍ في دمعة، وسماءٍ سابعة في نظرة، وعاصفةٍ في زفرة، وألف عامٍ في لحظة".

سمعة الشبكة: يقول وايدفيل:"الحكماء أفواههم في قلوبهم، والمجانين قلوبهم في أفواههم". إن الحُكم المقدم على بعض وسائل التقنية، أو الإصغاء إلى من يُصدر الأحكام ضدها من بعض ممن لم يحيطوا بها علماً أو يكتشفوا أسرارها ويسبروا أغوارها، ولم يبحثوا في مجالات استخدامها الاستخدام الأمثل، قد يثير في النفوس حرباً شعواء ضدها، وقد تظهر في نظر الكثير من حولهم بأنها داء يجب أن يقتلع من جذوره. ومن عجيب ذلك أنني

التقيت ذات مرة بأحد المعارف ودار حديث بيني وبينه عن متغيرات هذا العصر وآثارها على الأجيال، فقال أنني وبحمد الله لا أمتلك استراحة ولا أشارك بالإنترنت ولا أستقبل الفضائيات، وكأنني سألته عن الموبقات الثلاث، وكأنه أراد أن يثبت لي أن قلبه ويداه لم ولن تتلطخان بما يجري في هذا العالم اليوم، فقلت له إنني على هدى النبي محمد صلى الله عليه وسلم..أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء وأمتلك استراحة ولدي انترنت وأستقبل المفيد من القنوات.

إن عجلة التقدم آتية بقوة مخيفة وبسرعة فائقة فمن أراد إيقافها دهسته، ومن هرب منها لحقته، وليس أمامنا إلا أن نتدارس كيفية التحكم بدفة قيادتها وتوجيهها التوجيه الصحيح المناسب. أما من يريد أن يصم أذنيه ويعمي بصره عن العالم من حوله فله أن يتكبد الخسارة العظمى بالعزلة الاجتماعية، أو يعيش في ثلاجة حتى درجة التجمد، فتُجمد كل أحاسيسه فلا يستطيع أن يرى أو يشعر بما يجري من حوله، وإن لم ترق له الطرق السابقة، له أن يعيش وسط خِزانة فولاذية مغلقة بمفاتيح تنوء بحملها العصبة أولوا القوة، حتى

يكون بمنأى عن المؤثرات الخارجية، وليضرب بينه وبينها سوراً له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وليعش داخل هذه الخزانة ليستمع همس من حوله عن فوائد التقنيات الحديثة دون أن يستخدمها أو يفقه عنها شيئاً، ومع ذلك ليست التسمية أو الجهاز هو الذي يقودنا أو يتحكم في أفعالنا بل معايير الإيمان والقيم التي نملكها هي التي يجب أن تتحكم بتلك الأفعال وتسيرها وتوجهها، وليس الانضمام لاستراحة أو النفور منها هو من يجعل المرء صالحاً أو سيئاً، وليس خط هاتفي ينقلك إلى عالم آخر هو بالضرورة من ينقلك من زمرة المتقين إلى زمرة الفاسقين، وليس صحن دائري يجعل المرء في عداد من ضيعوا الدين، بل إن الأرض والسماء مفتوحتان الآن لكل التقنيات والأطياف المستحدثة والتي تتصادم عند أبواب بيوتنا أيها يطرق الباب أولاً، إن كل ما نحتاجه مرشحات دينية نسترشدها بطريقة هادئة متعقلة قبل أن نجعل بيننا وبين هذه المستحدثات مرشحات مبنية على نظرة سوداوية أساسها التكهن بضررها أو توجس الخوف ممن حولنا منها، إننا لن نستطيع منع هذا

السيل المنهمر من المستحدثات بالتبرؤ منها والتعوذ منها صباح مساء، بل ببناء جدار تربوي متين في نفوس الصغار، لا جدار من الخوف متهالك تبعثر حبيباته أي ريح تغريبية، وتنسفه أي موجة تخريبية..يقول ابراهام ليكولن:"لايمكنك الهروب من مسؤولية الغد بتجنبها اليوم". بل يجب الأقدام اليوم قبل أن يقع الخطر غداً.

عالم الحرية: يقول مثل ألماني": الزمن يدمر كل ما هو قائم، واللسان يدمر كل ما سيقام". كانت ألسنة الناس تلوك في عرض المنتديات، حتى أصبحت رؤيتي مشوشة لهذا لعالم فقد مسها ما مسها من حديث الغير عنها، وتأثرت بما يُكتب في بعض أروقة الإنترنت عن عالم المنتديات بالأخص، وكان أشد ما علق عنه بذهني هو أنه عالم تُزهق فيه الأوقات اختياراً مع سبق الإصرار والترصد، ومكان قد ضل فيه الرقيب وبشكل يجعل المرء لا يتوقف أو يتعفف أو يتخوف أو يتردد في الحديث عن أي شيء يريد، وأنه أيضاً مكان بعيد عن الحياة الواقعية إلى حياة أكثر

انسلاخاً وانطلاقاً، مكان يسمح فيه للمرء أن يكتب في أي مجال وبدون أي قيد أو شرط وبدون أن يقف في وجهه عائق أو يصده حاجز، أو يثنيه عرف، أو يردعه دين، أو حياء، ففيه عالم من الحرية، حرية بلا حدود، حرية بملء السمع والبصر، إنها حرية وأي حرية، حتى الذين لا يعرفون من الحرية إلا اسمها فهي مكان مناسب لهم ولها، يتغنون باسمها صباح مساء حتى تمقتهم ويمقتونها، هذا هو عالم المنتديات يختلط فيه الواقع بالخيال إلى درجة الخبال، وهو عالم قد يتحول فيه الذكر إلى أنثى والعكس محتمل بل يكاد يكون مؤكداً وبشكل ممل، هذه نظرتي للمنتديات قلتها بتجرد قبل أن أقدم رجلي وأدخل بجسمي إلى دهاليزها، وقبل أن أكتب حرفي وأضع عنها إصرها وأغلالها، وعندما كتبت سؤالي الآنف الذكر بالاستفسار عن أي الأماكن أفضل لتلقي العلاج في ألمانيا أو التشيك..كنت أخشى أن أسقط بيد من يعتبرون التستر خلف أسماء وهمية هو خروج من الواقع، وبعد عن المبادئ، ونزهة مع النفس الشريرة بكل حالاتها، وتنفس عفن من أجواء الحرية الممقوتة، فالبعض يتلون

بألوان، ويحتجب بأقنعة، فينزع القناع متى شاء ويلبسه عند الحاجة، ويتحول من جنس إلى جنس متى أراد، ويكتب ألف قصة ويروي ألف حكاية كل منها يناسب المقام الذي تقال فيه وإن اختلفت في مبادئها وقيمها، إنني كنت أعُدُّ من يستخدم الاسم المستعار – كالتيس المستعار – من أجل أن يحلل له الرجوع إلى طليقه من سيء الأقوال والأفعال في عالم الواقع فيبيحه له في عالمه المستعار، ولقد خشيت أن تزل بي قدم بعد ثبوتها وأن يجرفني تيار هؤلاء القوم الذين سمعت عنهم ومررت على بعض حصونهم، ولكن كانت المفاجأة أن جرفني نهر العطاء إلى البحر المعطاء، وإلى ساحة محيط الحب الفياض، وميادين الإبداع منقطع النظير. فعلمت أن الحكم المقدم هو ضرب من الجنون، وعرفت أن أجمل الفنون تكمن في مخالفة المألوف، وعلمت أن الحاجة هي أم وأب الإبداع، وعلمت أن الحياة في هذا العصر مفتوحة الأيدي لتستقبل كل من يريد أن يقدم نفسه أو يقتل نفسه أو غيره، وأن الأماكن التي ملؤها السوء قد تكون هي بنفسها أماكن يعيش الحُسن في جنباتها..إن الحياة

صعبة..بل هي صعبة جداً وبقدر صعوبتها يكمن جمالها..يقول ديل كارنيجي": اصنعْ من الليمونة المرة شراباً حلواً". شراباً يسقيك أنت وقد يسقي كل من حولك،..ولعلي أقف هنا ساعة صمت..ليس حداداً..بل خشية أن أكون قد وقفت فيكم خطيباً، ولا أحب أن أظهر بهذا المظهر فالناس قد ملوا من كثرة التوجيهات الحرفية والصوتية، فالأعلام المرئي والمسموع والمقروء والمربّون في كل ميدان لم يقصروا بسكب المادة الإرشادية الجافة وصبها في آذان الناس كل ثانية بكم هائل من التوجيهات والكثير من الأوامر التي تبدأ بإفعل أولا تفعل، حتى أصبح أغلب الناس يحفظون الكثير من الخطب الرنانة لكل مناسبة ولكن لا يجدون التصرف المناسب لأي مشكلة صغيرة مفاجئة، وذلك أن الموجهين يمطرونهم بوابل من الكلمات الخالية من الحلول العملية. والكثير من الخطب تصل إلى السمع وتضل طريقها إلى القلب، فقد تذهب إلى أي مكان إلا أن يكون القلب والعقل مستقراً لها. فأصيب الناس بزكام إرشادي وأنفلونزا

دائمة من كثرة النصائح الصالحة لأي شيء إلا أن يبدأ المرء بتعديل حياته أو تغيير مساره.

اليوم والرقم: تقول مدام كوري:"على المرء أن يجعل حياته حلماً، ثم يجعل هذا الحلم حقيقة". في تاريخ ٢٠٠٤/٧/٤ سجلت بمنتدى "العرب المسافرون" فأعطوني رقم عضوية يتكون من أربعة أرقام(٩٠٠٦)، وذلك يعني أنني أصبحت معترفاً به في هذا العالم، وهو رقم عبور لغياهب الشبكة وجواز سفر لعالم آخر، فكان حرياً بي أن أبحث مع العم قوقل (google) عن الأشخاص الذين يحملون اسماً مشابهاً لاسمي "نسيم نجد" فلم أجد في تلك الفترة أي شيء يذكر، فأعجبني هذا الأمر..فجميل أن تكون من أوائل من زرع ذلك الاسم في عالم الإنترنت، وأن تكون مميزاً بهذا الحسن. بعد أن ودعت العم جوجل كما يطلق عليه في بعض اللهجات بإبدال القاف جيماً. ذهبت لأكتشف عالمي الجديد فوجدت أن ألوان أسماء الأعضاء مختلفة فمنها الأحمر ومنها

الأخضر والأزرق ومنها ماهو السواد الأعظم بلون الأسود، وعلمت فيما بعد أن الأحمر هم المدراء ممن أدمنوا الإنترنت فكأن اللون الأحمر يدل على أنهم عشقوا الإنترنت حتى سرت في دمائهم وتلونت بها أسماؤهم، أما الأعضاء الخضر فهم المشرفون والمشرفات ممن أعطوا الضوء الأخضر من المدراء لأن يقوموا بتنظيم البوابات والأشراف عليها وتشجيع الأعضاء من الكتَّاب في بواباتهم..إن الطاقم الإداري هو ميزان النجاح لأي منظومة ومنها المواقع الإلكترونية، ومن عوامل نجاح المنتديات أن يتكون الطاقم الإداري من أشخاص يحملون التنوع الإداري المطلوب بإدارة المواقع، فيكون أحدهم على دراية كاملة بالدعم الفني، وصيانة الموقع، ومراقبته من الاختراقات، وصد أي هجوم عليه من قبل المخربين، وأن يكون أحدهم ذو فكر يعي الحاضر ويقرأ المستقبل، ويخط الخطط، ويبعد في التفكير حينما يكون تخطيط الآخرين قريباً، ويقترب من الفرص وينتهزها حينما يطمحون بعيداً، وأن يكون أحدهم ممن لديه فراسة بالأعضاء، وقراءةٌ لما بين سطورهم، وماتحتها، ومافوقها، وذلك من

أجل التمييز بينهم، فيشجع المميز منهم ويدعم موقعه بنتاجهم، أو من أجل متابعة السيئ منهم والتنبُه له والتنبيه عليه، أو من أجل اختيار المناسب منهم في الأشراف على البوابات أو المراقبة. ويحسن أن يكون هذا الشخص ذا قبول لدى الجميع ومشارك في الكثير من الموضوعات. وعلى المجموعة الإدارية بكاملها أن تكون قادرة مادياً لسد الاحتياج السنوي من أجارات مواقع التخزين، أو صيانة الموقع، أو شراء البرامج المهمة. كذلك أن يكون للمجموعة مبادئ مشتركة تسير عليها، ونهج لا تحيد عنه، حتى يتعارف الأعضاء على سياستهم فيسير الأعضاء الجدد على ما وجدوا عليه من سبقهم من إخوانهم. ومتى توفرت هذه الأركان الأربعة في أي موقع، مع الصبر والمثابرة فنجاح الموقع متوقع بل بإذن الله متحقق، لأنهما والدا النجاح كما ذكر أولمان:"المثابرة والصبر هما والدا النجاح".

رحلات الأعضاء: يقول تولستوي:"أعطني سريراً خالياً وكتاباً تعطني السعادة". ليتك رأيت ما نرى ياتولستوي،

شيئاً يفوق الخيال!! تسافر حول العالم وأنت مستقرٌ في بلدك وجالس في بيتك وبين أهلك، فتطلع على تجارب الرحالة ورحلاتهم وتستفيد من خبراتهم وتنهل من علمهم وذلك عبر ضغطة زراً طرفه هنا وطرفه الآخر هناك، فالتقارير تحكي لك قصة السفر بالحرف والصورة، وتجلب التفاصيل، ويخبرك الأعضاء المسافرون إلى أنحاء العالم بكل دقيق وجليل من أمور رحلتهم، فهم يصفون رحلاتهم بدقة ومهارة..فتارة..تمشي بمعيتهم وسط الغابات فتظلم الدنيا عليك من تماسك الأغصان من حولك، وتارة ترفع قدميك لتعبر جدولاً يمر من بين سوق الأشجار خشية أن تبتلّ، وتغمسهما في حين آخر من أجل أن تتنعم ببرودة النهر المنسكب من أعلى الجبل، وتلتفت يمنة ويسرة لتسمع تغريد الطيور وحفيف الأشجار وجريان الأنهار، وعلى حين غرة تسقط قطرة ندى فتلامس جسدك فتبلله. وأما رحلات المغامرات فتشعر بالخوف عندما يقص الرحالة حالهم في رحلات السفاري وكيف أنهم يقتربون من الحيوانات المفترسة خلال تلك الرحلات والتي يقومون بها وسط الأدغال والأحراش، ثم ينتقل

بك كاتب آخر فتشم عبير الزهور عبر حديقة يصفها ويصُفّ حروفها بإتقان بديع عند حديثه عن حسنها، ثم تنتقل لتقرير ينقل لك الخبر عندما يصعد كاتبه إلى قمم الجبال فيكون الكون كله بياضاً ناصعاً ببياض الثلج الذي زينت به تلك القمم فتشعر بالنقاء والصفاء، ولكن لا يمنع هذا أن يتسلل البرد إلى أطرافك فتتوق نفسك أن تحتسي القهوة من بين يدي كاتب السطور عندما يقول عبر تقريره: وتناولت كوباً من القهوة لأطرد برد القمم، ثم يسير مسافر آخر مهتم بالمدن والمعالم ويزور بك المعالم وينشر المعلومات عن تاريخها وطولها وعرضها ومن الذي بناها؟ ومتى كان هذا الأمر؟ ثم يزين تقريره بالصور، ويحدثك محدثهم فيقول لك من القلب للقلب أن تجربة سفره لم تكن كالتي كان يخطط لها فتبد وعليك علامات الحسرة والندم وتقف حزيناً وكأنك تشد من أزره وتواسيه في مصابه، ثم يكمل ويبين السلبيات التي وقع فيها فيحذر منها بقلب ناصح محب، فتنتقل من هذا التقرير المحبط لتقع بين يدي شخص آخر يتحدث وهو فرح مسرور يريد أن تشاركه السعادة والسرور عبر

رحلة شهر عسله مع زوجته وساكنة قلبه، فهو يحكي لك قصة من قصص ألف ليلة وليلة، ويكتب بحبر السعادة كل لحظات الحب والهناء التي قضاها في أرجاء البلاد التي زارها، فتجد أن لسانك يلهج له بالدعاء والتوفيق والسعادة لقاء إشراكه لك لحظاته السعيدة، هل تنتهي الحكاية..لا..فهناك مغامر آخر ترك كل البلاد التي يتجه إليها عامة الناس وزار منطقة جديدة، فيحدثك عنها حديث الفاتحين، وينقل لك عنها الخبر اليقين، ويوثق المعلومة، ويزودك بالمصادر، ويدل المعجبين بالرحلة بكيفية سلوك هذا السبيل، فتأخذك الحماسة وتتمنى أن تتصل على أقرب وكيل سفر كي يتمم لك إجراءات السفر إلى تلك البلاد الموصوفة. يقول المنفلوطي:"الكاتب كالمصور، كلاهما ناقل، وكلاهما حاكٍ، إلا أن الأول ينقل مشاعر النفس إلى النفس، والثاني ينقل مشاهد الحس إلى الحس". إنه عالم مليء بالإثارة والتشويق..فسحرهم لا يقاوم، وتجاربهم قيمة تحتاج إلى أن يفسح لها المجال في عالم الواقع، ومواهب في السرد والكتابة تجعل المرء يقف مندهشاً لماذا تستتر تلك الإبداعات خلف الأقنعة،

فمثلهم يجب أن يظهر ويستتر من أمتلك أعمدة الصحافة بصك دائم وعلى مدى العمر حتى لو أنه بلغ من العمر أرذله وبدأ يهذي ويحبوا على أربعه..أيضاً في جانب آخر أتمنى أن يكون هناك هجرة معاكسة فإنني عندما أستمتع بهذه التقنية أتمنى لو حازها ابن بطوطة وماجلان وغيرهم من الرحالة، أو جرى استخدامها بشكل فعال في الحياة لمعاصرة من قِبل الرحالة في الوقت الحاضر من أمثال محمد بن ناصر العبودي أو أنيس منصور وغيرهم، حتى يستمتع المرء برحلاتهم على الهواء مباشرة، ويعيش معهم عبر التقنية الحديثة، ولقد كان لي لقاء منذ فترة قريبة مع الرحالة الشيخ محمد بن ناصر العبودي ولدقائق عدة، وكنت قد وضعت في ذهني أن أطرح عليه فكرة الكتابة عبر الإنترنت بحيث يفتتح لنفسه موقعاً شخصياً يكتب فيه كل رحلاته، أو يشارك في المواقع والمنتديات التي تهتم بذلك، ولكن لم تكن تلك الدقائق كافية لأن أخوض في تفاصيل مثل هذا الموضوع المهم بالنسبة للرحالة. وهنا أجدد الدعوة إليه والتي قصر الوقت عنها في لقائي معه، فأتمنى عبر هذه الحروف أن يصل إليه

صوتي وإلى غيره من الغائبين عن عالم الشبكة فينزل الرحالة إلى ساحة الإنترنت الفسيحة، لأن الإنترنت تقرب البعيد، ويصل إليها من كان خلف الحدود، ويجد الباحث عن المعلومة ضالته بكل يسر وسهولة. إن النشر عبر الإنترنت لا يوازيه أي نشر من حيث سرعة الانتشار وخاصة من كان لديه تميز وتخصص. ولقد قرأت روايات منشورة في بعض مواقع الإنترنت يصل عدد زوارها قرابة الأربعة ملايين قارئ برغم أن كاتبيها قد استتروا خلف أسماء مستعارة، لازلنا نجهل الكثير منهم؟. فهذا رقم من الصعب تحقيقه في أرض الواقع لكل كاتب، أو يكاد يكون من المستحيل أن يحصله كل ناشر عبر دور نشر الكتب والتوزيع المتعارف عليها.

> **وصف الرحلات**: يقول هيرمان ألتيس، سفير أمريكي:"لا يكفي أن تتوفر لديك عناصر نجاح اللعبة،

ولكن يتعين عليك أيضاً أن تعرف كيف تلعبها". منذ أن سجلت في المنتدى فأنا أقلب صفحاته كطفل صغير قد فرح بأول يوم من

أيام الدراسة، فبين يديه كل أدوات الكتابة، ولكن لا يعرف كيف يستخدمها أو متى يستخدمها؟! وكأنني أنتظر شرارة البدء لتوقد شعلة الحياة في نفسي، وتوقظ الحرف في قلبي، فإما مِن معلم يمسك بيدي، أو مِن مقيم يتكرم على عابر السبيل فيرشده إلى الطريق السوي لبدء رحلته في هذا العالم، إنني أنتظر لحظة القدر المقدرة لكي أنطلق إلى عالمي الجديد عبر خطوط الشبكة، ولكن ليس لي حتى تحين ساعة الصفر إلا أن أتسلى بلحظات الانتظار وأعيش كامل جزئياتها، أحاول أن أقرأ كل الحروف، وأتصور نفسي مكان هذا العضو أو ذاك من واصفي الرحلات، كل شيء يبدو جميلاً في عالمهم، تصوير الأحداث من قبلهم يبدو في نظري شيئاً يدعو للتأمل والتساؤل كيف تكونت لديهم القدرة على وصف رحلاتهم من أولها لآخرها بعرض رائع وتسلسل منطقي جذاب، وطفت طويلاً في كافة أرجاء المنتدى فوجدته يوافق ميولاً في نفسي، ويتحدث عن السفر وقصص المسافرين والتي لها مكانة خاصة عندي، ولكن وجدت شيئاً ملفتاً للنظر وهو أن لهم طقوساً معينة

وطرائق خاصة بسرد رحلاتهم، فهم يعتمدون على الصور المصورة من قبل الأعضاء عن المناطق التي زاروها، ويصورون كل صغيرة وكبيرة أتوا عليه من رحلاتهم، فلا غرابة أن وجدتهم يصورون حتى بيوت الراحة في المساكن التي يسكنون فيها، ولا يهملون شأنها لدى مقارنتها بين فندق وآخر، فهذه أرضياتها رخامية أما في الآخر فقد لُبس بالسيراميك والقيشاني وهذا فارق يستحق الذكر عند هذا السائح أو ذاك ويزيد أو ينقص من قيمة الفندق ومكانته، ولكي يقدم دليلاً على صحة كلامه فإن عين العدسة هي الشاهد فهو قد تفنن بتصوير زوايا عدة لبيت الراحة وللمرحاض الذي يحتويه، أو لذلك المغطس أو لأرضيات تلك الحمامات؛ لم يكن الأمر مستساغاً عندي في بادئ الأمر، ولكني وجدته منطقياً عندما يدعم السائح حديثه بالصور، وأن يثبت صحة تقريره بكم هائل من اللقطات، أو أنني قد أقنعت نفسي أن الأمر منطقي، من أجل أن لا أعود من حيث أتيت، فأخرج من المنتدى بخفي حنين بعد أن سجلت فيه. ولم يكن هناك ما ينغص علي ألفتي مع هذا العالم إلا

سرعة الإنترنت في ذلك الحين حيث كانت بطيئة تنافس السلحفاة في بطئ سيرها، وإذا شئت قلت..كبطء الترقيات لموظف مجتهد مجد ولكن ليس له أقارب من بعيد أو قريب في عالم الواو العجيب، إن الصور التي تزين التقرير تظهر لي بطريقة تثير الأعصاب، فهي تنزل على دفعات وبالقطارة، فكأنها تتعامل مع تقنية الساعة الرملية، فهي تنزل في صفحات المنتدى من أعلى لأسفل وكأنها ستارة قد تعطل محركها فأصبحت تنزل ببطء شديد، هذا الأمر كاد أن يقتل الحماس في نفسي، وأوشك أن يصرفني عن المنتديات بشكل عام، لولا أنني علمت في قرارة نفسي أنه لا يعدو كونه اختبار تحمل وقياس لمدى الصبر على مثل هذا الأمر؛ علماً أنه..ولحسن الحظ ظهرت بعد فترة قصيرة خطوط الأرانب السريعة، حيث غزت خطوط DSL البيوت وأصبح الوضع أسرع وأفضل.

أول حرف: تقول الحكمة:"لا داعي للخوف من صوت الرصاص، فالرصاصة التي تقتلك لن تسمع صوتها". ليس

لي اسم مشهور في عالم الكتابة حتى أخاف من هدمه، وليس في نيتي كتابة ما لا يليق وأخشى أن ينكشف اسمي ذات يوم فأخجل منه. لذا كان صوت المبادرة ونداء الكتابة يعلو صوتهما كل صوت، فالنجاح لن يتم إذا لم يكن هناك مبادرة جادة، فخطوات الكتابة تبدأ من أول حرف أخطه في صفحات هذا المنتدى، ولأجل ذلك بدأت باسترجاع الماضي لأشحذ همة النفس وأبني المستقبل المرجو، أخذت أقلب ذاكرتي هل لي هناك ما يشفع لي في عالم القرطاس والقلم، مما يحفز نفسي فيقدمها لخوض هذا البحر المتلاطم. فتذكرت مقالة غابرة كتبتها منذ سنين بعيدة بعثت بها إلى مجلة كويتيه تهتم بالتقنية، فنشروا كامل المقالة التي شغلت صفحة من ذلك العدد، وراودتني النفس بأن القائمين على تلك المجلة لديهم فراسة بالأفذاذ من الكتاب، فإذا هم أجهل من يعلم بحال هؤلاء الأفذاذ!!إذ كانت مقالتي تلك سبباً في إقفال باب مجلتهم أبد الدهر. فقد توارت المجلة عن الأنظار وأقفلت المجلة أبوابها منذ ذلك التاريخ، ولم تظهر على الساحة منذ أن نشرت مقالتي المباركة على

صفحاتها، أصبح تاريخي في الكتابة مقالاً في مجلة منقطعة لأسباب مجهولة..ولكن نفسي الطموحة لم تقف عند هذا الحد، بل ذهبت لتبحث في طرقات الحياة عن سبيل قد سلكته ونسيته، وفعلاً لقد تذكرت شيئاً مهماً في حياتي الكتابية، فقد اشتركت في إعداد أحد المقررات العلمية، وفرحت أن تذكرت هذه الخطوة، فأن يكون لك يد بيضاء في التربية والتعليم فهذا شيء يزرع الفخر في النفس ويجعلك تقدم على أي عمل بقلب رابط الجأش، ولكن يالسوء الحظ إذ لم تمتد هذه اليد طويلاً لتصل إلى منيتها..لقد قُرر في السنة نفسها أن تبدل المناهج، ولم تقر عيون الطلاب بالاطلاع على حروف صاحبكم، وبرغم أنها خيبة أمل كبيرة لي، ولكن لعل الله كتب الخير للطلاب وللأمة أجمع أن لا يكون مؤلف المناهج هو صاحبكم الضعيف، نسأل الله العفو عنا وعنه وعمن ألغى المناهج التي حملت الأمل لي قبل طلابي. خلاف ذلك لم يكن لي إلا مقالات مطولة أكتبها في ذهني وأختزنها فيه عندما أختلف مع رئيسي، أو عندما أذهب لأنجز معاملة حكومية ويقف الموظف

المتعنت فيمنع أن تأخذ المعاملة مسارها الطبيعي فأذعن له (مرغماً أخاك يابطل)، فأفسر ذلك التسلط بأنه من باب حرية التسلط ليس إلا، فما يكون مني من أجل تفريغ الشحنات التي ضاق بها صدري، ولا يستطيع أن يفصح عنها لساني، وأحملها في قلبي وأخشى إن وصلت البيت وهي معي أن أفرغها في وجه أطفالي، فما من حل إلا أن أكتب مقالاً ذهني شديد اللهجة موجهاً لمسئول تلك الدائرة، وهذا المقال الذهني أنا كاتبه وأنا كل قرائه، ثم أختم تلك المقالة الذهنية بتهديد شديد لكل من في الدائرة بالرفع للمسئولين الأعلى منهم بمقال ذهني أكثر حدة من ذلك المقال إذ لم تعالج هذه المشكلة الطارئة، على كل حال لا تغشاكم الرهبة مني أن هددت وتوعدت فأنا من لا ينطبق عليه القول "القلم راقد في الأفئدة، مستيقظ في الأفواه".فليطمئن الجميع وليطمئن الموظف المستهتر إلى أن قلمي في مجال الواقع يغط في سبات عميق، حتى أنه لن يُشغل مؤقت الاستيقاظ على الوقت المحدد، فهو راقد في الفؤاد أغلب وقته

ولن يظهر في الأفواه، وإن استيقظ مرة فهو من أجل أن (يتمغط) ويستعد لنوم أكثر عمقاً.

خوض المعركة: يقول المثل صيني:"إن أريج الزهور يلتصق دائماً باليد التي تقدمها". كان أملي أن أسبغ يدي بأريج الزهور، وأمني النفس بتقديم كل ما هو مفيد ومميز عبر عالم الشبكة، لقد أردت أن ينتقل عبير هذه الزهور ليس فقط من يدي إلى أيديهم، بل أردته أن يصل من قلبي إلى قلوبهم فينتشر في الكون أجمع، لقد سعيت بأن تزهوا الحروف بألوان الزهور فتنبت حياة مليئة بالسعادة، ولكن ليست كل الأماني سهلة التحقيق، أو دعوني أقل بشكل أدق: أن الأماني يجب أن يسلك لها الطريق الصحيح لتتحقق وتثمر..ها قد تَحَرك باعث الكتابة عندي فبحثت عن صور ورحلات قديمة لعلها تكون مناسبة للطرح في المنتدى، ولكن كانت الصور التي لدي هي نتاج الكاميرا العادية والتي لا يتعامل معها الإنترنت بخلاف الكاميرات الرقمية الحديثة، كذلك لم

يكن من السهل أن أتذكر المعلومات وتفاصيل الرحلات التي مر عليها زمن بعيد ومثلي تحرجه ذاكرته دائماً. فآثرت أن أكتب في موضوع عام، وكان الموضوع الأول الذي وقعت عليه باختياري أو سقطت بحباله هو(تعدد الزوجات) وهو بمثابة النظرة الأولى للقارئ، وسوف يقترن به المثل السائر أن (الحب من أول نظرة..وقد يكون البغض كذلك) دعوني أقل: لم يكن اختياري للموضوع موفقاً..بل لم يكن موفقاً (البتة) إني بهذه الكلمة أكاد أعلن التوبة والتراجع الكامل أمام القراء السابقين والقراء المعلقين على هذه السطور..وللقارئ أن يختار أي كلمة تكون أكثر منها قسوة..لقد اخترت موضوعاً شائكاً، قد أُصبت بشوكته قبل غيري، ووجهت عيون الأعضاء إليّ وألتفت تلك الجموع تستنكر وتستهجن هذا القدوم غير المبارك وكأن الجموع تردد مقولة سينيكا:"الحظ قد يجعل الإنسان غنياً، ولكنه لن يجعله حكيماً". نعم لقد جلب لي الحظ الزوار فأصبحت غنياً بزياراتهم المتكررة للموضوع وضج المكان بصوت المعارضين ولكن لم أكن حكيماً إطلاقاً في اختيار نوع

الموضوع، وبالطبع ليس هذا الموضوع سياحياً فيناسب مقام المنتدى، ولذلك وضعته في الصفحة العامة والتي تستقبل كل مقال ليس له في المنتدى أي بوابة، وهذه البوابة هي أكثر البوابات استقبالاً للمتصفحين، فكل أعضاء البوابات الأخرى يطلعون على ماينشر في تلك الصفحة، فكانت فضيحتي في (جلاجل). وكان الهدف من طرحه أن أبين السبيل في تحقيق التوازن بين من اختار لمثل هذا الزواج، ومن تأثر من مثل الزوجات بمثل هذا الاختيار، وبين حاجة المجتمع للتعدد وتأثر المجتمع بمثل هذا التعدد، فكان النقاش حاداً من قبل بعض النسوة، حتى كدت أسمع تمتمتهن من خلف الشاشة- طبعاً بالثناء والتقدير لي-. وأحسست بأن أيدي بعضهن تريد أن تصل إلى رقبتي فتقصفها ثم تقصمها فتجعلها عبرة لمن يعتبر ومن لا يعتبر. إن النظرة الأولي التي كونتها عن نفسي لم تكن موفقة، ولكنها قد تكون لملمت بعض العيون على الكاتب الجديد الذي أراد أن يدخل بموضوع شائك ويدخل مجموعة أخرى معه في هذا النقاش الحائر، ولكن بحمد الله لقد انتهى هذا بسلام، وأنني بخير وبصحة

وعافية فأنا أمامكم حي أرزق وأكتب السطور في هذا المقام ولم أمس بشعرة. ولقد تعلمت من ذلك المقال أن الحوار في الإنترنت متشعب ولا ينتهي، وأن الرأي متعدد، ومخالفتك متأكدة، ولكن كيف تقف في المنتصف؟ وتبين الحق وبدون أن تستأثر لرأيك فتنتهك حق الآخرين، وكيف تقف مع نفسك أيضاً وتعرض رأيك بدون أن تحجم الطرف الآخر؟ المشكلة التي تواجهنا غالباً أثناء الحوار أننا نبني الظن السيئ على كل كلمة يقولها المحاور، أو أننا نجهز الرد أثناء حديث المحاور ولا ننتبه لكلامه، فيهمنا متى يصمت حتى نردعه بالأقوال المجهزة سلفاً، كما أن نقاط التلاقي ننساها أثناء الحوار وقد نكون متفقين في بعض هذه النقاط ولكن لأن لغة الحوار لم تكن صحيحة فيظهر للمتحاورين أنهم مختلفون. كما علمت أن الحوار في الإنترنت له بداية وليس له نهاية فمن دخل في الدوامات الحوارية فسوف يستمر أبد الدهر بالأخذ والرد..وخلصت في النهاية أن الحكمة غالباً تحضر متأخرة، فهي تحضر عندما تنتهي الأزمة، لأن الحكمة تخرج من بطن الخبرة والخبرة تبنيها الأزمة، وهناك فائدة

خاصة وهي أن الحوار مع النساء بالتعدد كمن يقنعهن بجمال الموت وسكراته، قال هيوستن:"عندما تكون لمتصفك في فك التمساح، يكون من الصعب أن تتذكر أن غرضك الأساسي كان تجفيف المستنقع".

مدينة بون الألمانية: يقول بيرون:"أحسن وسيلة للتمتع بالسعادة، هي أن تشرك فيها غيرك". نعم إنها القاعدة الذهبية التي سوف أسير عليها في خطواتي القادمة، وهذه النظرية هي التي ينتهجها جميع الأعضاء في كتابة تقاريرهم السياحية في المنتديات السياحية. ففي صيف عام ٢٠٠٤م كانت أول رحلاتي الأوربية بعد الانضمام للشبكة العنكبوتية، بدأت الرحلة بطيران غير مباشر من الرياض إلى مسقط ثم هبوط آخر في المنامة قبل أن تيمم الطائرة وجهها متجهة صوب الديار الألمانية وبالتحديد إلى مدينة فرانكفورت العاصمة المالية، بعد الهبوط أقلتنا السيارة صوب مدينة (بون) حيث مقر الإقامة. استغرقت الرحلة بكاملها اثنتا عشرة ساعة

منذ أن خرجت من بيتي حتى وصلت مدينة (بون)، فنقص الخبرة كانت السبب في ذلك فقد أخبرتني هامسة ليّ: أن أكسر حاجز السعر الغالي للطيران المباشر فوقعت في شر أعمالي..مطارات عدة..وإرهاق القاتل، وهكذا يفعل الجهل بأصدقائه، قاتل الله أصدقاء السوء..لقد كان لرحلتي هذه هدفان هدف ظاهر وهو مساعدة أخي في رحلة علاجه لأبنه في ألمانيا، وهدف مبطن وهو نقل أول تجربة سياحية لي على الشبكة..اخترنا ضاحية (بادقدزبيرق) التابعة لمدينة (بون) من أجل السكن بها، واختيارنا للسكن في هذه الضاحية لأنها هي البيئة المناسبة للقادمين للعلاج في ألمانيا من أبناء الخليج، وذلك أن الملحقات الصحية الخليجية متواجدة في المنطقة، وبتواجد الخليجيين أدى إلى تكوين بيئة كاملة من المتاجر والمطاعم العربية والشقق المناسبة لهم، حتى أن النساء بحجابهن وكبار السن قد تجدهم بكامل زيهم الخليجي والأطفال بنفس شقاوتهم وحركاتهم يجوبون الشوارع وبدون أن يكونوا عرضة للفت الانتباه من قبل سكان تلك الضاحية الذين ألفوا مثل هذه المناظر. لقد كانت تجربة

مثيرة، حملت فيها شيئين عدستي لالتقاط نبض الحياة هناك وعقلي من أجل أن أتأمل أكبر كم من الحياة. وجوه عربية وأخرى ألمانية، والتقاء بين الشرق والغرب واختلاف في العادات والتقاليد واللون جعل الأرض خصبة للتأمل، وهذا يدعمه شيء في نفسي حيث أنني أهتم بقراءة الوجوه أكثر من قراءة كتب التاريخ، فعَبر الوجوه تستطيع أن تقرأ النفس التي يحملها وتقرأ منها الماضي والمستقبل، فالوجوه العربية هناك مستبشرة وبعضها خائفة راجية، وذلك أن القلة منهم قد أتى للسياحة أما الأغلبية قد جمعتهم أرض الغربة من أجل بلوغ أمل الشفاء، فكانت في العيون نظرتان..نظرة انكسار ونظرة عطف على الآخر، وفي كلتا الحالتين كانت الدمعات منهمرة جراء الدعوات الدؤوبة بأن يخلصهم الله من كربهم وأن يعيدهم لأوطانهم وأهليهم سالمين. أما الوجوه الألمانية فيها قوة وصلابة فيها الجد والهمة، والعيون لها هدف محدد لا تحيد عنه ومهما كان المنظر ملفتاً للنظر فإنه لا يحرك فضول المرء أو يجعل بصره يحيد عن طريقه. وبرغم أن العرب هناك لهم هيئة وزي مميز فإن أجواء البلد لم يغير من سلوكهم

وسكونهم شيئاً ولم يحرك شعرة واحدة من رؤوسهم. وعندما أتأمل أهل البلد في المطاعم وسط الأسبوع فإنهم قد حضروا للأكل فقط، أما الحديث فهو لأصوات الملاعق وقرع نعال المارة أما هم فكأن على رؤوسهم الطير، ليس هناك مجال للابتسام أو للنقاش فهم في وسط الأسبوع..ووسط الأسبوع يعني العمل..والعمل يستلزم الجدية..والجدية هي ماركة ألمانية مسجلة، أما في عطلة نهاية الأسبوع فالابتسامة قد تكون حاضرة ولكن بقدر محدد، فكأنها صرفت بوصفة طبية بأن يظهرها نهاية الأسبوع بقدر محدد ولثلاث مرات في اليوم مع كل وجبة. وليس لديهم أي وقت آخر ليستشعروا أن :"الابتسامة أقلُ كلفةً من الكهرباء، وأكثر إشراقاً منه".

وصف الرحلة: يقول مصطفى لطفي المنفلوطي: إنني أحاول أن أكون بسيطاً في كتاباتي حتى أن الشيخ الكبير ليعرفها بدون أي جهد. عندما عدت إلى أرض الوطن عدت بثلاثة أشياء جديدة، قلب مملوء بتأملات عظيمة عن تلك الأيام، وذاكرة

عدستي الملأى بآلاف الصور لمناطق شتى، وعقل قد أوكلت له حفظ كل صغيرة وكبيرة من المعلومات التي مررت بها، ولكنه كعادته الحسنة اعتبر أن ذلك من الفضول الذي لا حاجة له بها فنسيها كلها عندما أغلقت الطائرة أبوابها،لدي هذه العناصر ولدي همة للكتابة وشغف بأن أقدم شيئاً جديداً مميزاً، فأنا لا أريد أن أكون مقلداً للآخرين، ولا أريد أن أكون سناً من أسنان المشط المتراصة المتشابهة والتي تسري في نفس الاتجاه وتكرره مراراً، بل أريد أن أكون علامة فارقة، وشيئاً يجعل القارئ يندهش ويتعلق بالحرف أكثر من الصورة ويسرح مع الصورة أياماً عديدة. فكرت بأن أخرج من البرواز، وأن أكون صورة جديدة، لا صورة ممسوخة منسوخة مكررة. وأعلم مسبقاً أن النجاح سوف يكون باهراً، وأن الفشل إن كان سوف يكون ذريعاً. قررت أن أكتب بصورة مبسطة، وأن أخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، بحيث أجمع بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية، وأن أجعل القارئ يستشعر كيف يسافر ويتأمل، وأن لا يكون المنظر المباشر هو المنظر المسيطر على فكره، بل أريد له

أن تكون رحلته رحلة لتخزين أكبر قدر من الصور الإيجابية التي سوف تضيء حياته أو تغير من تفكيره؛ أيضاً أريد أن أخرج الأعضاء **كتّاب** التقارير عن دوامة الأرقام والتكاليف فتلك مع الأيام سوف تنسى أو تنسخها أرقام وأسعار جديدة، وكان في ذهني أن أجعل السائح العربي يجعل من السفر قصة تحكي هدفاً نبيلاً، وبسرد مبسط، وروح مرحة، وتركيز على جانب التأمل وزراعة الأمل. بدأت كتابة رحلة سفري الأولى إلى مدينة (بون) الألمانية والدول المجاورة لها، كتبتها بسبعة عشر حلقة على مدى تسعة أشهر متواصلة، كان العائق الأكبر أنني بطيء الكتابة على لوحة المفاتيح، ولكن هذا لم يمنع أنني كنت مستمتعاً بكل لحظة من تلك اللحظات الجميلة فهي في قلبي عبارة عن عزف منفرد على حروف اللغة، وهي عبارة عن جولة ذهنية أترجم من خلالها محتوى عقلي ليكون واقعاً يلمسه القارئ بعينية، كنت أريده أن يجلس معي على قارعة الطريق وأنا أتأمل المارة وأنظر إليهم بسيرهم وخطواتهم ونظراتهم، كنت أريده أن يتطعم وجبة السمك المشوي وطعمه اللذيذ بعد أن أشار علي

النادل بتجربته أنه طازج يستحق أن يكون وجبة الغداء لهذا اليوم السعيد، وعندما تضيء أشارة المرور الخاصة بالمشاة سوف أمسك بيده ليعبر الطريق معي من أجل أن لا يضيع بين الزحام، بل سوف أحذره من أن تبعد خطواته عن خطواتي فيتوه بين أكوام البشر الذين يسيرون بشكل جماعات ثم تفرقهم شوارع المدينة إلى آحاد، وعندما نحاذي بائع الزهور سأنقل شذاها إلى رئتيه لعله يفوز بتلك الرائحة العطرة، ولن أفوت عليه فرصة إلقاء السلام على عربي قد طال به المقام في تلك البلد، أما الحدائق سوف أجعله ينبهر بتعدد ألوان الزهور فيفغر فاه مندهشاً قائلاً: ماهذا الزهر إنه لسحر؟..وبالطبع فإنني لن أفوت الفرصة على القارئ بمشوار هادئ مع الغروب على رصيف النهر، فهي النزهة الحقيقة والرحلة الممتعة، فهناك وبمحاذاتك من يمشي على رجليه، وحولك من يمر سريعاً على دراجته، وفي النهر السفن السياحية والتي يلوح لنا ركابها ملقين علينا تحية المساء الحارة، ومع سيرنا بجانب النهر فإننا نتجه إلى لا نهاية وبدون هدف محدد فيكفي من كان النهر بجانبه والطبيعة من جانبه الآخر أن يطلق

العنان لقلبه ورئته وبصره بالتجول كيفما شاءوا، ولا يقطع هذا التأمل إلا صوت لا تجذبك لكنته، وحروفه لا تعرف معناها، لكنه بالتأكيد إما إنه صوت بائع الذرة، أو مقدم القهوة في المتاجر المنتشرة على ضفاف النهر، وفي نهاية الأسبوع أنت على موعد برحلة طويلة عبر قطار (اليورستار) السريع حيث ستكون بجانبي غافلاً عن صوتي وحديثي مشتغلاً بما يمر بك من مناظر مزارع العنب المنتشرة في أرجاء ألمانيا كلها، فتبهرك وقفة الفلاح في الصباح الباكر وهو ينظر إلى القطار الأحمر عندما يشق المروج متجهاً إلى مقصده بمسار محدد وبوقت معلوم، وعندما نغير المسار فنتجه إلى هولندا حيث الأرض المنخفضة فسوف تتغير الأرض وسوف تجد أن الجداول المائية تكاد أن تكون هي السمة البارزة فيها، فالأبقار في مراعيها لا ترفع رأسها إلا عندما يمر القطار ضارباً بصوته أجواء الهدوء والسكون التي تَزين بها الكون، وعندما نكمل رحلتنا إلى بلجيكا فإن منظر الخيول من بعيد وهي تعدوا يلفت الانتباه حتى كأنها في سباق مع القطار، ولن يوقظك من أحلامك إلا صوت

جرس المحطة منبهاًً بأننا قد وصلنا لنهاية الترحال في هذا المسار، فإن كنت شعرت أيها القارئ بصوت جرس محطة القطار فهذا يعني أنني نجحت في اختباري السابق بجعل القارئ يعيش معي الحروف، وأعتبر نفسي ناجحاً معك في رحلتي عبر هذه الصفحة، فهذا الذي كنت أرنو إليه وأسعى من أجله، أن أجعل الرحلات بين يدي القراء وكأنهم يتلمسونها ويتنفسونها ويتذوقونها، أريد بعد أن ينتهوا من التقرير أن يحسوا بتعب الرحلة..لأن التعب يعني أن المرء قد قام بجهد وأن الجهد نتاجه رحلة ممتعة. قال ملك راج آنان:"إنني أنصح الكتاب الناشئين أن يبحثوا عن الثقافة العميقة في القراءة. وأن يبحثوا عن الحقيقة في التأمل، وأن يبتعدوا عن التقليد". شكراً يا آنان.

أبدأ بنفسك: يقول أوفيد:"الجداول الصغيرة تصنع الأنهار الكبيرة". لقد أحسست بهذا الشيء بل أحسست أن هناك قمة ثلجية في طريقها للذوبان وتكوين أنهار تجري في كل

مكان. لقد كان الموضوع بالنسبة لي محل تفكر وتأمل فقد صَنعت نفسي منه أشياء كثيرة جميلة. بالضبط إنه يشبه مواد الخام التي تُنحت فتكون تحفة فائقة الجمال، أو شجيرة تم تهذيبها فأضحت ذات منظر فتان، نعم لقد وجدت في نفسي –بحمد الله– منبعاً للجمال ولكن لم أستغله من قبل، ووجدت أن لدي خامات كثيرة يمكن أن أقدمها بشكل أفضل، أيضاً لقد رسخ في نفسي أن نفخ الروح في أي موهبة يحتاج إلى تشجيع ويحتاج إلى أرض خصبة، أيضاً إن الفرص قد تطرق بابنا ولكن قد نعرض عنها ومن أعرض عنها فسوف يذهب ليبحث عنها يوماً ما ولن يجدها وإن وجدها فسوف يجدها في أحضان شخص آخر رحب بها فعشقته وعشقها، وعلمت أن العقل مهما حمل من المعلومات فإنها تذهب ويبقى ماخالط النفس من الجمال والحسن، وعلمت أن الطبيعة والخلوة مع النفس تصفيها وتنقيها وتجعلها تتأمل الكون كله ليله ونهاره أرضَه وسماءه ساكنه ومتحركه ما صنعه البشر وما أبدعه رب البشر–سبحانه وتعالى–، وعلمت أن الناس باشتياق إلى التجديد وأنه عشقاً أبدياً

لكل العقول. وعلمت أن الحياة تستطيع أن تعيشها في أي مكان ولكن أن تنقلها إلى الآخرين فهذه حياة أخرى تستمع أنت بنقلها وتصويرها وإنزالها المنزل الحسن في نفوس من حولك، وعلمت أن الناس تعشق الابتسامة خاصة في عصر فشت فيه الكآبة وحلت فيه الضغينة، فأصبحت البسمة عملة نادرة وصعبة ومن يجعلك تبتسم فهو يهديك حياة جديدة ومن يجعلك تضحك فهو يمحو من حياتك الكآبة ليزرع مكانها حياة بالحب رغيدة، وعلمت أن الناس لديهم استعداد جيد لأن يصغوا إليك إن كان العرض مناسباً وموافقاً لميولهم. وعلمت أن المرء متى كان مخلصاً في عمله فمن المؤكد أنه سوف يبدع، وأن المرء يجب أن يعمل ويقدم ويبادر ويبدأ لا أن يعول على الآخرين فيقف مكتوف الأيدي بانتظار أن يسمحوا له بأن يطلق لنفسه العنان في سماء الإبداع. ومع هذا كله يجب أن نأخذ بمقولة عبد الله الشيتي حيث يقول:"في زورق الحياة، اصطحب صديقك الدائم: الأمل".

نسيم نجد: البحث عن النجاح في زيلامسي: يقول جون د. روكفلر:"إذا أردت النجاح فيجب أن تندفع في طرق جديدة، لا أن تسافر في طرق بالية من النجاح المقبول". بعد أن وجدت لي مكاناً بين الأعضاء كان من الأهمية أن أفيدهم كما أفادوني في رحلاتي السابقة التي قمت بها، كذلك من أجل أن أحقق نجاحاً ذاتياً يتمثل بالقدرة على رسم مخططات السفر للباحثين عنها من السياح. ومن أجمل ما تقدمه لهم في هذا الشأن أن تحكي لهم قصة سفرك بصورة مغايرة أو تحدثهم عن مكان جديد غير مطروق بشكل كبير، وأفضل الأماكن بالنسبة لي والتي تحقق المعادلة السابقة هي زهرة أوربا "النمسا". وبالذات قصة تلك الجميلة الصغيرة المسماة ب(زيلامسي). فهي مدينة رائعة لبست قبعة حمراء بلون القرميد الأحمر الذي يغطي أسقف بيوتها الخشبية، وتقلدت قلادة ملونة من الزهور التي اختارتها بعناية فائقة من الطبيعة من حولها، تلك المدينة الحالمة اتخذت من جانب البحيرة مسكناً تأوي إليه، ومن البساط العشبي مفرشاً تنعم فيه، وجلست الليل والنهار بين جفني

السماء والأرض تتقلب بحياة سعيدة، ففي الصبح الباكر يستنير أفقها مع بزوغ الشمس الساكنة خلف جبالها، وما هي إلا لحظات حتى تطل أشعة الشمس الذهبية بوجهها من أجل أن تُصبح على الصغيرة، فأشعتها تقدم إليها وبهدوء، فإن كانت القرية نائمة فهي تجلس بجانبها حتى تستيقظ من نومها، وإن كانت سارحة متأملة فهي تنبهها برقة لتعلن عن حضورها، وإن كانت منتظرة ولهة لدفئها فهاهي قد أتت لتقبلها وتحتضنها، وبينما الشمس غارقة بمداعبة وملاطفة صغيرتها هذه إذ بستار من السحب البيضاء تحجب الحبيب عن المحب، ويغيب الصفاء عن ذلك اللقاء، ولكن هل تلك الأرض تعرف البؤس أو الحزن أو اليأس؟! فقد استبدلت بالخير ما هو أخير منه، إنه صفاء آخر ولقاء من نوع آخر، فقطع السحب البيضاء النقية قد قدمت من خلف الجبال الخضراء فتناثرت في أرجاء السماء، لتخفي زرقة السماء تارة وتكشفها تارة أخرى، واقتربت السحب أكثر فأكثر من الصغيرة حتى ارتسمت على صفحة البحيرة فأصبحت السماء منعكسة قريبة..تجمعت السحب فوق المدينة

وكونت قبة كونية ضبابية مهيبة، فحُجِب الشمس والسماء بظلال السحب البيضاء، فليس لتلك البلدة الصغيرة بد من النزول بعيونها الحسان إلى أرضها. هناك..جبل قد ظهر جزء منه، والبقية الباقية منه قد اختفت خلف السحب، فالسحب كأنها أرادت العدل بين الأرض والسماء فتقاسمت روعة الجبال مع ذات الحسن والجمال، أما على الجانب الآخر فهناك جبل مزدان بأشجار الغابات المتلاصقة، يظهر بلون أخضر فاقع، وفيه خطان أبيضان من نهرين جاريين قد سالت دموعهما شكراً لما حباهما الخالق-سبحانه وتعالى- من الحسن، وعلى نفس مسرح الحياة القريبة..هناك جبال قد لهت بشأنها فهي تمتاز عن غيرها بعربات النقل الحمراء والصفراء (التلفريك) المعلقة بأسلاك ممتدة من الأرض إلى قمم الجبال فشكلت لوحة رهيبة تظل رهينة النفس، فهي تقل أهل تلك البلدة الصغيرة وزائريها من عيشتهم الرغيدة إلى أعالي الجبال لكي يحضوا بنظرة حب ودلال لمدينتهم وعشيقتهم بصورة مصغرة بعيدة،ينظرون إليها وهي تبدوا كطفلة تلعب على أطراف البحيرة. أما من جهة

أخرى فتقبع الجبال ذات الرؤوس البيضاء، والتي تسيل أنهارها من كل جانب إذ أذابت أشعة الشمس تلك القمم الثلجية فسالت الأنهار متدفقة بقوة، لتتكفل الجداول بنقلها إلى البحيرة كماهي بجمالها، لينعم أهلها بنقائها وبرودتها.

الصور السابقة هي صور تلك المدينة التي حاولت أن أنقلها للشبكة العنكبوتية ليطلع عليها روادها، حاولت أن أنسجها بشكل يناسب جمال تلك المدينة، ولعل القارئ لا يعلم أن مثل هذا التقرير يخفي خلفه أعمالاً كثيرة لا تظهر له في سطور التقرير، فالكاتب قد يبحر بضيوفه إلى حيث يرغبون، وقد يغوص بهم بالعمق الذي يريدون، ويسلك بهم الطرق التي يهوون، أما ما خلف الكواليس فعمل وجهد وكد يظهر للقارئ منه القليل ويَخفَي الكثير، فالقارئ قد لا يهمه مالذي تعرض له الكاتب من مصاعب أثناء السفر، فماذا عانى، ولأي ظرف تعرض، وكيف بللت الأمطار ثيابه، أو كيف سرقت أمواله،أو كيف تعرضت حياته للخطر في الطائرة، إن هذا لا يهمه

بشكل كبير، فالقارئ قد كفته همومه ومشاكله، وقد حضر بين السطور ليبحث عن السعادة، أو ليخطط لرحلته والتفاؤل يحيط به، وليس من أجل أن يقع فريسة لمشاكل الكاتب، وأوهامه أو مبالغاته، أو سوء تدبيره لأمره،وكأن لسان حال القارئ يقول: قد استغنينا بمشاكلنا عن مشاكلك؛ ودعوني أكون أكثر وضوحاً فالقارئ السياحي لا يحب أن يرى الكاتب الكئيب عندما يبحث هو عن المرح والسعادة، يحب القارئ أن يجد الفائدة والمتعة معاً وبشكل سلس وبصورة طيبة، فكأنه يريد من الكاتب أن يقدم رحلته وهو ممتن للقارئ بقبولها، فالناس في مثل هذه المواقف يحبون الممثل البارع الذي يتقمص الدور الذي يعايش حالهم ويوافق رغباتهم ويلامس حاجاتهم ويعرض تجاربه بصورة متقنة بدون أن يشوش عليهم، والكاتب أحد الممثلين البارعين بل أكثرهم إتقاناً لدوره إن أراد، فهو يمثل نفسه في كل أحوالها بإتقان، سواء السعيدة أو المقبولة أو التعيسة بل يشكلها بالألوان الزاهية منها والقاتمة كيف يشاء، فهو أمهر من يجعل من (الحبة قبة) سواءً في الجانب الإيجابي أو السلبي،

وهو أفضل من يمثل ما يطلبه القراء، ولأن السعادة هي أول طلباتهم وهي مقدمة لديهم على التعاسة، لذا فهو يسعى دائماً أن يكون حاضراً عندما ينتظره القراء في هذا المجال، وجاهزاً بقلمه عندما تقرع الأفراح طبولها، وهو جزء من مسرحية الحياة الكبيرة وأحب الممثلين إلى الجمهور في تلك المسرحية الكبيرة؛ هو الممثل الكوميدي والذي يستطيع أن يرسم الحياة بسهولة وابتسامه ويعالج مشاكلهم بدقة ورقة وبدون أن يكدر على من حوله، فالناس بغنى عن حامل الكآبة أو حمال الأسية كما يقولون، فيكفيهم أنهم أينما التفتوا في واقع الحياة يجدون من يمثل هذا الدور بإتقان، فلغة العبوس هي لغة الوجوه المحببة لدى بعض الناس، فالبعض يريد أن يخفي السعادة من وجهه حتى لا يرى الناس السعادة وتقاسيمها على محياه، وذلك مخافة أن يَدخُل القِدرُ بعد أن دخله صديقه الجمل، فهؤلاء الناس تهرب منهم السعادة عما قريب لأنهم هم بأنفسهم يهربون منها أو يخشون أن يوصموا بها، حتى أنك تجدهم في حياتهم العامة يقلبون السعادة إلى تعاسة، ولا يشكرون ولو كانوا في النعيم يتقلبون، إن هذه الظاهرة

واضحة في كثير من وقائع الحياة. فعندما تسأل إنساناً عن حاله فيقول: مستورة، ولا يقول الحمد لله، أو يقول تمنيت وآتاني الله أكثر مما تمنيت، وطلبت وكُتب لي من الخير أكثر مما توقعت، ولو سألت آخر أكثر نعمة وصحة عن حاله لقال: (يعني)؟! و(يعني) هذه لها ألف معنى، فهو كان يتوقع أن يكون (ملياردير اً) ولكن قدر الله وما شاء فعل فقد صار (مليونيراً) فقط!! وكان يتوقع أن يكون رئيس شركة عالمية فاحتسب المصيبة إذ صار رئيس اكبر شركة محلية فقط!! ومن الممكن أن يكون قد توقع بحدود إمكانياته، كأن يكون رئيس الفراشين ولكن قدر الله وصار فراشاً عادياً. ولكن برغم كل ذلك التمهيد وتلك المقدمات فلن أترككم تبرحون حتى تسمعوا بعض ما نلاقيه في سبيل كتابة التقارير وبعض هموم كتاب السفر والترحال وسوف أسكب لكم قليلاً من كأس التعب والنصب الذي نعانيه أو لعلنا نعتقده ونريد أن نوهم القراء بأننا نعانيه، فإن كنت لا تريد القراءة فعليك القفز عدة أسطر..فأقول: في الرحلات يبعد المرء عن أهله وبيته وأعماله، ويكابد المشقة ويكتب كل صغيرة وكبيرة ويخطط

ويرسم ويخطئ ويصيب ولكن لا يكتب إلا ما يناسب ولا يحكي إلا ما كان ذا فائدة ناهيك أن الكاتب يتكبد السفر والمتاعب وتحيط به المصاعب من كل جانب فيتجرعها ولا يكاد يسيغها؛ ففي تلك الرحلة التي سردتها لم تكن مقدمة لي على طبق من ذهب بل قطعت تسع ساعات مابين مدينة (بون) الألمانية إلى (زيلامسي) النمساوية، والمسافة لا تستغرق كل تلك المدة، ولكن أعمال الطرق الدائمة في الأراضي الألمانية، والتحويلات الكثيرة، وزحمة الطرق السريعة في نهاية الأسبوع، كل ذلك يجعل الطريق يستغرق من الوقت فوق مايلزم بكثير، ويزيد من حزني في تلك الطرقات أن جذوع أشجار تلك المنطقة وهي منطقة الغابات السوداء قد كونت حاجزاً متناسقاً، كسد منيع بيني وبين الطبيعة الراقدة من خلفها، وكأنها قضبان سجن طويل أو جنود مصطفين على طول الطريق من أجل أن لا يجرأ من هم أمثالي على الوصول إلى مايحبون من هذه الطبيعة، لقد حُكم علي بالعذاب برؤيتها للحظات من بين سيقان الأشجار ثم تختفي مرة أخرى خلف تلك الأشجار. أما السماء فتحجب عني

زرقتها سحب سوداء داكنة تُقبل تارة وتُدبر تارة، وكأني وإياها في جدال دائم، تمطر مرة بغزارة فأزيد من سرعة الماسحات الزجاجية، وتخف وطأتها مرة فأقلل من سرعة الماسحات. أما إن أرادت السحب أن تغازلني فهي تنقشع لبعض الوقت فتبزغ علينا أشعة شمس أوربا التي لا ترحم. هذا جزء من المعاناة في الطريق، فإذا بلغنا البلدة التي نشدناها فالأمر يتغير والحال يتبدل، ويتغير معه حال الكاتب وينسى هموم الطريق وكل ما صادف من المشاكل، ويبدأ بتسجيل اللحظات الجميلة في نفسه من أجل أن يقدمها للقراء بعد الإياب، فمن يريد أن يكتشف الحسن وينقله للقراء يجب أن يكون حاضر الذهن ناسياً أو متناسياً كل الهموم والأحزان التي تكبدها، واصلاً لكل مكان يتوقع أن يكون فيه الفائدة والمتعة، أو الجديد والغريب. لذا فقد علّقت كل همومي ومتاعبي في مدخل القرية ووعدتها أن لا أعود إليها، وقررت أن أسبق زقزقة العصافير في الاستيقاظ، وألقي على نفسي تحية الصباح قبل أن يفتح عينيه أي شخص نمساوي، وأجهز قهوتي والشاي المعد للرحلة قبل أن تفتح

المقاهي أبوابها، أو من قبل أن تسخن ربات البيوت المياه الخاصة بالقهوة لأفراد عائلتها، وكل ذلك من أجل أن أحيط المنطقة كلها، فأذهب إلى الجبال بسيارتي المستأجرة وأقبل رؤوسها، وأتلقى قطرات المطر فرحاً بها وهي فرحة بي، وأمر من جانب الزهور بهدوء حتى لا أزعجها في هذا الوقت الباكر فتخرج من أكمامها قبل موعدها. وأنظر إلى البط في البحيرة والموج يتلاعب بها وكأنها قد أسلمت نفسها إليه. كل تلك المناظر البديعة من الصعب أن تجدها إذا لم تستيقظ باكراً، وكلها تتطلب صفاءً وهدوءاً وهذا الصفاء والهدوء لا يتوفر إلا في الوقت الباكر، ويكتمل هذا الحسن عندما تنتشر أشعة الشمس الأولى وتنساب نسمات الفجر الباكرة وتفتح الزهور بعد رقادها. تلك هي المناظر التي أختزنها في الصدر لتبقى مدى العمر بصحبتي. زد على ذلك أن المسافر الذي يريد أن ينقل للقارئ أخبار تلك المناطق يعلم أن حرفه قد يقصر عن ذلك الجمال، لذا فإن اللقطات التي تصورها الكاميرات تظل هي الشاهد الوحيد على ما تحويه تلك المناطق من جمال فريد؛ فتارة ألتقط صورة من أعالي

الجبال لتلك القرية الصغيرة الراقدة في سبات العميق، فتتضح من خلالها طرقتها التي غسلتها مياه الأمطار في الليلة الماضية، ونوافذ بيوتها لم تغلق بعض أنوارها منذ البارحة، وفوانيس المدينة التي قد أوكلت عملها إلى نور الصباح وقد بدأت حزينة على انتهاء عملها بعد ليل مضن حرصت فيه على تجلية جمال صغيرتها بنورها الوهاج، وتارة تجدني بين الأشجار أتخذ مكاناً من أجل أن ألتقط صورة تجمع بين جمال الجبال والأشجار والأزهار والأنهار والبحيرة الزرقاء والقرية الصغيرة، وهذا عمل يتطلب أن تبحث عن مكان يحتوي الأغلب وليس الكل، فتتنازل مضطراً عن بعض من لا يمكن أن ينضم إلى إطار الصورة.

وبين هذا وذاك يكون التأمل هو أنسي في السفر، وهو الباعث على نقل الصورة بأكمل صورة؛ فإن تأمل الطبيعة المتحركة بكل أشكالها هو سحر لا يوصف ويستوجب تحضير كل الحواس..ففي الصبح الباكر وعلى أرض الطبيعة أتأمل الناس عندما بدؤوا

يستيقظون فيوقظوا المدينة معهم، وأصحاب المتاجر وهم يرفعون أبواب متاجرهم وينتظرون زبائنهم، ونوافذ البيوت وقد بدأت تفتح، فيخرج طفل من نافذة بيته ليطرد آخر أثر للنوم بتثاؤبه، وطفل آخر شرع للتو بابتسامة يعانق بها الكون بأكمله، وأم تنظف الساحة من حول دارها، وأب يأتي بالحطب من مخزنه، ومدخنة يتأجج دخانها ويتراقص في السماء عامودها، وندى يتبختر على الأوراق، وزهر يتفتح، وفراش ينتقل من زهرة إلى زهرة، وطيور تحلق، وضباب يحيط بالكون، ورذاذ يتساقط، وقرص الشمس يطرد الضباب، وسحب تتقدم من خلف الجبال، ومطر ينزل بغزارة، وكل ذلك يتم والعين تتأمل والقلب يخفق والذكريات ترصد وتسجّل والحياة تنشد أجمل الألحان. إن مثل ذلك يجعل الكاتب يسجل كل اللحظات الجميلة وليست فقط الصور الجميلة، وحتى لا يعكر بعض الكتّاب جمال تقريره فقد يغلق فمه عن ذكر بعض الصعوبات التي واجهته أثناء سفره والتي قد تفسد فرحة القراء بجمال التقرير، فلا يظهر للقراء أثناء كتابته للتقرير عن المعوقات الشخصية التي تحيط به، والظروف

التي يواجهها، والصعاب التي يقابلها، فلا يظهر ذلك الأرق الذي أحاط به تلك الليلة فغادر النوم عينيه، ولا تلك الهموم والأحزان التي تحاصره لبعده عن أهله ووطنه وأحبته، ولا يذكر تلك الساعات الطوال المضنية التي قضاها من أجل أن يرسم الطريق لتلك الرحلة، ولا يبدي لهم الأيام العديدة التي استغرقها في اختيار الخطة المناسبة لرحلته، من أجل أن يستغل رحلته بشكل رائع يستثمر فيها الوقت، ويقلل من التكاليف، ويزيد من المتعة. فالكاتب يقدم التقرير بشكل جذاب وبصورة شهية، ويقدمه كما تقدم الفاكهة اللذيذة، فمن يأكلها لا يحس بتعب الفلاح حينما حرث الأرض، ولا يحس بهمه إذا تأخر المطر، ولا يعاني معاناته عندما لا يجد بعد كل ذلك التعب السعر المناسب الذي يوازي جهده وتعبه، إنما تقدم الفاكهة للضيف على طبق من ذهب، لم تتعب يده، ولم ينشغل ذهنه، ولم يحزن قلبه حتى تكون بين يديه. إن الكاتب يخفي ويعلن مايناسب، ويرسم، ويصور ما يوافق من حوله. أما بقية التفاصيل التي تقضي على متعة القارئ وهو يتأمل تلك المناظر الساحرة فقد يخفيها ولا يبديها.

وحاولت في بعض التقارير أن أسير على مثل هذا المسار فأسلط الأضواء على البقعة الأهم وتهم القارئ بشكل أكبر وتجذب التركيز إليها أكثر. أما معاناتي فأنا أكتمها في صدري حتى لا أنغص عليه شهيته المفتوحة لمثل تلك المناطق. أعلم أنني كررت التبرير أكثر من مرة، وكأني أريد أن أقنع نفسي قبل أن أقنعكم أننا نتعب في كتابة التقارير، فهل صدقتموني؟ واقتنعتم، أم لم يزدكم حديثي إلا قناعة بأنني أفتعل المصاعب، على كل حال أقول: متعتم"بالصحة والعافية" مع كل ما قدمنا لكم من وجبات أضنها دسمة، فاتحة لشهية السفر والسياحة.

موضع قدم في قمة شتاين هورن (Kitzsteinhorn):

تقول الحكمة: "هناك أماكن كثيرة على القمة..ولكن ليس بينها مكان يسمح لك بالجلوس". الكل يحب أن يكون فوق القمم، ولكن يختلف الناس فيما بينهم بمدى رضاهم عن قمتهم وبمدة

المكوث التي يرتضونها لأنفسهم على سفح تلك القمة التي وقع اختيارهم عليها. وأنا واحد من الناس أحب لنفسي ما يحبون ووأكره لها ما يكرهون؛ أحب الوصول للقمم أما الجلوس فلا أميل إلى ذلك، فالقمم لا تحب الجالسين فوقها بل تحب المتطلعين إليها بشوق فتستقبلهم وترحب بهم برهة من الزمن من أجل أن يأخذوا قسطاً من الراحة ثم يودعوها متجهين إلى قمة أكثر منها إشراقاً وإطلالة. إن تواجدي في أي قمة يعني أنني قد وصلت لمرحلة من مراحل النجاح في حياتي، وليس ذلك فحسب بل يعني أيضاً أنني في طريقي لمرحلة أكثر نجاحاً وإنتاجاً، ولا يستحسن أن أكون ضيفاً ثقيلاً على أي قمة أعبر عليها فأجلس متربعاً على تلك القمة لفترة طويلة،، بل إن استطعت الوقوف فوقها على قدم واحدة أو أصبع واحدة من أجل أن أعدي تلك المرحلة وأنتقل إلى غيرها على عجل فذلك أفضل، وذلك لعلمي أن الوصول للهدف البعيد يبدأ من الخطوة الأولى وإن كانت خطوة بسيطة لكنها ضرورية في طريق الألف ميل، بل هي خطوة صغيرة جداً من خطوات الحياة الواسعة،

لدرجة أنني سوف أضحك يوماً من الأيام على قمتي الصغيرة التي اخترتها وسوف أزدري في مستقبل الأيام اختياري هذا وقصر نظري فلعلي أقول حينها: كيف اخترت قمة كهذه في حياتي؟ ولكن سرعان ما أعتذر لنفسي وأقول: هي الحاجة لأن تكون قمة مرحلية تستلزمها المرحلة، لذا كان علي أن أرتضيها في ذلك الوقت، وفي المقابل لن أدع الغرور يتسلل إلى نفسي بل سوف أتذكر كل حين أن هذه القمة قد تخبئ خلفها هاوية عظيمة قد تردني لأول الطريق فيجب الحذر، وأخذ الحيطة حتى لا أسقط من أعلى قمتي هذه بعد أن بذلت الغالي والنفيس من أجلها، بل يجب أن أعبر تلك المرحلة وأن أعيش بحياة متوازنة متجددة وأنعم بتلك اللحظات السعيدة في أعلى القمة وبمقدارها بدون نقص أو زيادة، فأضع بذهني أن كل قمة في أصلها هي قمة مؤقتة، توصلنا إلى قمة أعلى في جبل همتنا الشامخة. والكتابة في عالم الإنترنت إما صعود لقمة أو هبوط لقاع، وبين هذا وذاك قد يجد الكاتب نفسه بعد فقدان، أو يطمر نفسه فيضيع في دهاليز الشبكة، فتكون خطواته من ضياع إلى ضياع.

خلال هذه السطور أريد أن أنقل لكم تجربة من حياتي الكتابية فأضعكم على حافة قمة واقعية صعدت إليها في أحدى رحلاتي، ولا أعلم هل الأصل في الموضوع..المقدمة أعلاها أو الرحلة أدناها، ولكن لا يهم فقد يكون الكاتب ممن يكتب ويتشعب، أو يبدأ ولا ينتهي، أو يكتب فيأخذه الحماس من أجل أن يوصل فكرته فتعييه الحيلة فيستطرد ويأكل السطر تلو السطر فتكون المقدمة أكثر من الموضوع، وبعيداً عن استطرادي الأول سوف أبدأ بسرد الرحلة، لأنني أخشى أن أستطرد بموضوع آخر فأتحدث فيه عن الاستطراد فوائدها وآفاته..كانت رحلتي إلى قمة (جبل شتاين هورن-Kitzsteinhorn) في الأراضي النمساوية والمعروفة بقمة جبال (كابرون الجليدية) وسوف أكتبها كما نكتبها في منتدياتنا السياحية فأقول: استيقظت مبكراً وتناولت إفطاري باكراً واستزدت بعدد لا نهائي من أقداح المشروبات الساخنة من القهوة والشاي فتلك هبة يقدمها الفندق عبر سخانات الماء الحارة المنتشرة في كل زاوية من زوايا الفندق. من فنجالي بخار القهوة الدافئ يتراقص أمامي

وكأنه يهزأ بي ويقول لن تنفعك الأقداح فريح البرد قد لاح، بينما هو مستمر بالتراقص فإذ ببرودة الجو تقضي عليه مبكراً فتميته ميتة سوء وهو قائم يرقص رقصة الرعب الموجّهة إليّ، أفرح أن تلك النسمات الباردة المتسللة قد أسكتت رقصته الآثمة التي يهزأ بها مني. بعد عدة أقداح وعلى وزن المثل المحلي القائل: (اللي ببلاش ربحه بين)توقفت بعد أن أحسست أن الحرارة تكاد أن تخرج من أذني، فعلمت أنني قد أخذت جرعتي المناسبة لمواجهة البرد الموعود في أعلى القمة الجليدية، فقد آتت الأقداح نتائجها الطيبة فسكنت بعض روعي من هاجس البرد الذي يكاد يفتك بي وأنا لم أصل إليه، فكيف إذا وصلت إليه؟! فكأن نذيره يراسل عقلي الباطن وبإشارات سالبة فيقول: أنك موعود بيوم متجمد، خاصة أن تلك القمم الجليدية عرفت بدرجاتها المنخفضة على مدار العام، وأيضاً جسدي ذو المناخ الحراري القاري لم يعتد على الأجواء الجليدية بل ضل جسدي إلى قبل تلك اللحظة مخزناً للدفء من صحاري نجد ومن درجات الحرارة العالية من بلادنا الغالية.

سلكت الطريق المؤدي صوب منطقة (كابرون) وعزمت أن أكتشفها وأمكث فيها بعض الوقت مهما كلف الأمر وبغض النظر عن النتائج المترتبة، لقد أردت نقلها للقراء في الإنترنت وكأنها قطعة (آيس كريم) لذيذة في فصل صيف شديد الحرارة، وصلت محطة عربات (التلفريك) التي تقل السياح للقمة، قطفت تذكرة الصعود..وبعد هنيهة وضع مسئول المحطة قيمة التذكرة في جيبه الموازي لقلبه وأنشد عبر مكبرات الصوت قائلاً: أن أمامكم ثلاث محطات حتى تبلغوا القمة، وهذا معناه المبطن أنك أمام قمة جبلية عالية، ومعنى ذلك لمن لديه خبرة بتحليل الأقوال أنك سوف تحمل الهم ثلاث مرات، ومعنى ذلك لمن يريد أن ينجو بنفسه أنك تستطيع أن تخرج من العربة الآن وبدون أن تمر على تلك الكربات الثلاث. أما مسألة نقل الحدث وكتابة التقرير من تلك المنطقة في المنتديات السياحية فسوف يجد القراء من هو أكثر منك جمالاً في السرد وأكثر تحملاً لمصاعب الحياة فينقل إليهم الصورة بشكل أفضل، أو بشكل أسوء، فلا يهم ذلك فالمهم أن تنجو بنفسك هذا

حديث نفسي لنفسي وكأني أخاطب غيري. ولكن لم يدع لي المذيع الداخلي أي فرصة للاستطراد في التفكير بل أعلن: أن قيدوا أنفسكم بحزام الأمان فصفارة البدء قد بدأت العد التنازلي، ومعنى ذلك أنني أصبحت أمام الأمر الواقع، إذاً فليس أمامي إلا أن أقول كما قال نابليون:"من القمة للقاع، هناك خطوة واحدة". فمن الجميل أن يُظهر المرء الشجاعة عندما لا يكون هناك حل آخر أفضل من هذا الحل السيئ. فقيدت نفسي بالحزام كما أمر المذيع بل أشد مما أمر أضعافاً مضاعفة، فالعمر واحد والقراء لن يضربوا كفاً بكف حزناً إن سقطت من أعلى تلك القمة، بل سوف يقولون قتل نفسه من أجل موقع في الإنترنت سامحه الله وغفر له وعوض الله أهله خيراً.

انتقلت العربة بنا من عمود إلى عمود وتهتز عند كل واحد منها كأنها تريد اختبار قوة تحملنا وصبرنا وشدة جَلَدنا، يتصبب العرق من جبين البعض برغم شدة البرد لا شعوراً بالدفء بل من شدة

الخوف، وفي جانب آخر تتلون بألوان الطيف وجوه البعض الآخر – ولست منهم بحمد الله–. كل شيء بدا لي صغيراً من نافذة العربة، حتى كأن الكون بأجمعه أصبح رسماً داخل أطار اللوحة، وصلنا للمحطة الأولى والراكب مخير بين النزول للتمتع بجمال المنطقة المحيطة أو بمواصلة السير نحو القمة، اخترت الأولى مع الأغلبية من الركاب، فمن يفوت مثل هذه الفرصة خاصة أن المنطقة تلك تمتلك جمالاً قلما تجده في مكان آخر، سرت عبر جادة صغيرة نقشتها أقدام الرحالة من قبلي فأردت اكتشاف المنطقة، فتبعت خطاهم وسرت سيرهم. فإذا الجادة كلما صعدت بي إلى مرتفع كشفت لي ماتحته حتى أرتني القاع مرة أخرى لتوقد نار الشوق في القلب مرة ثانية..سارعت الخطى ونفسي تتوق لمعرفة ما يعقب تلك الوهاد وما تخبئ للزائر العربي المشتاق، حاولت رفع رأسي أثناء السير من أجل مشاهدة ما خفي ولكن بد لي الأمر مستحيلاً، فأرض تلك المنطقة المبللة بالأمطار جعلها لزجة طينية تعيق الحركة وتؤخر المسير أكثر مما أتوقع، الأرض المختبئة بدأت تظهر معالمها ببطء وتبدي مفاتنها

بغنج، والأنهار تسيل من الجبال كقطرة ماء من فم السقاء، والأنهار بلا خدود فهي تنساب بشكل عجيب على ذلك البساط العشبي حتى يخيل للرائي أن ليس لها مساراً محدداً، وأنها تتهادى في تلك البقعة الغناء على غير هدى، فهي تمشي الهوينى متعرجة، وتبتعد عن كل مرتفع، وتمر على كل شجرٍ باسق لتسقيه من عذب مائها بدون أن تجرح الأرض من حوله، وعشاق الطبيعة يتخيرون أماكنهم تحت الشجر المنتشر ليستظلوا بظل أوراقها، أو ليستندوا على سوقها، أو لينعموا بالزهور المنتشرة حولها، ونعم الجوار بجانب تلك الأشجار فهي عندما يهطل المطر أو يتهادى الرذاذ فكل شجيرة تعمل جاهدة لتتلقف تلك القطرات على وريقاتها فتسلمها كل ورقة إلى أختها إلى أن تستقر وبرقة على الأرض وبدون أن تتبعثر جزيئاتها أو تبلل من يسكن تحتها، وعندما تهب النسمات فإن الوريقات يتلاعبن ويرقصن رقصة رائعة متناغمة من أجل إشاعة الفرح والسرور لقاصديها، وبعض الأشجار تزين أرضها ببعض ورقها لتفرش الأرض بكاملها فرحاً بقدوم الزائرين لها، إن الأشجار في تلك المنطقة لها أكثر من

مهمة، فهي زينة وجمال وحسن ورداء لمرتاديها عندما يهطل المطر أو عندما تظهر الشمس على خجل.

أما الأنعام وأهمها الأبقار فقد اختارت أن تجلس على ضفتي النهر، ذات اليمين مرة وذات الشمال مرة، فمن يرى المنظر يعتقد أن النهر قد قصد عمداً أن يتمايل بينها، فتجده يقترب من أفواهها ليسقيها من مائه الزلال، و(البقرات) في تلك الأرض بعيشة هنيئة بألوانها الفاقعة وسط تلك المروج الخضراء الرائعة، ومن حولها صغارها إما يتقافزون، أو بجانبها يرقدون، ومنهم من تشبث بثدي أمه ليرضع منها حلو اللبن. في هذه الأرض الفاتنة أشفق على (بقراتنا) الصبورات فهي إما في زريبة وإن كانت في حياة رغيدة فهي في حظيرة، وفوق ذلك تكلف بكل عمل شاق لا يطاق، وحتى مكانتها الاجتماعية بين الناس محتقرة إذ يضرب بها المثل فيوصف من لا يفقه أو لا يفهم (بالبقرة)؛ مسكينة أنتي يابقرتنا الحلوب نمتص لبنك ونشربه سائغاً ثم لا ننزلك قدرك. لكنك لست أنت

الوحيدة المظلومة في حياتنا فالكثير ممن حولنا لهم نفس المعاناة ولهم نفس الهموم، وقد اعتادوا منا النكران والجحود، وكم فيك من الحكمة لو كانوا يفقهون، فأنت صابرة معطاء برغم أنك لا ترجين منهم أي عطاء، فلا تناقشين ولا تجادلين لا بالحق ولا بالباطل، بل فيك رمز الجَلَد والصبر والمثابرة والرضا، وتبحثين عن مصادر حياتك بنفسك، وتعملين بدون كلل، أو ملل، فلا منّة ولا فضل لهم عليك، بل لم تمنّي أو تذكريهم بكرمكم عليهم، ولو كانوا يعلمون لقبلوك من الجبين؛ وفيك معنى البذل بلا حدود. إن أبقار العالم تتكاتف من أجل تغذية الشرق والغرب بمشتقات الألبان، فهذا حليب يصدر، وتلك أجبان تستورد، وعندما يلزم الأمر فإن الأبقار الشهيرة بإنتاجها تسافر بكاملها من أجل أن تعين بعض المناطق المحتاجة بما تمتلك من مستودعات الخير العظيمة، أعتقد أنني يجب أن أخرج من هذا المنظر وبدون أن أقلب المواجع وأقارن بين أبقارنا المظلومة وأبقارهم المتنعمة.

في بقعة أخرى من تلك المنطقة رأيت عشيقاً وعشيقته قد افترشا فراشاً بألوان زاهية مخططاً بخطوط متقاطعة، افترشاه بجانب وأحد من تلك الأنهار، والأنهار بكثرتها وتفرعاتها وجداولها توفر المكان المناسب لكل قادم ليتذوق رشفة الحياة من تلك الجنان، على بساطهما ما لذ وطاب من المطاعم والمشارب، وفي أجوائهم نغم الحب الخالد، تسمع همسات الحب بينهما فتنقلها النسمات لقلوب المحبين في الكون كله لمن يعيش حالهم. لقد هب النسيم ليأنس بأجواء المحبين فهو يحوم حولهم ولا يبتعد كثيراً عنهم فكأنه يسليهم بعبثه بخصلات شعر الفتاة الذهبية، أما الشمس فهي حاضرة ولها مع الهواء لعبة أخرى في وجوه المحبين، فتارة ترسم أشعتها الدفء بخدودهم لتبين ملامح الحب والخجل على وجوههم، وتتركهم تارة للنسمات لتزيل ببرودتها ملامح العشق الذي نزل والخجل الذي حل فتنزل عليهم برداً وسلاماً وحباً ووئاماً، أما الزهور فهي تحتفي بالعاشقين بعبقها وتزين المكان بجمالها، وتميل منحنية لتسمع حديث

المحبين وهمسهم، وتعود متنحية عنهم عندما تراهم إليها ينظرون مبتسمين من حالها.

من تلك الأجواء خرجت إلى منصة العربة متوجهاً إلى المحطة الثانية ولأن المحطة الثانية كانت في مرتفع عالي فبرودة الأجواء جعلت حشيشها بين الحمرة والصفرة وفي منطقتها شيء من البرودة فلم تكن مكاناً مناسباً للتوقف فيها. نزلت من العربة الثانية وتوجهت للعربة الثالثة ميمماًً بوجهي صوب القمة، وأحسست أن العربة تسير ببطء أكثر من ذي قبل، فكأنها محبوسة الأنفاس ولا أعلم هل الارتفاع الشاهق أثر عليها أم أن العمر الافتراضي قد أكل منها فصار حمل الزائرين يثقل كاهلها، أم أن الروتين الممل صعوداً وهبوطاً جعل الحياة رتيبة حتى في عربة صماء صلدة.والسياح في هذه العربة وقوف وهم يتطلعون عبر النوافذ إلى القمة الجليدية، وينظرون كيف بدلت الأرض زينتها الخضراء بفستان العرس الأبيض وكأن اليوم يوم زفافها وكأن الزوار من السائحين عشاقها. وإن كان عددهم ليس

بالكثير ولكن من يراهم يجد أن الواحد منهم عبارة عن خزينة ملابس متحركة أو شماعة لعائلة كاملة، فوق رؤوسهم أكوام من الملابس وعلى الرقاب أكوام من اللفائف وعلى الصدر والظهر ما لا يطاق من الثياب، وعلى الأيدي والأقدام جوارب من كل الأحجام. أحسست بالبرد من منظرهم قبل أن تطأ قدماي أرضهم؛ ولما بلغنا للقمة ظهرت ابتسامات على وجوه الركاب بعناء من بين أكوام الملابس التي يرتدونها، فبادلهم منظم العربة بابتسامة أكبر ولكنها أكثر خبثاً فكأنه يقول: سوف أرقبكم عندما تعودون كيف تكون ابتساماتكم!! فهل ستعودون بنفس الابتسامة أم سوف تتجمد ابتساماتكم بفعل الجليد الذي أحاط بكم..؟! فتح الباب وكأنه سمح لكل البرد في العالم ليدلف إلينا، أو كأن الذي كان يفصلنا عن فصل الشتاء القارس هو فتح ذلك الباب، لقد كانت صفعة البرد على خدي كبيرة– عفواً لم أحسن التعبير – أليمة جداً جداً بالقدر الذي لا أقدر أن أصفه، وكأني الوحيد في العربة قد أستحق هذه الصفعة برغم أنني مسالم ولم أنطق بكلمة واحدة ولم أغمز أو ألمز؟

وأعلم أنني لن أستطيع تعديل تلك الصفعة إلا بصفعة مختبئة من صحاري نجد مساوية لها بالمقدار معاكسة لها بالحرارة، تصور أنك تمشي ثم تجمدت، نعم تجمدت؟! ومن حسن حظي أنني تجمدت على جانب العربة فلم أكن متجمداً في بوابة العربة، فلو كان ذلك لسببت مشكلة لدولة النمسا وللسياح من أقطار العالم الذين يقدمون لتلك المنطقة للنزهة وبالذات للسياح الراغبين بالخروج من تلك العربة، تحركوا وتجمدت، خرجوا وبقيت، تبسموا وبكيت، ما هذا الذي يحدث لي؟! نظرت لمنظم الرحلة نظرة استجداء لعله يقيني بالعربة حتى يعود السياح إليها بعد تجوالهم الممتع في تلك القمة، وأن يتركني أتأمل القمة والناس من خلف النافذة الزجاجية عن كثب مع تعهدي إياه لا أحدث أي ضجيج، ولكنه هو الآخر لم يدع لي فرصة للتعبير عن رغبتي هذه رغم أن حرية التعبير عندهم مكفولة، فقد رأى أن يطبق علي نظرية الدجاج المجمد ويستمتع بمراحل تلك النظرية، والنظرية تعني أن يتم إطلاق كتلة باردة مفاجئة على جسم دافئ فيتحول كل اللحم والدم وكل السوائل في الجسم

إلى حالة صلبة فيكون ككرة متجمدة، أضنه يريد ذلك. لأن لغة الصمت بيني وبينه هي السائدة ولغة النظرات هي قائدة الحوار في ذلك اللقاء، ثم بدأت لغة النفث..حيث رأيت بخاراً من فمه يتطاير فكأنه مدخنة في عز فصل الشتاء، ثم تبعه نفختين من أنفه الأحمر كقطار بخاري قد أعياه طول الطريق، ثم سرد لي بعينيه المثل الأسباني القائل:"الخوف والحب لا يأكلان من طبق واحد". أدركت عندها أن النزول من العربة قد وجب بعد ذلك الحوار المختلف اللهجات؛ بعد هذا الذي حدث بقيت متجمداً في مكاني لا ألوي على شيء..إلا النظر إلى منظم الرحلة ثم التأمل في القمة من خارج العربة وكأنني أنتظر أن ينزل عليّ حل سحري أو يدخل علي مع باب العربة..لكن من أين لي الحل؟ لا أعلم؟!، إذاً لا مفر من النزول إلى ساحة الوغى شئت أم أبيت. يقول نصر بن سيار: "كل شيء يبد صغيراً ثم يكبر، إلا المصيبة، فإنها تبدو كبيرةً ثم تصغر". حاولت أن أململم أطراف المصيبة العظيمة وأن أجعلها مصيبة صغيرة تناسب المقام، فنجحت في ذلك.إذ خرجت إلى الكون الأبيض فإذا كل

شيء يتحدث بلغة الصفاء، بشكل بسيط تصور أن العالم كله يرقد على صحيفة بيضاء وأن هناك نقطاً ملونة صغيرة وفي وسطها نقط بيضاء صغيرة جداً بل متناهية بالصغر ولونها أبيض، فالصحيفة المذكورة هي القمة الجليدية والنقط الملونة الصغيرة هي الناس هناك بملابسهم الملونة الزاهية وأما النقط البيضاء المتناهية في الصغير في وسط تلك النقاط الكبيرة إنما هي أسنانهم وهي تبدو مبتسمة سعيدة مسرورة بذلك المسرح الكوني الرائع.ولكن لو دققت النظر لوجدت أن كل تلك النقط متحركة إلا نقطة عربية واقفة تتابع المشهد وبملل، ولو دققت النظر أكثر فإنك لن تجد تلك النقطة مبتسمة بل هي حزينة بائسة.

رأيت الناس من حولي يحاولون أن يقضوا على قوة البرد القارس إما باللعب بالثلج أو التزلج على الجليد، حاولت مثلهم فعجزت، دعوني أحدثكم من قلب الحدث فأول المشاكل أنني لا أستطيع التحكم بأقدامي، ليس من شدة البرد فقط بل لأنني لم ألبس أحذية مناسبة

للقمم الثلجية، والتي تمنع الانزلاق، كل قدم من أقدامي قد اختارت طريقاً لها وبدون أن تستأذن مني، فواحدة ذهبت ذات اليمن والأخرى ذات الشمال، فذهبت لأجمعهما، فوجدتهما بعد جهد جهيد أنهما قد اختارتا طريقاً آخر فواحدة قد سارت للأمام والأخرى عادت للخلف، وكأنهما تريدان أن تهربا ممن أوقعهما في شراك تلك الثلاجة الواسعة، أو أن تتبرآن من صاحب هذه الفعلة الشنيعة، ولعلي ألتمس العذر لهما بأنهما قد فضلتا الحركة على السكون من أجل تبديد البرد الذي بدأ يتسلل إليهما، ماهذا الذي يحدث؟ هل من المعقول أني لا أستطيع أن أجمع أقدامي تحت جسمي؟ أو أنني لا أتحكم بأطرافي؟ من هذا الموقف علمت أن المرء لا يكفي لكي يقف أن يكون له قدمان بل يجب أن تكون تحته أرض مناسبة للوقوف، وعلمت أن الله -سبحانه وتعالى- سخر كل شيء في هذه الأرض من أجل الإنسان ليعمرها فالأرض لو كانت ناعمة مصقولة لعجز الناس عن السير فيها والحركة عليها، كذلك

علمت أن المرء لا تكفيه المؤهلات من أجل أن يقف على قدميه بثبات إن لم تكن هناك بيئة مناسبة تساعده على ذلك.

نعود لأقدامي..نحن ثلاثة في واحد، قدم تريد أن تذهب إلى اليسار وقدم إلى اليمين وأنا الوحيد أريد الثبات والوقوف؛ لقد عزمت أن أوقع اتفاقاً معهما أساسه التفاهم وحسن الجوار وأن يبقيا تحت جسمي إلى أن أصل إلى ذلك الحاجز الخشبي المتثلج، وأن يساعداني أن أستند إليه حتى يقضي الله بأمره، وذكّرتهما أنني قد كنت أسعى طوال حياتي في خدمتهما والذهاب بهما إلى ما يريدان، وأنني قد ساعدتهما في أيامهما الأولى عندما كانا يخطوان ويسقطان، وأننا كنا على اتفاق دائم ولم يقع منا خلاف من قبل، فلِمَ الخلاف في أرض الغربة؟ هل لأن الغرب يقدر الحرية مهما كانت الحرية وإن كانت لجزء منك يريد أن يقتص منك، أعلم أن الغرب هنا من الممكن أن يعطيكما حريتكما فيقول لكما أذهبا فأنتم الطلقاء، فسيرا كيف شئتما وسافرا لوحدكما إلى أي مكان تريدان وأبقى أنا

التابع لكما أينما سرتما، وأدفع مصاريف تنقلكما..بعد هذه الخطبة البليغة استكانتا، فأوصلتاني إلى ذلك الحاجز الخشبي، ولقد وصلت بالسلامة فكنت أخشى السقوط مع كل خطوة، والسقوط قد يكون له عواقب وخيمة، والعواقب الوخيمة ليست خسائر جسدية فقط، بل هي خسائر معنوية أشد وأدهى، إنها اهتزاز للمبادئ والقيم الأساسية في أعماقي. وفوق كل ذلك أجهل محتويات الجبل ولكن أعلم يقيناً لا يقبل الشك أنه لا يوجد في القمة خياط، وقد يسأل سائل ما الذي أتى بسيرة الخياط، فأقول عندما تذهب قدم إلى هنا وقدم إلى هناك، فمن المؤكد أنني سوف أحتاج إلى خياط يرقع ما أفسده الثلج إن سقطت نتيجة افتراق الأقدام، وبالتأكيد أنني لن أنزل بهذه الهيئة المشينة للقاع رغم أن الحرية هناك موجودة هناك بعض الشيء، ولكن لا تصل الحرية لهذا الأمد، وقد يعذروني بعض الشيء أنني كنت محافظاً هناك في القاع؛ وعندما وصلت إلى القمة تنازلت عن بعض المبادئ وصرت أدعي الحرية وأني واحد ممن يريد أن يشرب من كأسها المر، كما يفعل الكثير من بني البشر عندما

يتبدلون ويتغيرون مع القمم والتي تستلزم بنظرهم أن يغيروا مابأنفسهم وينسلخوا من كل مبادئهم وثقافتهم التي رضعوها منذ الصغر، ورحت أبعد عني هواجسي وأتمسك بالحاجز الخشبي وأسير بمحاذاته على هذا البساط الثلجي كطفل صغير بدأ للتو يخطو خطواته الأولى على الأرض، أما الناس من حولي فهم منطلقون فرحون. أما أنا فقد وقفت أتأمل ذلك المشهد وأتفكر بهذا الجمال مقارناً بينه وبين ماكنت أعيشه منذ فترة بسيطة من جمال في تلك البقعة الخضراء في المحطة السابقة، وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– قد جعل كل ذلك التنوع في بقعة صغيرة من الأرض يختلف جمال رأسها عن وسطها عن قاعها، بل إن كل واحد من الثلاثة يفتخر أنه الأجمل ويستعرض مفاتنه أما زائريه، وبينما أنا بهذا العالم البديع سارح متفكر..إذ لاحظت أن كهلاً وعجوزاً يتعاضدان ويتجهان إليّ، ألقيا علي التحية واستأذناني قائلين: هل تستطيع أن تلتقط لنا صورة تجمعنا سوياً على رأس تلك القمة؟ فكان الجواب: بالطبع نعم، لقد وافقت خجلاً واحتراما، خجلاً ذلك أنني أخشى أن

أسقط أكثر من مرة قبل أن أصل إلى رأس القمة، خجلاً أن تكون قدماي قد خانتا العهد ولم تثبتا بشكل مناسب وبالتالي تخرج الصورة مهتزة فتضيع أحلامها الذهبية. ووافقت احتراما لذلك الحب الذي يجمعها برغم تقدم سنهما، فلم تقطع الحياة وهمومها أواصر الاتصال بين حبيبين جمعتها العيشة الزوجية لسنين طويلة، واحتراماً لهما لأن الملل لم يتسلل برغم تلك السنوات الطوال، احتراماً لهما لأنهما بقيا مترابطين وكأنهما عريسين يُزفان هذه الليلة، بل هو يعاملها كأنها صغيرته المحبوبة وفتاته الجميلة وشابته الوحيدة وقد طبق مقولة (كابو) بحذافيرها حينما قال:"أذكى الأزواج وألطفهم معشراً، هو الذي ينادي زوجته – مهما بلغ العمر – يا صغيرتي". إنني وقفت في نفسي متسائلاً مالذي يجعل الحب لديهم يعمر كل هذا العمر، أما عندنا فلا تكاد تمضي السنوات الأولى من الزواج حتى تختفي من بين الزوجين أكثر مظاهر الحياة الطبيعية، فتجد أن اللقاء فاتر في أغلب الأحيان، وأن الحوار ميت إن لم يكن قد دفن في مقبرة وطمر منذ زمن، فالنظرات في حياتنا الزوجية نظرات عتب، أو نظرات تشفي،

أو نظرات تبحث عن زلة من أجل إشعال شرارة المشاكل الزوجية، ورأيت في عالمنا أن الرجل مع العمر يهرب من زوجته وبيته ويلجئ إلى صحبه أو متجره حتى لا تلحق به هموم البيت، ورأيت أن المرأة تهرب من هذا الواقع بهروب آخر بأن تقضي جل وقتها بالمحادثات الهاتفية، أو باللقاءات النسائية، أو بالخروج والتسوق، بل حتى عندما نخرج للمتعة تتحول متعتنا إلى نكد وضنك، وتزداد الفجوة بين الزوجين، وتكون التكشيرة هي البديل المناسب عن البسمة، وتكون الكآبة بديل السعادة، وتكون الحياة مملة لدرجة أنها كحكم مؤبد بالبقاء مع الأعمال الشاقة، وهو بقاء بنية الطلاق، وحياة كالممات، وعيشة بأي معنى وبلا معنى، لماذا تذبل زهرة الحياة باكراً في عالمنا؟ونراها تقترب من النهاية من قبل أن تأخذ عمرها الافتراضي، لماذا صيفنا لافح، وشتاؤنا قارس، وخريفنا مميت، وربيعنا ذابل؟ لماذا نصنع الجحيم في كل مكان؟ فالحياة الأسرية نجعلها مملة، وحياة العمل نجعلها مقيتة، وحياة الصداقة نجعلها كآبة، فهل نحن صناع تعاسة؟!لو كنت أعرف جواباً لأجبت!!

دعوني من نظرتي التشاؤمية هذه، لأعود إلى القمة الجبلية حيث تقف تلك السيدة وقد مالت بجسمها بأكمله إلى زوجها وكأنها تحضنه أو تريد عهداً منه أن يسندها في نهاية عمرها، أو تريد أن تكون هي هو وهو هي، أو أن يكونان كلاهما في جسد وروح واحدة، ثم ابتسمت ابتسامة صافيه نقية، متيقن أنها قد احتفظت بها في قلبها من ليلة الزواج الأولى ولم تستخدمها من قبل، حتى سنحت الفرصة على هذه القمة لتستخدمها كهدية وذكرى لحياتهما السعيدة، وأضنها قد حفظت جيداً الحكمة التي تقول:"الزوج كالمصور، يريد من زوجته أن تبتسم" لذا رأيتها دائمة الابتسام، وكلما اقتربت ساعة الصفر لالتقاط الصورة أحسست أن خدي تلك السيدة قد مالتا أن تكونا ورديتان ثم تدرجتا بالتلون بازدياد حتى أصبحتا قريبتين للحمرة، فكأنها قد فعلت ذلك عنوة من اجل أن تخرج الصورة بكامل تلك الزينة، أو كأنها تذكرت شبابها وحياتها في الصبا، وكيف كانت سعيدة عند كل لقاء، وكيف كان الخجل ملازماً لخديها، فأراد الخد أن يوقع كشاهد على صدق تلك الأقوال

عبر الصورة الملتقطة في أعالي تلك الجبال، الزوج يبادلها النظرة بل كأني أسمع خفقات قلبه المحب، وفي عينيه بريق من الحياة السعيدة، ونظراته تشع عن أماني متحققة وحياة موفقة، وبسماته تحكي كل الرضا عن الماضي بكافة أطيافه؛..انتبهت للتو أن السيدة قد اختارت أجمل ملابسها، بل أعتقد أنها ترددت كثيراً قبل أن تقرر لبس تلك الألوان المميزة، أما التناسق الذي أخرجت به تلك الزينة فكأنما أشرفت عليه كبرى دور الموضة، وعجبي !! إذا كان هذا اختيار الكبيرات؟! فكيف يكون اختيار الشابات؟! وأعجب أكثر إن كان هذا اهتمام المسنات بلبسهن وزينتهن؟! فكيف باهتمام الفتيات؟! كما انتقل ذهني مباشرة إلى نسائنا وكيف أن البعض منهن لا يبالين بلباسهن، وكيف أنهن يسعين دائماً لشراء أغلى الملابس من أشهر الماركات ثم يحتفظ بها في خزينة الملابس للتاريخ وللذكرى، فكأن مخزن الملابس متحف يضم كل فريد وجديد ومن خلف الزجاج يرى ولا يلمس أو يستخدم، ويشترين أكثر المستلزمات النسائية الأخرى من أشهر الماركات أيضاً من أجل أن

تتحدثن عنه في المجالس النسائية، فتقول الواحدة منهن أنها اشترت بالمبلغ الفلاني عطراً تفوح رائحته من الشارع الثاني، وزوجها المغلوب على أمره لا يشم إلا رائحة البصل المطعم بالثوم والفلفل من ثوبها، وتجد أخرى تفتخر أن زوجها قد اشترى لها من سفرته الخارجية، من ذلك المكان القصي الملابس التي لا يستطيعها إلا أولوا السعة في الرزق، وقد تحرص على أن تلبسها في كل مناسبة وتتزين بها أمام كل الناس وذلك المغلوب على أمره يتفطر قلبه أنها لم تلبسها له ولا مرة، وثالثة تطارد الموضة من محل إلى محل والزوج المغلوب يتبعها لاهثاً لعله يحظى بنصيب ولو ضئيلاً من المشتريات والتي تملأ بها سلال المتاجر لكنه في النهاية لم يفز ولو بقطعة واحدة من تلك القطع الفاخرة، وهذا الأمر مقلق أن تتعمد بعض النساء حجب الزينة عن أزواجهن، وتجتهد بإرضاء كل الناس إلا أهم الناس، وأن تتزين عند الخروج و(تتشين) عن الدخول، وأن تبتسم في المجالس و(تكشر) في البيت، وتتمنى قصص الحب الرومانسية وهي لحياتها الشخصية ناسية منسية.طبعاً ماسبق من الكلام عن نسائنا هو الكلام عن الشابات

أما الكبيرات فحاشاهن..فهن يعتقدن حرمة الزينة وأن هناك أجماع من صغار أهل العلم الجهلة على أن الزينة لها مدة معلومة فهي تبدأ عندهم من ليلة الدخلة وتنتهي في ثاني ليلة من شهر العسل الأبيض (المنيل بنيلة).

أعود لحديثي بعد أن التقطت الصور سألاني هل تريد التصوير على حافة القمة كرد للمعروف بمثله، فهززت رأسي بالموافقة التي لا بد منها ذلك خشية أن أكسر قلب العصفورين المعمرين، فتركت الهاوية السحيقة من ورائي، والمنحدر أمامي، وابتسمت بسمة بيضاء اكتسبتها من تلك البقعة النقية، ولم ألحظ إلا والرجل وزوجته وهم يصغران بعيني ويكبران في نظري بينما هما يبتعدان عني، لقد التقطا لي الصورة وسلماني الكاميرا وأنا أفكر بأشياء كثيرة، أهمها كيف بدوت في عينيهما بعد أن ابتسمت لهما ابتسامة رقيقة. ثم عدت إلى العربة مودعاً المكان بفوائد عديدة وأهمها أنني متجمد جداً وأحتاج إلى حمام دافئ لكي تنفك عُقد التجمد المتمركز في أنحاء شتى من

جسدي، بالمثل كما نفعل بالدواجن المجمدة، عند غمسها بقِدر حار من أجل أن ترتد لحمة طرية لنميز العظم فيها من اللحم.

نظرة من أعالي جبال كريمل Krimml: في رحلتي السابقة إلى مدينة زيلامسي كانت الجولة بالسيارة ونظرت إلى القرية وبحيرتها عبر الجبال المحيطة بها بعد أن مررت بطرق متعرجة صعبة، وفي رحلتي إلى قمة الثلج كابرون وصلتها عبر العربات المعلقة (التلفريك)، أما رحلتي هذه فهي إلى أطول شلال في أوربا إنها المنطقة المسماة "شلالات كريمل Krimml Falls" فقد قررت أن أخوض تجربته بالسير على الأقدام وذلك من أجل أن استمتع بمنظر الشلال من زوايا عدة، عندما تدخل إلى المنتزه المؤدي إلى الشلال سوف تجد في أوله مفترق طرق، طريق يؤدي إلى مجرى النهر المتكون من المياه الهابطة من أعلى الجبل، وهذا المجرى النهري مناسب لمن يريد أن يستمتع بمنظر الشلال وهو يهبط من الأعالي، ثم يُكون النهر، فيرى الزائر النهر وهو يتمايل طرباً ومن حوله الطبيعة تغني

وتتغنى بجمالها، والأجواء في تلك المنطقة رذاذية منعشة، لأن الشلال يهبط بقوة، فينشر في محيطه قطراته الندية، المكان مناسب لمن يحب أن يعيش لحظات تأمل، ولمن يبحث عن بيئة للتفكر، ومكاناً مناسباً للخلوة مع النفس، فما عليه إلا أن يستند على تلك الأشجار المنتشرة بقرب مجرى النهر ويسرح في عالمه الخاص.

أمّا الطريق الثاني من هذا المفترق فهو يصعد بالزائر إلى بداية مصب النهر من أعلى الجبل، وهو الذي سلكته، ولم أتوقع أنه بالغ الصعوبة، فهو يتدرج بك من أسفل الجبل حتى تصل إلى أعلاه، عبر طريق ملتو وجسور تنقلك من جبل إلى آخر، وتعبر بك شلالات المياه المتساقطة وبقوة من أعالي ذلك الجبل..الزحام على أشده في المسار المخصص لزائرين، ومن بين أولئك الزائرين كبار في السن، فعلمت بقراءة سريعة للأحداث أن الأمر يسير وإلا كيف يصعد هؤلاء الكهول؟ امتطيت صهوة حذائي سالف الذكر، والذي تذوق المرارة للمرة الثانية أيضاً حيث أنني لم أحسب حساباً لصعود الجبل

مشياً على قدمي بحذاء لم يُصنع للمشي مسافات طويلة، ثم إنني لاحظت الأجواء في أسفل الجبل فرأيتها رائعة مناسبة فسخرت بيني وبين نفسي من أولئك الجبناء الذين يشترون الملابس البلاستيكية المخصصة لحماية الملابس القماشية من الأمطار،فإذا بي أراني أشد الناس جهلاً بتلك المنطقة بعدما رأيت أننا كلما اقتربنا من الشلال ازداد الرذاذ المتطاير وأصبح بإمكانه أن يبلل محلاً كاملاً من محلات بيع الأقمشة، فكيف بقميص كاد أن لا يستر صدر ذلك الشاب العربي الضعيف.

بدأت صعود الجبل بنشاط وهمة، وكعادتنا نحن في بلادنا نسير سيراً حثيثاً أول الأمر ثم لا تلبث أن تخور قوانا بعد وقت قصير ونفقد الحماسة، وكعادتي أنا بالذات في رحلاتي أحب أن أكون في المقدمة، لأن ذلك يعطيني إطلالة جيدة، وإمكانية في التصوير قد لا تتحقق في المكان المزدحم، لذا كان سيري سريعاً، كجلمود صخر حط من علٍ. ولكني أحسست بعد أن قطعت ثلث الطريق أن الأمر ليس

باليسير كما توقعت، بل إن الصعود على الأقدام يحتاج إلى لياقة عالية، وتوزيع للمجهود على كافة مراحل الصعود، وهذا مالا يتوفر لدي ولم أرتبه بشكل مناسب، لذا قررت أن آخذ قسطاً من الراحة على الكراسي المنتشرة على جانبي الطريق، والتي قد خصصت لكبار السن ممن لا يستطيعون أن يتحملوا الطريق دفعة واحدة، وما إن مكثت يسيراً إذا بكل الجموع التي سبقتها تتقدم زاحفة، وتسير مستأنسة سعيدة، وتتأمل وتتفكر بجمال كل لحظة، وليس كمثل الشاب العربي الذي كأنه قد هرب من جريمة، ولاحظت أن كبار السن يبتسمون وهم يصعدون، وبأيديهم عصي مخصصة لتعينهم على صعود القمة، ولم يفكر أحد منهم أن يأخذ قسطاً من الراحة، فبنظرهم أن الوقت لا زال مبكراً على ذلك فخجلت من نفسي من نظرات الشباب الذين يلومونني لما جلست على الكراسي المخصصة لكبار السن، وخجلت من نفسي خجلاً مضاعفاً من نظرات الكهول وهم ينظرون إلي نظرة إشفاق ورحمة من هذا الشباب الذي فقد عزمه، وأما السياح اليابانيون فشأنهم غريب فكل واحد منهم

يحمل التقنية في كافة أطراف ملابسه من الأدوات اللازمة لهذا الصعود،، فقميص فيه جيوب عدة، والجيوب في وسطها جيوب، ومن فوقها سترة لكافات معدات التقنية ومنها معدات التصوير المختلفة والتي تحتوي على كل مايخطر ببالك ومالا يخطر ببالك من تجهيزات التصوير فهذا حامل الكاميرا، وذلك شاحن، وتلك عدسات تبدأ صغيرة ثم تتزايد إلى أن تكون كبيرة جداً، فمن شكلها تستطيع أن تحكم عليها أن لها القدرة لتصور قطرة من المزن نازلة، أو أنها تصور نملة تسير على قمة الجبل، ناهيك عن محددات الاتجاه الرقمية، والبوصلة ذات المؤشر، فمن يراهم يعتقد أنهم سوف يصعدون للقمر، أو أن الاستفسار والسؤال لديهم قد حرم في عالم الترحال، وبرغم ذلك لا يثقون كل الثقة بالتقنية الحديثة، فالأقمار الصناعية قد تتعطل ثانية فيذهب من عمر الرحلة الكثير، والذي يقاس بالجزء من الثانية، لذا فالاحتياط واجب فلديهم كتيبات سياحية، وجداول مختلفة وخرائط تتحدث عن كل صغيرة وكبيرة لأرض المعركة، وتجد الواحد منهم يضع يده خلف ظهره ثم يخرج

الخريطة الأولى ثم يتناقش مع صحبه، ثم يقهقهون معلنين النصر والتمكين، فيسارعون بالتقاط الصور ثم يمضون قدماً نحو هدفهم الذي يبتغون. فهم بحالة غريبة، ووضع لا يدل على أنهم ينشدون سياحة ممتعة، بل كأنهم في رحلة مساحية لا سياحية، وكأنهم في تحدٍ مع كل شيء، وكأنهم يريدون أن يثبتوا للعالم أن تقنيتهم تستطيع أن تفتفت الصغير والكبير، وأن بينهم وبين الأمم المحيطة بهم عصوراً طويلة قبل أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من التقنية والتنظيم، وفي نظري ليست كل تلك التجهيزات سيئة بل أن المبالغة في استخدام التقنية أو تقنين الرحلة بخرائط وجداول مبالغ فيها قد يذهب ببعض رائحتها الطيبة من المفاجئات العابرة؛ وبنظرة فاحصة لجميع الصاعدين الأوربيين والآسيويين والكبار والصغار تجدهم يحملون على ظهورهم حقائب الترحال، وكنت أتمنى أن أكتشف ما بداخلها، ولما غزاني الجوع وفقدت كل السعرات الحرارية جراء صعود المرحلة الأولى لاحظت أن الناس من هؤلاء يدخلون أيديهم خلف ظهورهم وهم يسيرون فيخرجون مالذ وطاب من المطاعم، وعندها

فقط أدركت مافي تلك الحقائب من الفائدة العظيمة وأنني على خطأ وخطر إذ لم أحمل على ظهري حقيبة مثلها، فالواحد منهم يضع يده فيها فتخرج له شطيرة كبيرة بالكاد يستطيع أن يدخلها في فمه، ثم يدخل يده مرة أخرى خلف ظهره فيخرج علبة غازية تساعده في تفتيت وهضم تلك الشطيرة، وأنا المسكين أقف على حافة الجبل والجوع يكاد أن يفتك بي، إذ لم أحسب الحساب لمثل هذا الموقف، وليس ذلك وحده الذي يضيرني بل الذي يكاد يفتك بي أنهم يأكلونها على مهل وكأنهم يريدون أن يزيدوا من غيظ ذلك الشاب الذي أكل منه التعب والنصب وشرب بصعود الجبل.

لم يكن هناك من بد من تكملة المشوار للاقتراب من الشلال أكثر، وهذه التكملة تتطلب أن أزيد من حماسي وقوتي، وأن أدفع نفسي للمقدمة مرة أخرى، ورأيت أن الممرات تكاد أن تحيط بها سوق الأشجار من كل جانب، فتتسلل أشعة الشمس من بينها لتنير تلك الممرات بشكل خطوط نافذة، وبشكل دقيق بالقدر الذي يضيء

أقدام المارة، ومع القرب من مصدر الشلال بدأت القطرات المتطايرة منه تبلل ملابسي، بينما طفق الناس من حولي يلبسون السترات البلاستيكية، فلما كان أخوكم من قبل قد فاته أن يشتري تلك الملابس المعدة لمثل هذه المرحلة، فقد انهمر عليه الماء، وبلل كل صغير وكبير من ملابسه، حتى غدا وكأنه قد خرج للتو من غسالة، ولما كان الهواء بارداً والشمس لا تخرج إلا بزيارات قصيرة من بين جذوع الشجر، أحسست ببرد قارس، وتيار هوائي قد ضل طريقه فسكن بين جسدي وملابسي وأخذ يتنقل بينهما كيفما شاء، فهو يتنقل وبمتعة، محدثاً حالة من الصقيع غير المستحمل، خفت الخطوات وتبدل الدفء في جسمي إلى رعشة برد، وفتر الحماس عندي وأحسست أن ركبَتَيَّ لن تستطيعا حملي بفعل المسافة التي قطعتها وبفعل البرد الذي جثم عليهما، وأدركت أن جسمي يريد أن يقول كلمته الأخيرة: الوقوف هنا أو العودة، فبادرته بالقول: ما الذي جرى لك ياصاح؟ قال: برد..وصعود..وجوع..وضعف لياقة، فليس لي بذلك طاقة، فاقتنعت بعذره هذا ورجعت فإذا الرجوع

أصعب وأمرّ، فكأن (كوابح) قدميّ قد انفرطت وأصبحت غير قادرة على العمل بشكل مناسب، ولم أستطع أن أمسك نفسي في هذا الهبوط الاضطراري من على هذا المنحدر الخطير، بل خشيت أكثر من مرة أن أسقط على وجهي، أو أن أصطدم بكل قادم وأنغص على كل سائح رحلته، نتيجة السرعة المذهلة التي قادها جسمي المتهور، ولا أدري هل كل ذلك هرباً من ذلك البرد والرذاذ؟ أم أنه الجوع قد جعل الجسم يبحث عن أقرب السبل..وبوقت يسير وصلت أسفل الجبل وبعد أن فقدت التحكم بكل أطرافي، وبنَفَس ثائر لا يكاد يتوقف، وبجسم محطم..وصلت للسيارة وأخذت فترة لأستعيد نشاطي، وأشعلت مدفئة المقاعد لتجفف الملابس، وماهي إلا دقائق عدة حتى بدأت أبحث عن مغامرة أخرى من بين البرنامج المعدة.

في كل أرض حديث: تقول قمر كيلاني:"الكتابة كالماء المالح، كلما شرب منه الإنسان عطش". أيضاً يحسن

بالكاتب أن يجعل حتى القارئ عطشاً لما يكتب وينتظره بشوق. وبما أن القارئ يحب التجديد، وسرد الرحلات بشكل مكرر قد يُفقد المعلومة قيمتها ويفقد الكاتب بريقه الذي اكتسبه؛ وذلك حري أن يجعل المحتاج للمعلومة يبتعد بالكلية عن التقارير السياحية ليس زهداً في المعلومة ولكن لأنه يبحث عن من يقدمها بشكل أكثر تميزاً وأشد اشتياقاً، فمن هذا الباب نجد أن كتّاب الإنترنت والمهتمين بالتقارير السياحية يجتهدون من أجل أن يكتبون بشكل متجدد،ولأنني منهم فإنني حاولت مثلهم أن أكتب رحلاتي التي قمت بها إلى مناطق مختلفة بشكل مغاير لكل رحلة وأن تلبس كل واحده منها ثوباً يميزها عن غيرها، وذلك بأن استحضر جمال كل منطقة وإن غاب عن العيون، وأفتش عن مكامن الحسن فيها وإن خفي عن القلوب، واستخلص المميزات وإن فقدتها العقول، فأجد فيها بعد طول بحث من الجمال ما يجعلني أفتتن بها دون غيرها، وأقتنع بها عما سواها، حتى لو كانت قطعة نار من صحراء قاحلة، أو غابة مجهولة في بقعة بعيدة، أو وادٍ سحيق في منطقة قصية،

وعلمت من ذلك أن الجمال له أسرار يجب البحث والتنقيب عنها، وأن الرؤية السطحية لا تفي بالغرض لمن يبحث عن اللؤلؤ والياقوت والمرجان، وأن بريق السراب لا يروي العطش، وأن سنا البرق لا يكفي لنزول المطر، وأن وجود الماء لا ينبت الزهر، ولكن يتطلب الأمر أن يكون المرء مشاهداً لما خلف المشاهد، وأن يكون متأملاً لما خلف الصور، ومتعمقاً في البحث عن مكامن الجمال، فالتأمل هو نصف السياحة أو يزيد..بل يزيد،نتأمل ونكتب ليس من أجلنا فقط بل من أجل من يتابعوننا خلف الشاشات، وقد نسافر من أجلهم، فإما أن نخيب ظنّهم بنا أو نفوز برضاهم، أو قد تُخَيب تلك المناطق ظنّنا فنصاب بالإحباط، أو تملك إعجابنا فنشعر أن لدينا غنيمة يحسن بنا اقتسامها مع من يحبنا ونحبه، حتى إن كان الذي نحبه ويحبنا لا يعرفنا ولا نعرفه، أو إن كان لم يفكر بنا أننا نفكر به في رحلاتنا، إن من يسافر لنفسه ليستمتع لوحده فهو يسير على مهل، ومن يسافر وفي ذهنه أن هناك أناس ينتظرونه فسوف يختلف عنده الأمر وتتبدل لديه الخطط، ففي مثل هذه الحالات من الرحلات

ليس ما نحب ونهوى هو الذي نذهب إليه ونشاهده ونتعرف عليه فحسب،بل إن خلفنا قرّاء تختلف مشاربهم وهواياتهم ورغباتهم، فهم يريدون منا أن ننقل كل شيء إليهم، متطلعين باشتياق إلى ذلك اليوم. ولن نحس بالرضا إلا عندما نشعر بحسن إيصال الأجواء التي عشناها إليهم، فإذ لم نستطع الوصف بشكل دقيق، أو خاننا الحرف في وقت عصيب، وفقدنا القدرة على الصياغة في وقت الحاجة، فتلك خيبة الأمل..بعدما كان قصدنا أن يحسوا بالأجواء التي عشناها فيرتعدون من صقيعها، أو يتأوهون من حرارتها، وأن يشعروا بالسماء الملبدة بالغيوم من فوقهم فيتلمسون القطرات المتساقطة منها ويحسون بالانتعاش جراء سقوط حبيبات المطر على وجوههم، فإن خاب الظن ولم يستشعروا ذلك فإننا نعتبر أنفسنا أنَّا لم نوصل لهم ذلك الشعور الرائع الذي وجدناه، ولم نشبعهم من وجبتهم المفضلة، بل جعلناهم معلقين ببعض الحسن وينتظرون من يميط اللثام عن تفاصيل ذلك الجمال.

لذا ففي كل مرة أسافر أحاول أن أرجع بشيء جديد، من أجل أن أجعل القراء يندهشون، أو أحرك في أذهانهم بعض علامات الاستفهام، أو أزرع في نفوسهم بعض الأسئلة، بل أكون أكثر سعادة عندما أعود من السفر وأقدم معلومة فريدة، أو مكاناً مجهولاً، أو دولة غامضة؛ فعندما زرت الهند رأيت العجائب، فسررت بذلك فهي من الدول التي يجب أن تجعل فيها عينيك مفتوحتين وفي كامل أتساعهما فالغريب قريب منك، والجديد أقرب إليك أكثر مما تتصور؛ لذا فالتقرير إن استطعت أن أصوغه بشكل مناسب سوف يكون هدية قيمة للقراء، وحدث يستحق أن يروى للصحب.

يقول بيتشر:"الكتب نوافذ تشرق منها النفس على عالم الخيال". وأقول إن الهند هي نافذة واسعة تشرق منها النفس على عالم الخيال. عن الهند الحديث لا يمل بل إنها حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة، وفي كل ليلة ألف ألف رواية، والحديث عن الهند ليس له بداية ولا نهاية، والحديث عن الهند لا يمكن أن يكون منصفاً لأن

الحديث عن كل الغرائب في شبه القارة الهندية لن يكون شاملاً، ومن ينصب نفسه من أجل أن يتحدث عن الهند بكبرها فقد سقط من أول الطريق، ولكن لن أعود من هذه الصفحة حتى أفتح جزءاً من نافذة الهند الكبيرة، وأكتب سطراً عن غرائب تلك الدولة الرائعة الغريبة.

إن كل شيء في تلك الدولة عجيب فما إن تخرج من بوابة الفندق حتى ترى العجب العجاب، فالطبقية في ذلك المجتمع واضحة ظاهرة، ولقد رأيت الفريقين بنفسي..فأشد الناس فقراً في تلك البلاد وأكثرهم ثراءً يتجاورون في بقعة واحدة، حيث سكنت في العاصمة الاقتصادية (ممبي) وفي فندقها الشهير(تاج محل) والمعد لكبار شخصيات المجتمع والاقتصاديين والزوار السياسيين،ورأيت الوفود من السفراء والتجار من كل دول العالم يتوافدون إلى باحات ذلك الفندق، وفي الجهة القريبة يسكن على الأرصفة الطبقة التي تعيش تحت مستوى الفقر، بل إن الفقراء في العالم يحمدون الله صباح

مساء على حالهم عندما يرون هؤلاء، فالفقراء هناك يقتسمون الزبالة مع الكلاب والقطط، فهم ومع كل صباح يذهبون إليها فيأخذون ما يريدون ويتركون لأصدقائهم من الكلاب والقطط المتبقي الذي لا يمكن أن يؤكل أو يستفيدون منه، أيضاً عندما تجوب السيارة شوارع المدينة ترى مساكن هذه الطبقة على الأرصفة وفي أعشاش صغيرة تعتقد أنها لا تكفي لشخص واحد، وتفاجأ عندما يتوافد أفراد الأسرة واحد تلو الآخر من تلك العشش فيخرج الزوج ومن بعده زوجته ثم يلحق بهم أبناؤهم من ذلك الصندوق الصغير، والأجمل أنك تراهم مبتسمين جميعاً فقد رضوا بما قسم الله لهم،بعكس الذين أراهم في باحات ذلك الفندق الشهير من التجار والسياسيين والذي أنهكتهم الأعمال فأنستهم الابتسامة..أمام تلك البيوت الصغيرة تمر المياه الجارية من الأمطار وهي تجرف في طريقها بعض قاذورات الشوارع أو ماتفيض به بعض غرف التصريف وبرغم فظاعتها فإن في ذلك فائدة عظيمة لهم لكونها محل غسيلهم ونظافتهم؛ ولقد اعتادوا على ذلك وتأقلموا عليه، ولا يسألون من أين تأتي تلك المياه الجارية

فالحاجة قد أنستهم أن هناك مياه صالحة وأخرى غير صالحة، وتملكك الدهشة عندما تلتفت إلى زاوية أخرى فتجد الأمهات قد جلسن في الطرقات ينقبن عن حشرات القمل في رؤوس الأطفال، والطفل الصغير قد استسلم لها بالكامل حتى تُنهي تلك الحشرات التي لا تنتهي ثم تبدأ بطفل آخر من أطفالها، وعندما تنتهي منهم تلتفت إلى جارتها لتفلي رأسها. وليس كل ذلك هو المدهش فالمدهش بحق عندهم هو أمر البقرة المبجلة، فعندما تمر بالطرقات يقف الإنسان (صاحب العقل الذي أقام الدنيا ولم يقعدها منذ فجر التاريخ) وتسير البقرة التي تعود العالم كله وبأسره بأنها مذعنة مستسلمة، ولكن في الهند هي تتبختر وتفعل ما تشاء وبدون أن تلقى أي كلمة، بل هي حرة أن دخلت أحد تلك البيوت وأكلت طعام الصغار الضعاف، أو مرت على متجر فقير فتأكل (تحويشة) عمره، وهي إن فعلت ذلك فإن صاحب البيت والمتجر في سعادة غامرة فقد حلت البركة عليهم عبر لعاب تلك البقرة المباركة، إنه عالم غريب وليس ذلك هو الغريب فقط، إنما الغريب أن تصدّر الهند

العقول للعالم ويبقى هذا الهندي العاقل الفطن أمام البقرة عاجزاً عن الفهم الصحيح للموقف..فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به.

أما في باكستان وفي مدينة إسلام أباد زرت مسجد الملك فيصل – عليه رحمة الله– فالناس في باحات ذلك المسجد يتواجدون بكثرة فهم يأتون مابين صلاة المغرب والعشاء ويجلسون في الساحات المحيطة وأطفالهم من حولهم يلعبون، وتجار البسطة يمرون على الزائرين بما تحتويه عرباتهم من مآكل ومشارب أو بعض ما يجذب الزبائن من الأقمشة والأدوات البسيطة. فتجد الأسر ببساطتها تأخذ شيئاً من البطاطس المحمر فتجتمع عليه وتأكله مع بعض العصائر، وعندما يصدح الأذان يفزع الناس كلهم بنسائهم وأطفالهم ورجالهم والمتنزهون والعاملون والمارون إلى إقامة الصلاة جماعة في المسجد. فهذا المنظر شدني جداً وأحسست بعمق الروابط التي بيني وبينهم فمهما اختلفت اللغات والأوطان تبقى لغة الدين الحنيف هي الأقوى، فمثل هذه المواقف تجعل المرء يحمل بعداً آخر ونظرة مختلفة، فالعوامل

الروحانية لها دور كبير في الانجذاب أو النفور من أي مجتمع، والفطرة التي فُطر الناس عليها تسري في دمائهم وبالتالي فهي تقترب وتحن لكل من يرتبط معها بعبادة ربها.

يقول إلا ويلر ولكوكس:"اضحك يضحك العالم معك، ابكِ تبك وحدك". والمصريون هم خير من يطبق هذه الحكمة، بل هم يُضحكون العالم من حولهم ويرسمون البسمة على وجوه البشر من أطراف المعمورة، ويبقى الواحد منهم يبكي وحيداً على همه، فيغسل نفسه بالدموع فيخلصها من الشوائب والأدران فتصبح نفسه صافية نقية. في مصر وفي القاهرة بالتحديد وعندما تعود في المساء طالباً الراحة والنوم فإن شريط أحداث اليوم لن يتركك لوحدك فهو يدعوك لتتفكر بهموم أولئك البشر التي لا تنتهي، وعندما ينتهي بك شريط الأحداث من سرد قصص ذلك اليوم يفسح المجال لك لتستمتع بطنين لا يتوقف من أبواق السيارات المتراكمة في الشوارع، إن لغة الأبواق هي اللغة السائدة عند أهل تلك البلدة، ويزيد عليها ما

يختلط معها من أصوات المارة وأصحاب سيارات النقل الذين لا يتوقف صوتهم إما من أجل جلب زبون جديد أو من أجل إبداء الامتعاض من سائق يسد الطريق، أو من أجل التصويت لذاته ليفرغ همومه في الهواء التي ضاق بها صدره. فعندما تقِل الأصوات — وهيهات– ويداعب النوم جفون زائر البلد؛ فإن رأسه خزن صورة صوتيه مصغرة لكامل أحداث ذلك اليوم من أجل أن يعيد بثها في وقت المساء كأجمل ذكرى.

أما الأهرامات وزيارتها فهي سباحة وسياحة في عالم الخيال، ويزيدها خيالاً ما ينسجه منظمو الرحلات من قصص خيالية تَصدق في سطر وتجاف الحقيقة في صفحات، ولو رجع الفراعنة للحياة وسمعوا تلك القصص لتعوذوا منها ولنشروا تكذيبها وتفنيدها في كل الصحف على لسان فرعونهم الأكبر الذي لم يصدق مرة في حياته، إن من زار تلك المنطقة لا يحتاج لمن يشرح له جبروت الفراعنة وقوتهم في أعمالهم بأرقام فلكية أو قصص خيالية، فمن يرى

الأهرامات، ولم يقتنع بقوة من كان خلفها، وعظمة العقول التي أنجزتها وخلفتها حتى هذا الوقت، فهو بالتأكيد لن يصدق شاب صغير لم يتجاوز العشرين يتكلم عن عصور مضى عليها آلاف السنين.

في جانب آخر إذا أردت أن ترى القاهرة بشكل واسع وترى أجمل ما فيها (نهر النيل) وهو يسيل مترنماً بين أطراف المدينة، فقد تكون الإطلالة من أعالي برج القاهرة هي التي تعطيك التصور الرائع لتلك المدينة العريقة، وأكثر ما يميز القاهرة أنها مدينة قد نامت في عهود سالفة، وهي الآن مستيقظة إلى ما لانهاية، ومستعدة لاستقبال زوارها على مدار الأربع وعشرين ساعة. إن خرجت أيها القارئ من بين سطور القاهرة وأنت تسمع أبواق السيارات وتتصور الأهرامات فهذا بعض ما أبحث عنه.

وفي تركيا تستقبلك المآذن في كل مكان، وتُشهد الله أن هناك أمة هي خير أمة، وهي بلاد تتنوع فيها السياحة فإن اتجهت

إلى(إسطنبول) فهي مدينة تجمع بين حضارتين وتقع بين قارتين فجزء منها في آسيا والجزء الآخر في أوربا والجمال قد احتار بينهما أيهما يختار، و(اسطنبول) مدينة عصرية تسابق الريح في التقدم، وفيها ومن حولها مزارات وأماكن سياحة تجعل المرء يعيش بسعادة ويتطعم بطعم تلك الرحلة مدة طويلة. وعندما تغادرها متوجهاً تلقاء (أنطاليا) فسوف تعتقد للوهلة الأولى أنك قد أخطأت الطريق، وهبطت في أحد المدن الألمانية فكل تلك المناطق والمدن والقرى القريبة هي محط أنظار الأوربيين والألمان خاصة، حيث تجذبهم حرارة الشمس الدافئة، وشواطئ البحر الأبيض المتوسط الرائعة، فتلك المدينة تعيش أجواء ذلك الحوض المميز، ولكن يعيبها أنها انسلخت في الجوانب الظاهرة من مظاهر الإسلام، وذلك بفعل أنها محل سياحة أوربية، فكان لهم تأثيرا واسع على تلك البلد. أما في الشمال التركي، فهي تحتوي على مدن مثل (طربزون) وقرى صغيرة مثل (أوزنقول) و(سلطان مراد)، و(أيدر)، فهناك الجمال كله والأنس كله، فجمال الطبيعة، وسحر الأجواء، ووجود الغذاء الطبيعي الطازج، يجعل المرء يقول لن أبرح

مكاني، ويجعل المرء يفكر متى يعود إليها مرة أخرى، وهو بالأصل لم يخرج من زيارته الأولى.

إن كتاب السياحة العربية يجاهدون من أجل أن يغيروا بوصلة التفكير السياحية العربية لتتجه إلى أعماق التاريخ الإسلامي إلى أرض الخير تركيا ذات الحضارة الإسلامية، وأنا مع الكتاب أجاهد في هذا المضمار لأثبت أن تركيا مهيأة في القريب العاجل أن تكون هي الوجهة الأولى للسياحة المحافظة خاصة في الشمال التركي، وعندما أكتب عن مثل هذه المنطقة فأنني أكتب بحماس وكأنني أريد أن أقنع من لم يقتنع ولو بالقوة.

عندما نتحدث عن الطبيعة فبالتأكيد أن أوربا سوف تكون بالمقدمة، وأما عند تريد بالضبط أين يكمن أجمل الجمال الأوربي فإن سويسرا تحتضنه وبقوة وإن أردت الدقة بشكل أكبر فإن صدر الحسن هو قريتها الحالمة (إنترلاكن) الساحرة، فهي مدينة تقع بين بحيرتين، تكونتا من مياه الشلالات والأنهار التي تصب عليها من

أعالي جبال الألب، فهي تتغذى من مياه أعلى الجبال الأوربية، وتطل عليها قمة (جينفروJungfrau) الشهيرة والتي تعتبر أعلى قمة ثلجية في أوربا، ومن يذهب إليها فسوف يكون على ارتفاع 3454م من سطح الأرض، ومن زارها سوف يعود بمكسبين وخسارة واحدة، أما المكسب الأول فهو سوف يرتقي إلى أعلى قمة أوربية، ويعيش في بياضها فترة زمنية، وأما المكسب الثاني فأنه سوف يختزن كمية كبيرة من البرد قد تكفيه مدى العمر، وأما الخسارة الوحيدة فهي الصداع الملازم لأكثر الناس الذين يصعدون إلى تلك القمة، حيث ينخفض الضغط، ويقل الأوكسجين ويعود المرء وقد اختلط حلو الرحلة بمرها.

ومن أراد أن يرى سلبيات بعض السياح العرب في الخارج!! فليذهب إلى (جنيف) وسوف يرى أعجب العجب، فلندخل سوياً إلى هذا المدينة، ولا تقلقوا!! فقد كنت أعتقد أن (جنيف) لا يدخلها إلا الأثرياء، وعندما سمحوا لي بالدخول علمت أن في الأمر سعة،

والمضحك أن كثيراً من الفتيان والفتيات من أبنائنا قد حفروا الممرات على جانب بحيرة جنيف من كثرة دورانهم حولها ؛ وذلك من أجل إبراز أنفسهم لمن حولهم أو التنافس والتفاخر فيما بينهم، والغريب أنهم قد أتوا من لفح السموم، من أجل أن يدوروا ساعة حول البحيرة، ثم يعودوا للفندق ويغيروا ملابسهم ليعودوا إلى البحيرة من جديد. في المقابل إن التنافس النسائي هو أكثر من غيره حول تلك البحيرة وإنني أرأف بحال بعض فتياتنا اللاتي قد سكبن الدهانات من كل نوع على وجوههن من أجل مجاراة الأوربيات الجميلات بالفطرة وبدون زينة، فتصبح الفتاة من بنياتنا كأنها محل متنقل من محلات بيع الدهان، والمضحك أن الأمطار تأبى إلا أن تكشف ذلك الزيف، فما إن تبتعد الفتاة عن مسكنها حتى ترشها السماء بماء بسيط ليزيل قناع الدهانات المستوردة فتكتشف الحقيقة بعد أن تختلط الدهانات مع بعضها مكونة بقعاً مشوهة، وليس ذلك وحده المحبط ولكن المحبط جداً أن ترى فتاة قد ولدت في أرض العفاف فرمت بعفافها ليس في (جنيف) فقط بل منذ إعلان إقلاع الطائرة المتوجهة

إلى الخارج، فتجدها قد كشفت عن ساقيها-وليتها لم تفعل- وأبدت جزءاً من نحرها وحاولت أن تحرك شعرها لعله أن يتطاير كما تتطاير شعور الأوربيات الشقراوات ولكنه كان أكثر منها عفافاً وحياءً فهو قد لزم مكانه وعاش على الفطرة وقاوم الرياح أيما مقاومة من أجل لا يلفت انتباه من حوله فتكسب تلك الفتاة سيئة من حيث أرادت أن يقول عنها الناس إنك فتاة حسنة، ولا تكتفي المسكينة بالمظهر فالصوت مهم إن لزم الأمر، فالقهقهات عالية والأصوات مرتفعة، كأنه قد أتت للتوا من مزاد الأدوات المستخدمة، فلله العجب أهذه هي السياحة التي نريد؟!! وأحدث نفسي أحياناً كثيرة: أليس الأجدر أن نستغل مثل هذه الرحلات للبحث عن كل جديد ومفيد والتطلع لرؤية كل غريب عجيب وزيارة كل معلَم قائم والوصول إلى كل مكان يمكن أن ينزل الجمال في قلوبنا، أو يوسع من مداركنا، أو يفتح أبصارنا على مكتسبات تلك الدول التي نزورها. فالسياحة باقة متنوعة من الزهور الرائعة.

فلتخرج من (جنيف) وعالمه المزيف إلى صغيرة فرنسا مدينة (آنسي) فالفرصة سانحة للزيارة لأنها لا تبعد كثيراً عن أرض الخيلاء (جنيف)، فليس أجمل من أن تذهب بزيارة قصيرة إلى بحيرة آنسي المحاذية للحدود السويسرية-الفرنسية فهي تبعد عن (جنيف) ما يقارب ٢٥كيلومتراً، وهذه المدينة بممراتها المائية تعطي انطباعاً آخر عن المدن الفرنسية، فهي مدينة غارقة بالجمال وبحيرتها الواسعة مسرح للسفن السياحية، والتي تقل السياح لكي ينعموا بجولة على كافة أطرافها، وعندما يعودون من رحلتهم فإن السفن ترسوا بهم على مقربة من نهر المدينة، والذي اصطفت على ضفافه المطاعم المحتوية على كافة المذاقات الشهية، ونشرت عطر أطعمتها في الأجواء المحيطة، فما يكون من السائح إلا أن يستجيب لذلك النداء، فيمتع العين برؤية البحيرة أمامه، والنهر من تحت أقدامه، والطعام وقد صفت أطباقه.

في جانب آخر..كنت أعتقد أن الفرنسيين يولدون وبجانبهم زجاجة عطر فاخرة، وبين أيديهم مجلة جديدة عن آخر صرخات الموضة، وبالتالي تولد لدي أحساس أن باريس العطور والموضة لا يمكن أن تندمج مع باريس التاريخ والحضارة، ولكن عندما زرت باريس وجدتها قلعة سياحية متكاملة تحتوي أرثاً حضارياً متكاملاً يبدأ من المتاحف المنتشرة في أحيائها منتهياً بما تحتويه طرقاتها من قطع أثرية تدل على تاريخ المدينة في كافة مراحلها، وفي جانب آخر هي مدينة الموضة فدور الموضة وعالم الجمال تجاور دور التراث في كل مكان. وكنت قد حدثت نفسي بزيارتها من قبل وعقدت العزم على ذلك بعد حين وأجلت ذلك أكثر من مرة حتى سنحت الفرصة، وسبب التأجيل أنه جال في ذهني أن زائرها لابد أن يكون بكامل زينته لأنها بلد الأزياء والعطور، حتى التفاصيل الصغيرة للزيارة لم تغب عن ذهني كربطة العنق التي أحسست أنها شيء أساسي لمن أراد أن يزور باريس؟! ولكني عندما تدارست الموضوع مع نفسي، وعقدت معها اجتماعاً مغلقاً وجدت من غير المعقول أن أربط عنقي بحبل، "فما

هكذا يا سعد تورد الإبل"، ولن أضع ما يخنق تنفسي حتى لو تطلب الأمر إلغاء الزيارة بالكامل. ففكرت أن أكون موازياً للموضة ولكن بشكل لا يمس ثوابتي، فهل أفتح بعض الأزارير التي في القميص فتنكشف بعض آثار ومعالم شمس نجد على صدري، أو بعض مالمسته يد الطبيب الشعبي (بالكي) منذ صغري، بعد هذا الاجتماع قررت أن أغلق الأزرار إلا ماعلا منها، أعتقد أن هذا حل مناسب جداً.

في باريس أو باغي أو باريز،أو انطقها كيفما تريد، وفي النهاية سوف تجد أن كل أصناف السياحة العالمية تجتمع على طاولة واحدة، فكل المطلوب منك أن تفتح قائمة الطلبات الخاصة بمدينة باريس فتختار منها ماشئت، فمن أراد التاريخ فسوف يجده بالكامل في المتاحف المنتشرة وفي التماثيل المزروعة وبكثرة في طرقاتها الفسيحة،ومن أراد الحضارة الحديثة فبرج (إيفل) مزار أساسي لكل زائر، ومنطقة (الأدفانز) هي المكان الملائم لمن كان هذا هدفه، ومن أراد الموضة

والماركات العالمية فجادة (الشانزليزية) أو كما يدللها البعض (بالشانز) فهي جامعة لكل ماركة وعارضة لكل دار عالمية من دور خطوط الموضة، ومن يسر فيها يعش عرضاً دعائياً عن كل جديد من عالم الصرخات الحديثة، ولقد سرني جداً أن وجدت رصيف الشارع من جهة المسلة المصرية لم يرصف كما في أوله من جهة قوس النصر، مما أفسد علي لمعة حذائي، ولم يكن السرور أنه أفسد علي اللمعة، ولكن السرور أن وجدت في ذلك الوجه الحسن (باريس) شيئاً ينتقد، بالضبط كما تتفحص المرأة وجه فتاة حسناء ثم تنطق بعد عناء أن ملامحها باردة، أو تذكر أي عيب لا يمكن رؤيته بالعين المجردة، فهي انتقدت من أجل الانتقاد، والذي حرك النقد في نفسها الغيرة أو فتح موضوع لإبداء الرأي عن عيوبها، إن أي امرأة يُثنى عليها في جانب ما ستجد امرأة أو أكثر تنتقدها.

نعود لحالنا في هذه المدينة الحالمة فمن أراد المقاهي والمطاعم الراقية والتي يتم الحجز فيها بأيام سابقة والتي تجذب مشاهير العالم وشيوخ

الخليج وأبناء الأغنياء، فما بين قوس النصر والمسلة المصرية والشوارع المتفرعة منهما مكان مناسب أن يقول المرء: هاأنذا!! هو للسائح الفقير أن يزاحم أياً من أصحاب الوجوه الذهبية والذين تترقبهم الكاميرات، وتلاحقهم مجلات وجوه المجتمع والمشاهير، فقد يكون له نصيب بالظهور في الصورة، وفي ذلك غلطة العمر له أو لهم أو للقراء الذين يدفعون ثمن المجلة من قوت يومهم لتطالعهم بصورة لا يألفونها ولا تألفهم. وكما تعلمون إن في الحياة وجوهاً أساسية ووجوهاً خلفية (كمبارس)، ولتتصور المعنى بشكل أقرب تخيل أنك في ملعب كرة قدم كبير تشاهد مباراة ختامية، فالكاميرا تسلط على المنصة الرئيسية واللاعبين فقط، أما الجمهور الكثيف فمن الممكن أن يخرج منهم واحد فقط في عين الكاميرا، حتى الذي خرج في عين الكاميرا من الجمهور فقد خرج لأنه كان في وضع مضحك أو في وضع يخدم المسرحية بالكامل، ولكن في باريس يمكنك أن تفسخ ثوب (الكومبارس) الذي تعودت عليه وتلبس ثوب الشخصيات الأساسية في الحياة، ولك أن تخرج من دور (الكومبارس) الذي

تعيشه طوال عمرك، فتجلس مع كبار الشخصيات في العالم، أو أصحاب وجوه الغلاف في المجلات، أو نجوم الشباك الذين يطلبهم الناس، ولكن كل الذي عليك هو أن تكون واثقاً من نفسك، وأن لا تخل بالأعراف التي يسيرون عليها، وأن تحاول أن تقرأ قبل حضورك لمثل هذه المجامع عن آخر أخبار الاقتصاد، وأحوال العالم وبعض الحريات التي تطالب بها بعض دول العالم الثالث، وأن تقرأ قبل حضورك قائمة الطعام وقائمة المشروبات أكثر من مرة، وتتعلم على نطقها ومعرفة الفرق بينها، وبعد ذلك لك أن تفخم من حروفك وترفع من مكانتك الاجتماعية حتى لو كنت من الطبقة الرابعة في المجتمع، ولك أن تقهقه بقوة حتى يسمعك من هم في آخر الجادة فهذه علامة من علامات الطبقة الارستقراطية وإشارة من إشارات البطر والخيلاء والترف،ولو كنت من أصحاب محلات أبو ريالين فقل: أنني في رحلة استجمام من أعمال السنة المالية. في باريس الكل ينظر إلى الكل والكل يعتقد أن الناس ينظرون إليه، ولكن بعد العودة يعود التاجر تاجراً و(الكومبارس كومبارساً).

فالتجار يعودون لشركاتهم ويعيشون بين الملايين، ويعود (الكومبارس) لتسديد ديون أقساط السيارات التي استخرجها من أجل أن يتمم رحلته. فالحياة بترسانتها المهلكة تبدأ الدوران من جديد ولكن بقوة أكثر، فيعود التاجر يتأفف من همومه ويعود المغلوب على أمره يتأفف من ديونه.

نعود للسياحة فأما من أراد لأطفاله المرح (فديزني لاند) القريبة من ضواحي باريس من الممكن أن تكون هي الأنسب،ولكن قبل كل هذا وذاك فهناك شيء مهم قبل أن تسافر إلى هناك سواء إلى (باريس) المدينة أو إلى الضواحي القريبة، وهو أن تملأ المحفظة باليوروات والحساب البنكي بالدراهم والدنانير، وتكثر من البطاقات الائتمانية الذهبية والفضية والبرونزية وحتى إن كان هناك الخشبية، وبعدها انطلق كما تشاء (فالعداد يعد والحسابه بتحسب).

وإن ذكرنا فرنسا فهل ننسى مدينتها الصغيرة والمحاذية للحدود الألمانية مدينة (ستراسبورغ) الرومانسية، فهي مدينة أخرى تمر بها

الأنهار، وتنهل من رحيق التاريخ المرسوم على جدرانها، تلك المدينة تجبرك على أن تتأمل كل شيء فيها، حتى الطوب الذي بنيت به قصورها وقلاعها كأنها تحدثك قائلة هل من نظرة على هذه الجدران التي تحكي قصة تاريخ هذه البلدة؛ وحتى تشمل كل أطرافها من الممكن أن تكون الجولة في قواربها الزجاجية شيء خرافي، والتي صممت ككبسولة فضائية تجوب بك النهر فتستمع بجمال المدينة، وتحجب عنك حر شمسها ورطوبة نهرها، وفي النهاية ليس لك أيها الزائر إلا أن تغادرها وقد بقيت صورة جميلة في ذهنك عن ذلك البلد، وقد تبقى الكثير من رائحتها في قلبك، بعد أن ملأت عقلك.

وفي أرض أخرى حيث بلجيكا أبت تلك البقعة إلا أن تنافس (البندقية) الإيطالية، فهذه مدينة (بروغ) تعيش وسط ممرات مائية، تجعل الحياة فيها مصبوغة بصبغة رومانسية. وأهل تلك المدينة قد اعتادوا على أن تمر القوارب السياحية من أمام بيوتهم في كل حين، فيؤدون الواجب بإلقاء التحية عليهم مبتسمين. ولن تخرج هذه

المدينة عن بقية المدن البلجيكية فأكثر ما يجمل المحلات التجارية هي أصناف الحلوى المصفوفة بشكل يجعل السائح ينسى الهدف الأساسي من الرحلة.

ومن لم يزر ألمانيا فهو لم يطلع على أوربا الحديثة، فألمانيا صاحبة البنية التحتية القوية، والترسانة الصناعية المتمكنة، ألمانيا تصحوا عندما ينام الناس، وتركض عندما يسعى الناس، وتنفذ عندما يفكر الناس، وفي قاموس ألمانيا لا يوجد مركز ثاني، فهم لا يرضون إلا بأن يكونوا الأوائل، في ألمانيا تتنافس المدن بأن تكون هي الرائدة في كل مجال فللطب عندهم قصة نجاح، وللصناعة لهم قامة باسقة، وللتخطيط لهم باع طويل، فهم لا يعرفون الفشل، ولا توجد في قاموسهم عبارة (لا استطيع)، ففي ذهنهم أن كل فكرة تطرح يستطيع المرء أن ينفذها، أو أن الدولة تتبناها، أو أن الشعب يقوم بها.

زرت (برلين) فوجدتها حقاً تستطيع أن تطلق عليها عاصمة، فهي غاية في التنظيم والكمال، فكل ما تريده تجده في (برلين)، وكل ما لا تريده تجده في برلين، وتعجب أنها وبرغم هذه السنين، وتلك المكانة، لم ينسوا أن للحدائق في وسط المدن جانب مهم في حياة سكانها، فهي رئة المدينة، وهي من يقضي على نسبة التلوث التي تحدثها المصانع، أو تنفثها السيارات في حركة السير في الشوارع، أتفكر بحالهم..ألم يفكروا أن يستغنوا عن تلك المساحات الشاسعة؟! إما ببنايات شاهقة؟! أو بأسواق تجارية رائدة؟! ولكنهم لديهم عقل يقول أن الحياة الصماء مميتة، فهم أبقوا تلك الحدائق الغناء وسط المدينة من أجل أن ينعم البصر بجمال خلق الله، ومن أجل أن لا يضجر أهلها من الكتل الخرسانية المحيطة بهم من كل جانب ومن أجل الحفاظ على البيئة.

كذلك زرت سور (برلين) الذي كان يفصل في عهد سابق بين ألمانيا الغربية والشرقية، فاعتقدت أنه مماثل لسور الصين العظيم لكنني

وجدته أصغر بكثير، ولم يكن مماثلاً له ببنايته وطوله وقوته، بل قوته كانت بمن يقف خلفه ومن قبله من جحافل العسكر الذين يراقبون ويتابعون من تسول له نفسه أن يعبر، وعندما عادت برلين إلى بعضها قبّل نصفها الأول نصفها الآخر، فتبسم القمر، وضحكت الشمس، وانقشعت السحب عن السماء، وتنفس الناس الحرية وعادت العلاقات الأسرية، وبكت جدران برلين تلك الليلة، وسال نهرها فرحاً بالتمام الشمل. إن من يرى سور (برلين) يكاد يجزم أنه يتحدث ويتكلم مع من يتأمله.

والتنقل والترحال والكتابة في عالم الإنترنت ليست محصورة في رحلات الخارج، بل كَتبت حتى في الرحلات الداخلية الكثير، ويبقي بعضها لم أكتب عنها شيئاً حتى هذه الساعة، وذلك أنني كنت أقول أن الوقت لم يحن بعد، وكنت أنتظر الفرصة المناسبة، ولما واتت الفرصة وحان الوقت أحسست أنني قد نسيت الكثير من المعلومات عنها، فينطبق علي المثل الشعبي الذي يقول (لما سخنا الماء طار

الديك)، فملت الفرص من انتظاري والتوقف من أجلي فذهبت غير آسفة علي، وارتاح القراء من حرفي وارتاحت المناطق مني لما نحت من وصفي لها وصفاً لا يفي بحقها فينزل من قدرها.

وإن مما علق في الذاكرة من رحلات الداخل رحلة لمنطقة (جازان)، فباعتقادي أن اكتشاف هذه المنطقة هو أهم حدث لم أكتب عنه وللأسف، فلم أكن أ علم أنها تحظى بهذا الجمال، وهذا القدر من التنوع التضاريسي، والخصوبة في الأرض، خاصة أن زيارتي لها كانت في فصل الربيع، فالأجواء مناسبة، والأرض استبدلت تربتها الطينية بعشبها الأخضر الزاهي، وإن كانت المنطقة تعتبر منطقة بكاملها غريبة بالنسبة لي ومختفية في زاوية السياحة المحلية، فإن وادي (لجب) يعتبر الأكثر غرابة والأجمل في تلك المنطقة ولديه حضور سياحي في نظر الغربيين يوم أن جهلناه نحن أو تجاهلناه، فالدخول في دهاليزه، والغوص بين جباله يعتبر تجربة تستحق أن تولى العناية من الرحالة، وتحتاج إلى الإبراز من قبل هيئة السياحة، فعند دخولك من فوهة

ذلك الوادي تقع بين فكين من الجبال، كل فك قائم يعانق السماء، ومن يكن هناك فسوف يحس أنه في كهف كبير وفتحته هي من جهة السماء فقط، وعلى جدرانه الصماء قد نبتت الأشجار بشكل يدعوا للدهشة فالأشجار قد وقفت باسقة كأنها تبحث عن ضوء الشمس فتمد إليها قامتها، وعلى صخور أخرى امتدت الأشجار المتسلقة والتي زينت تلك البقعة النادرة من أرضنا الغالية، ومن بين الصخور يترقرق الماء بصفاء، ثم يتجمع بعد أن كان جداول تختفي ثم تظهر بين تلك الصخور مكونة بركة تنعكس عليها صورة السماء..

والحديث عن بلادي الغالية قد أخذ الكثير من صفحات موقعي أو المواقع السياحة فكتبت عن رحلاتي البرية القريبة ورحلاتي في مناطق جنوب السعودية أو المنطقة الغربية، وشاركت بما أستطيعه من أجل أن أكون عامل بناء في جدار السياحة الداخلية، ولم يمنعني ذلك أن

أقدم سياحتنا بصدق مع النفس وصدق مع الآخرين من أجل تقويم المعوج وإعلان شأن المميز.

ليست هذه كل الزيارات والرحلات التي قمت بها إنما هو تعريج على بعضها، وضرب مثل لمن يريد أن يعرف كيف نعيش في مواقعنا ومنتدياتنا السياحية، وكيف تكتب التقارير، وكيف تطبخ في المطابخ الخلفية، ثم تقدم على طبق من ذهب للزائرين بلا أجر ولا رسوم، وتقدم إليهم وهم مستلقون على أسرتهم فيجوبون العالم عبر ضغطة زر. وهذه رؤوس أقلام ومقدمات لموضوعات تستمر بضعة أشهر وهي سطور لمئات الصفحات وهي حروف لبقية من أدوات التقرير من صور ولقطات.

الوصول للهدف: يقول أبراهام لنكولن:"إنني أفعل كل ما في وسعي لأصل إلى ما يمكن أن أحققه، وأنا أمضي في طريقي حتى النهاية، فإذا جاءت نهاية الطريق ناجحة كما أردتها أن تكون، فلن أقيم وزناً لما قيل عني أو ضدي". هذه الحكمة هي

التي أضعها نصب عيني عندما أشرع بالكتابة عن أي بلد زرته، ولأكن أكثر واقعية فقد أقيم وإخواني بعض الوزن ولمدة معينة لما نلقاه من الثناء، فالثناء يمثل الشهادة بالنجاح، وبعد فترة يبقى ما كتبنا للتاريخ، ويبقى السجل مفتوحاً للفائدة، لذا كانت مثل تلك السطور السابقة والتي تحدثت فيها عن البلدان التي زرتها محل تقدير من القراء ومحل فخر في نفسي إذ حملت فائدة لمن حولي فهذا جزء من هدفي. ولكن في المقابل كانت بداية الإدمان الحقيقي لصاحبكم، ولا يعتقد القارئ أن التقارير السياحية هي فقط ماعرضته في ما سبق بل هي سطور تمثل نموذجاً مبسطاً لما نكتبه من تقارير سياحية في مواقع الشبكة، وأجتهد فيها أن أنقل الحدث بأكمل صورة، يقول د. زكي مبارك:"الكتابة قوة روحية لا تتفق للكاتب إلا بموهبة سماوية، فمَن أراد أن يكون كاتباً، فليرحلْ من طبقات الأرض إلى أجواز السماء". إنني أريد أن يسمع القارئ قرع نعالي منذ بدء الرحلة وأنا أمشي في أزقة المدن، ويشم عبير الورود في حدائق البلدان والأمصار، وأحرص أن أضعه أمام الحدث بل أن

أضعه في قلب الحدث وأمام الصورة الأهم لكل بلد، وقد تزيد نفسي من الثناء إن أعجبني البلد، وقد يطلب عقلي التعقل في المدح إن جانبت الحقيقة وأكثرت من ذلك، ولكن **يظل** الهدف الأول أن يكون القارئ قارئاً بكل حواسه يبصر ويشم ويلمس ومن ثم يبحر بعيداً إلى عالم أجمل مما رسمته، حتى تقنعه نفسه أن يبدأ التخطيط لزيارة تلك البلد عما قريب، أو الحماس من أجل الشروع بالزيارة إن كانت من ضمن المخطط المرسوم، والعرض الماضي توضيح للقراء لمن لم يمر على تلك المواقع، وقد يكون هذا العرض نموذجاً مصغراً للكتابة السياحية وهي بعض من كل، وجزء من مئات النماذج التي يقدمها الكتاب لرواد الإنترنت السياحية، وليس هذا كل الموجود ففي كل يوم جديدٌ يولد فيه **إبداع** فريد، وفي كل يوم يتم ابتكار طريقة جديدة بكتابة التقارير في عالم المنتديات السياحية، وفي كل يوم تخدم التقنية روادها وعشاقها، وتسهل الطريق أمامهم في سبيل إيصال المعلومة إليهم، إما بالرقي بالعرض، أو بالمساعدة على رسم الصورة الحقيقية لتلك البلاد التي يزورونها، فلديهم الحرف والصورة

والتقنية في تنافس مستمر من أجل كسب ود القراء، والحرف إما معلومات جاهزة معلبة تأخذ على شكل كبسولة **علمية** مركزة، أو حقنة ثقافية، أو قطعة أدبية، أو سرد كتابي، والصورة إما ثابتة أو متحركة، فالصورة الثابتة أصبح إخراجها أكثر جمالاً لذا فقد اهتم الرحالة بكامل جوانبها فباستخدام كاميرات احترافية وزوايا مختارة، وأوقات مناسبة، ثم تأطير فني، وإدخال على برامج الرسومات الاحترافية من أجل تزيينها، وتختم بكتابة الاسم والتوقيع من أجل حفظ الحقوق، ثم بعد ذلك يتم اختيار الكلمات المناسبة لتقترن بتلك الصورة، فتخرج في النهاية قطعة متناغمة. أما صور الفيديو فيتم مزج الصوت والصورة ويتم إدخال المؤثرات التي تجعل المتابع في وسط الحدث، ولكن قد يكون عالم الفيديو في خطوات بطيئة ولم يتم التعامل معها بشكل موازي للصور الثابتة وذلك لصعوبة رفعها على مواقع الإنترنت ولحاجة الكاتب الوقت الطويل من أجل أخراجها بشكل جميل، وكل هذا الجهد المبذول سواء بالحرف أو الصورة إنما هو من أجل أن يجد الباحث عن المعلومة السياحية بغيته

بكل يسر وسهوله، وذلك لأن المنتديات السياحية أصبحت اليوم هي الجهات التثقيفية الأكثر إقبالاً من طالبي السفر والسياحة. ولأن تلك المنتديات غدت نافذة أمل واسعة على القراء، ولكن يبقى أنها في بعض الأحيان نافذة ألم على الكتَّاب أنفسهم وعلى أسرهم إن تعلقوا بها أكثر مما يجب، مما يجعل أسر الكتَّاب يمقتونها ويمقتون كل ما يتعلق بها.

في بيتنا مدمن: يقول كونفوشيوس: "إن تجاوزت الهدف، كأنك لم تبلغه". وكأنه يشير إلى أن ماخلف القمة قد تكون هاوية، أو أن فراغ مابعد الهدف لن يُشغل بسهولة وبالتالي قد يهدم ماقبله، أو أن الأهداف الحقيقية الرائعة هي التي لا تنتهي بمرحلة، أو أن العمل لتحقيق الأهداف أكثر لذة من فرحة الوصول لها، وعلى كل حال فإن هذه المقولة تلامس حياتي في الإنترنت بجوانب عدة، لقد رسمت لنفسي في الشبكة أهدافاً عدة، ولم أعلم أنني سوف أنجرف خلفها بهذا الشكل المخيف. فإن أرادت

أن تحقق أهدافك في الشبكة فهذا ممكن، ولكن لابد أن تخسر شيئاً من أهداف حياتك الواقعية. ففي كل مرة من سعيك لتحقيق أهدافك المرحلية في عالم الإنترنت يزداد الأمر صعوبة في الوصول للهدف الجوهر؛ وذلك أن كل هدف مرحلي يتفرع بشكل مخيف ويشتت الانتباه دون غيره، ومع الصعوبات التي تواجهها في مثل هذه الحالة تجد أنك فقدت أشياء كثيرة جميلة في عالم الواقع ولم تتقدم كثيراً لأهدافك المرجوة في عالم الخيال، أو أنك تقدمت ولكن لم يكن التقدم محسوساً بالشكل الملحوظ خاصة أن التقدم في عالم الحاسوب والإنترنت تسابق سرعة الضوء، أو أنه كان محسوساً ولكنك تجاوزته ولم تعلم عنه ولم تشعر به وذلك لأنه لم يكن ذا طعم فقد فقد طعمه بعد أن تعرض لعدة تحولات أو صعوبات أثناء السعي لتحقيقه مما جعله في نفسك زهيداً، فتجد أنك وقفت برهة من الزمن تتذكر هدفك..ماهو؟!. إن السباق نحو تحقيق الأهداف كمثل قفز الحواجز للخيال، فالفارس يتدرج من الأسهل إلى الأصعب، وكل مرة ينجو يعتقد أن الحظ والمهارة سوف تقف بجانبه

في الحاجز القادم، وقد يتجاوز الحاجز القادم وقد يسقط الخيل والفارس، وسقوط الخيل والفارس وخسارة السباق ليست هي الخسارة بحد ذاتها، إن سَلِم الفارس بالدرجة الأولي وسلم الخيل في الدرجة الثانية.

لقد تدرج بي الأمر وصرت لا أطيق صبراً بالبعد عن هذا الجهاز، ولا أتصور نفسي والحياة لا تنبض بقلب جهازي، ولا أتخيل أن أوردته التي تغذيها الشبكة بالحياة قد تتوقف عن النبض في لحظة ما. بدأت أختلس الأوقات من أجل الجلوس معه وله وبين أحضانه، والعيش في رحابه، والبعد عن كل ما من شأنه أن يشوش علي خلوتي ويشتت انتباهي عن حبي الجديد، بل بدأت أوفر من أوقاتي في حياة الواقع لأصبها في وقت الحبيب الجديد، فمعه تحلوا الأوقات، وبين يديه تكتب أجمل اللحظات، وفي ميدانه حققت أجمل الانتصارات، فكان اللقاء حباً وشوقاً، والبعد هماً وعذاباً، والكتابة فيه سحر ونغم ومتعة لا تساويها أي متعة.

فلما كان هذا مقدار حبي لعالمي الجديد كان لزاماً أن أوفر مكاناً مستقراً يناسب هذا العالم الفريد، فرأيت أن من يريد أن يقابل حبيبه فعليه أن يقابله في مكان تصفو فيه الهمسات، وتسمع فيه النبضات، وترتل للحب آيات بدون أن يكون هناك أي مقاطعة، فكان الحل لمعلب جاهز حيث خصصت لي غرفة خاصة للدخول إلى عالمي والأنس فيه، وفي هذه الغرفة وجدت ما كنت أريده وأسعى إليه حيث لا ضجيج تلفاز، ولا أصوات تكرار الحروف ومراجعة الدروس من الأولاد، وبُعد عن الزوجة والتي ليس لها هم إلا الحوار عن المستقبل والحاضر والحياة بشكل كامل، وفيه تركيز على حياتي في عالمي الثاني.

كنت أدخل لهذه الصومعة كراهب يريد أن يتقرب إلي ربه كل عمره، أو اعتكاف طائع يريد أن يستغل وقته ويتضرع بكل دعاء، أو كأني في غرفة عمليات جراحية لا يسمح لكائن من كان أن يقاطعني أو يحاول أن يدخل عليّ أو يفتح معي موضوعاً، هذه

التعليمات قد تكون مقبولة لدى الكبار فيوافقون عليها إما مراعاة لحالتي التي أوهمتهم بها، وبعد أن أفهمتهم أن الإبداع لن يكون إلا في الوحدة، وأنه الإبداع حق من حقوقي وأن الوصول له من قِبلي يبدأ من الخلوة، فوافقوا مرغمين ومنتظرين حتى يقضي الله –سبحانه وتعالى- أمراً كان مفعولا، أنا أريد وحدة لأنعم بحياتي الجديدة وعائلتي يتقلبون في جحيم الوحدة التي ذكرها سعد البواردي حيث يقول:"أقسى أنواع الوحدة، إحساسك بالوحشة وأنت في عقر دارك وبين أقرب المقربين إليك"

أما الصغار من أطفالي فمن الصعب أن يفهموا الغاية من وحدتي فهم كل حين يدخلون ليطمئنوا على أبيهم الذي أتى للتو من الخارج ثم ألقى السلام على عجل ودخل غرفته التي أصبحت ملاذه، وكل مرة تداعبهم أحلام الطفولة وتأمرهم بالدخول إلى تلك الصومعة، فيفتحون الباب على مهل من أجل أن ينظرون من طرف خفي فكأنهم يلاعبون أباهم بهذه النظرة، ويخيب ظنهم وتطوى

صفحة أحلامهم، فأباهم لاهٍ بين الحروف والردود على المشاركين في الموضوعات، ولكن الأطفال هيهات أن يهدأ لهم بال حتى يلفتوا انتباهه إليهم، فيفتحوا فتحة من الباب أكبر لعله يشعر بهم ويبتسمون ابتسامة بريئة من أجل أن يبادلهم أباهم الابتسامة بمثلها أو أكثر، أو لعله يناديهم ليحتضنهم ليشعرهم أنه فقدهم خلال يومه الذي قضاه بالعمل بالنسبة له وبالدراسة بالنسبة لهم، ولكن عملهم هذا لم يكن أيضاً قد حقق نتائج مفيدة أو متقدمة لكي يلفت الأطفال أباهم اللاهي برغم تكرره يومياً، فما يكون منهم في بعض الأحيان إلا أن يفتعلوا مشكلة بينهم ويتجهوا إلى الحكم الأقوى بنظرهم، والذي يقف بوجه الظلم دائماً عند تعرضهم له، لقد أتوا أباهم مرة يبكون قائلين لقد ذهبنا وتركنا متاعنا في غرفتنا ولم نجده بعدما عدنا إليه. وبدؤوا يتقدمون خطوة خطوة من أجل أن يضمهم الأب بحضنه، ويشعرهم أن الأمر بين يديه، وأنه سوف يعيد الحق لأهله، وأن الدموع التي تنهمر منهم لن تذهب هدراً، وأن البكاء سوف ينقلب ضحكاً من القلب، هذا كان أملهم الذي

كانوا يتوقعون، ولكن فوجئوا بقوله ببرود: أخرجوا وأغلقوا الباب من خلفكم وإياكم أن تعودوا لمثلها، فزاد بكاؤهم وكأنهم أرادوا أن يلفتوا انتباهه إلى أن الأمر جلل، وأن وقوفه معهم وبينهم أمر مهم، وأن الأمر لا يتعلق بمتاع أو لعبة بل يتعلق بحياة كاملة، وعيشة يتم فيها الملاعبة والمداعبة والمخالطة، ولكن الأب لم ينتبه لهذا الأمر لما تمادى في سكرته حتى غفل عن أقرب الناس إليه، أو أنه في حياته الجديدة قد أغلق الاتصال بكل حياة قديمة، فما كان منه إلا أن زاد من نَهْرهم وفرق جمعهم بصوت قوي دوى في أرجاء الغرفة وهو يقول: لا تأتوا إلى هذه الغرفة أبداً مهما كان الأمر، فكأنه أوصد كل باب للحوار، وكأنه أغلق عينيه عن كل لغة من لغة تعابير الوجوه، فتلك الابتسامات التي بدؤوها هي لغة التلطف مع أبيهم، وتلك الدموع التي سكبوها هي لغة العطف، وتلك القصة والقضية التي نسجوها كأنها لغة الحوار ولفت الانتباه بأسلوب طفولي لا يفقهه إلا الحكماء من الكبار. أغلق الأطفال الباب بقوة فهز كل أرجاء الغرفة فكأنه انتقام من هذه الصومعة البائسة، فما كان من الأب إلا أن أغلق

الباب بالقفل وبإحكام من أجل أن لا يأتيه سائل، أو يزوره زائر، أو يقطع أفكاره محاور، كل ماسبق، وأشد منه بؤساً قد جعل بيني وبين أهل بيتي سوراً له باب باطنه الرحمة وظاهره العذاب. يقول شكسبير:"المحبون لا يستطيعون أن يروا الحماقات الصارخة التي يرتكبونها، فالحب أعمى". أسأل الله شفاءً لا يغادر سقما..

الضمير: تقول لحكمة: "الضمير مثل قلم الرصاص، لابد أن تجعله حادا كل حين". نعم كان حاداً بشكل كافٍ أول الأمر من أجل أن يقوم بكتابة حروف اللوم إن رأى تقصيراً، ولكن ضميري الحي قد أنهكتُه من كثرة البري فلم يعد له سِنان حاد مؤثر بل في النهاية صار كالعدم فأصبح رفاتاً. إن ضميري المعاتب على تقصيري بشؤون الأسرة ينام عندما أدخل الشبكة، ويصحوا عندما يحين وقت النوم، فكأن الضمير قد جبل على الحضور متأخراً في كثير من الأحايين في معترك الحياة، أو كأن الضمير إنما هو ذاكرة نسيّه لا تفلح إلا بالمراجعة المستمرة، إن

ضميري يستيقظ عندما يهجع الجميع لنومهم، لا أعلم هل هو يرى حالتي النفسية الصعبة أثناء الدخول للشبكة في اليقظة فيؤثر أن لا يبدأ الحوار معي في تلك الحالة مخافة أن أخرجه من الغرفة هو أيضاً بعد أن أخرجت أطفالي الصغار وأغلق الأبواب من دونه،أو أكتم صوته فيخفت صداه فلا أسمع إلا صوتي ألذي أعتز به وأغتر به، أو يخشى أن أنزع فتيلته من قلبي فينطفئ نوره، أو آتي عليه من جذوره في عقلي فيموت في مكانه، وهو إنما يضيء ويتلألأ لينير لي دربي وليس أي درب بل دروب الخير والخير فقط، وينموا ويحيا ويعيش ويزهو من أجل أن يكون ظلاً وارف في حياتي، وستراً وغطاءً أمام كل ما يعيب عقلي وفعلي أمام نفسي وأمام من حولي وقبل ذلك كل ما يغضب ربي. إن ضميري يدخل معي في لحافي قبل نومي، بعد أن يتسلل مدعياً أنه معي ليسليني، وبأسلوب حواري جميل وبحكمة قلما أجدها في نفسي يبدأ جلسته، فيبدأ بذكر انجازاتي في الشبكة في ذلك اليوم لأنه يعلم أن هذا الوتر هو الذي يطربني، وأن هذه الصورة هي التي أحبها وأتعلق بها، فيستدرجني من حيث لا

أعلم من عمل إلى عمل فيمر على كل شيء حسن أنجزته في الإنترنت خلال تلك السويعات، فيشجعني ويؤيدني بالاستمرار على قطف النجاح في كل مجال، ثم يبدأ بربط الأحداث مع بعضها، فتظهر من ضمن الصور التي يضعها أمامي صورة إنسان أناني بشكل شرس وصوت رفيع لا يألفه القلب، ومن حوله جمعٌ من الأطفال عليهم أجمل زينه، ووجوههم بريئة مبتسمة، وملابسهم زاهية وهم يتقلبون حول ذلك الرجل الشرس، والشديد بطباعة، المزمجر صوته، فيخيفني ذلك المنظر، فأسأله من هو ذلك الرجل البشع، فيرد ضميري بأدب وبحكمة وبعيداً عن جرح المشاعر وبجواب فيه الكثير من الحنكة فيجيب بشكل آخر وبطريقة يفهمها كل من كان له عقل ولو كان كحبة خردل، إن أولئك الأطفال هم أطفال اجتمعوا حول أبيهم من أجل أن يقطفوا بسمة من وجهه النير، ولكن ذلك الأب يأبى إلا أن ينشغل بأمور تافهة تشغله عن فلذات كبده. ثم يثير تساؤلات جديدة، حول اللطف بين الأبناء والآباء وأن ملهيات الحياة كثيرة ولكن على الآباء أن يقدروا المصالح ويتعرفوا على الخطر

قبل أن يقع. أتساءل في نفسي هل هؤلاء أطفالي؟ وهل أنا بمثل بشاعة ذلك الأب. فأحس بغصة لأني كنت بمثل هذه الوحشية وتلك الصورة القاسية مع أطفالي زهرة حياتي، فأعاهد نفسي أنني لن أعود لمثلها أبداً، وأتذكر فعلهم ولعبهم وأشتاق إليهم وأهم بأن أوقظهم من أجل أن يعيدوا الكرة، ومن أجل أن أعاهدهم على أن لا أعيد تلك التجربة السيئة، وألوم نفسي كيف أغلقت الحب من قلبي يوم هم اقتربوا؟ ثم أرسم أمام عيني كل لعبهم وأتصورهم بأجمل صورة، ولكن تبقى صورة الأطفال الحقيقية لا ترسم، وبسمتهم لا توصف، ولعبهم لا يحاكى، وتبقى النفس حزينة على أن ضيعت فرصة ثمينة، وتتساءل بينها وبين نفسها هل تعاد تلك الأهزوجة..التي ذكرها الشاعر..

أين الضجيج العذب والشغبُ   أين التدارس شابه اللعبُ

أين التشاكس دونما غرضٍ   أين التشاكي ماله سببُ

أين التسابق في مجاورتي   شغفاً إذا أكلوا وإن شربوا

يتزاحمون على مجالستي والقربِ مني حيثما انقلبوا

فنشيدهم (بابا) إذا فرحوا ووعيدهم (بابا) إِذا غضبوا

وهتافهم (بابا) إِذا ابتعدوا ونحيهم (بابا) إِذا اقتربوا

في النافذات زجاجها حَطَموا في الحائط المدهون قد ثقبوا

في الباب قد كسروا مزالجه وعليه قد رسموا وقد كتبوا

في الصحن فيه بعض ما أكلوا في علبة الحلوى التي نهبوا

وعندما أستيقظ صباحاً فكأن نفسي الأمارة بالخير قد حلقت بعيداً عني فأتعوذ من الشيطان الرجيم ثم أنفث جهة اليسار ثلاثاً وأقول أضغاث أحلام لا تحتاج إلا تأويل، وأتجاهل تلك المقولة التي تقول:"الضمير صوت هادئ، يخبرك بأن احدهم ينظر إليك". فينام الضمير مقهوراً من تجاهل ذلك المسكين لها بالرغم أنني وعدته في المساء أن أهتم بهم. فأعود للطبع الأول وبدون أي تغيير..وهذا

مايسمى بموت الضمير..نسأل الله أن يحييه ويبقيه كما يحيي سبحانه وتعالى العظام وهي رميم.

سباق من أجل نظرة: يقول المثل الإيطالي" يدفع الجندي من دمه ثمنَ شهرة قائده". والجنود في بيتي هم أطفالي الصغار، وأسرتي التي تقف خلفي ليس سنداً، أنما أملاً أن تنقضي هذه المحنة وتنتهي على خير. أطفالي الصغار بدؤوا يتحينون الفرص من أجل أن يفوزوا بنظرة من أبيهم، ولعل أهم تلك الفرص وأجملها بالنسبة لهم هي نداء وجبة العشاء بعد أن رفضت أي مداخلة أو نداء غير نداء الوجبات، حيث يتسابقون إلى غرفتي من أجل إخباري أن موعد الوجبة قد حان، فكنت أرى أقدامهم الصغيرة من تحت الباب تتململ، وأصواتهم تنادي أن لا أتأخر، وأعدهم بالحضور عندما أنهي موضوعاً بيدي، أو أكتب رداً لآخر، أو أعلق على أمر مهم، وهم لا يملون من هذا الوضع بل هم بفرح يتناوبون على مناداتي، فتارة يضعون آذاهم على الباب من أجل أن يتأكدوا

هل لازال قلب أبيهم ينبض بالحب من أجلهم، أو أن نبض لوحة المفاتيح قد أخفى كل الخفقات، بل أجدهم أحياناً يستلقون على الأرض لكي ينظروا إليَّ من تحت الباب، فلعلهم يريدون أن يستكشفوا مالذي شغل أباهم عنهم، ومالذي أخره عن الانضمام لوجبة العشاء معهم. إنهم يطمحون أن يأتي فيشاركهم تلك اللحظات القليلة خلال الوجبة والتي تعتبر هي الفرصة الوحيدة للقائهم. يمل الأطفال من طول الانتظار وتمل الزوجة من تكرار النداء، فينقطع الأمل وينتظر الجميع الحضور المبارك لرب الأسرة من أجل إعلان افتتاح الوجبة والأذن لهم بطرد الجوع من بطونهم وكل ذلك بعد أن برد الطعام ومرت على المائدة عيون الأطفال ناظرة إليه بحسرة، فتدعوا الله بأن يقرب راعي المائدة وأن يفك أسره من عالمه الخيالي ويعود إلى أطفاله بعد أن تضورت البطون وأوشكت على النوم العيون. بينما الأسرة غارقة بالنظر إلى وجبتهم فإذ بالراعي المبجل يدخل ويعلن بدء الوجبة " فبسم الله على بركة الله"، وليته تبسمل فقط وأكل وأحس بالذنب، بل بدأ ينتقد أو بالأصح يبحث

عن مخرج لهذا الحرج فيقول: أليس لديكم أحساس أن الوجبة تؤكل حارة فكأنها قد أخرجت من الثلاجة مباشرة ولم تسخن، فترد الصغيرة بحسن نية أنك أنت من تأخر وبالتالي كانت الوجبة متجمدة، وتقرصها الأم قرصه لتبلغها أنها أخطأت القول. فيسكت الأب ويغير الموضوع كأفضل طريقة للهروب من ذلك الموقف المحرج..المتكرر. يقول المثل الروسي:"يأكل الصدأ الحديد، وتأكل الأحزان الفؤاد".

عندما رأيت أن العشاء بدأ يأخذ من وقتي، وأن وقتي في عالم الإنترنت أهم من أبنائي وعائلتي، وأن نداءات الأصدقاء في ذلك العالم لا تقف إما بطلب المزيد من المشاركات أو الإجابة عن الاستفسارات أو بالدعم بالردود، وأوجدت المبررات الداخلية اللازمة ومنها أن نفعي في الإنترنت متعدي وأن الفائدة التي تصلها حروفي تصل إلى كل ما تطلع عليه الشمس وتلامسه، فإذاً ومع تلك المعادلة الوجيهة من وجهة نظري يجب أن يكون الوقت الأكبر لهذا

الجهاز ولذلك العالم، وكل وقت يمكن أن اقتنصه من حياتي مع عائلتي وأسكبه في كأس حياة الإنترنت فهو مكسب للبشرية جمعاء. ومن أجل هذه الفكرة قررت التخلي عن شيء أساسي، بل هو المتبقي من حياتي الحقيقية، فقررت التبرع فيه إلى حياتي في عالم الخيال طالباً الأجر من الله سائلاً إياه القبول والتوفيق، فأنا أريد أن أصل إلى أهداف بعيدة وكبيرة فالتضحية واجبة عبر طرق مرسومة يقول بلوطس:"عندما نتتبعُ النهر، نبلغ البحر" وللكنه لا يعلم أنني في طريقي للغرق في المحيط.

لقد رسمت لهذا الأمر خطة ووجدت حيلة يستغفر منها باليوم خمس مرات أشد الناس حيلة، فقد أخبرت أسرتي أنني أريد أن أبدأ بتنظيم الوجبات وأن العشاء عندما يمد على السفرة ليس لي قدرة على تحمله والصبر على منظره الفتان، فطلبت من زوجتي أن تجعل عشائي بشكل شطيرة، الهدف الظاهر من ذلك أن أخفف من الوزن والهدف الباطن أن أخفف من الوقت الذي أضيعه بين

أبنائي.فكان الأمر كما أردت، وكانت بداية لسقوط مرير، أشعر بمرارته حتى كتابة هذه الكلمات. يَطرق باب غرفتي عند موعد العشاء طارق، وتقدم الوجبة بدون أن أدري من الذي أحضرها وقدمها، وإن كان قد تكلم أو لم يتكلم وما لذي قاله أو أنه لم يقل شيئاً، وآكلها ولا أعلم متى أكلتها؟! وماهي؟! وما طعمها؟! وكل الذي يؤكد لي أنني أكلتها بقايا من فتاتها قد تبقى في الصحن الذي قُدمت فيه، ويتقدم الليل ولا يرتخي لي جفن، ويهدأ البيت من كل صوت ولا يبقى سوى صوت وقع أصابع يدي يدق على حبيبات الكمبيوتر، فهي بنظري سيمفونية الحياة ونغم السعادة، وهي بنظر عائلتي مقطع نشاز يصم الآذان ويقطع القلب حزناً وألماً على قائدهم الذي تخلى عن أبسط حقوقهم، ونسي أقل الواجبات لهم، وأبتلعه إعصار الإدمان، فأخذ يقلبه في دوامته فهو ينتقل من مكان لمكان ولا يرى ما حوله من الأحداث، ولا ينتهي اليوم إلا عندما أحس أن رقبتي تعبت من تحمل رأسي، وأن مخزن السهر قد بدأ ينفذ، وأن النوم قد تعدى مرحلة المغازلة عبر الجفون وسقط بأكمله

على جسمي المنهك. فالذي أعرفه من سنين أن النوم يبدأ من العيون حتى يتسلل بهدوء لبقية الجسد، فكأنه يداعب كل عضو لوحده حتى يستسلم، لكن أن يغمرني النوم فجأة وينزل علي وبدون سابق إنذار فذلك شيء لم أعرفه ولم أعهده، تصوروا لقد ضبطت نفسي عدة مرات وقد غفوت أثناء الكتابة. وأعيد نفسي للكتابة مرة أخرى وكأنني أحقق الحكمة التي تقول:"أفضل وسيلة لكي تحقق أحلامك، هي أن تستيقظ من النوم".

بعدما يبلغ التعب مبلغه أتسلل ماشياً على رؤوس أصابعي متجهاً إلى غرفتي محدثاً نفسي أن لا أزعج من حولي، ويحدثني ضميري أنني كاذب في حديثي وأنني أخشى انكشاف أمري أمام عقلي وافتضاح ضحالته أمام نفسي، أمر على غرفة أطفالي وأنا في طريقي إلى غرفتي، فأجد في وجوههم البراءة التي قد أتت من كل مكان فحطت رحالها في وجوه أطفالي عند منامهم، ونزلت على خدودهم وأنارت كامل وجوههم، تغطي بعض خصلات الشعر تلك الوجوه

النيرة فكأنها تريد أن تحجب عني وجوههم التي هَربت عنها في نهاري، وابتعدت عنها في صحوتي، أسمع تمتمة أحلام فكأنها كلمات عتاب ينطقون بها بلاشعور، ثم ينقلبون على جهة أخرى من أجسامهم النحيلة فكأنها إشارة إعراض منهم عن أبيهم الذي لم يراعي حقهم وواجبه تجاههم، أبعد بعض الخصلات لأضع قبلة على جبين كل منهم وأكتم أنفاسي حتى لا تنبههم نسمات قلبي المحبة لهم، أرفع أقدامهم النقية المتدلية من السرير فأضع عليها لحافاً يقيهم برد المكيف، وبهدوء أدخل إلى النوم فأغط في سبات عميق، عميق جداً، بعد أن أخمدت ضميري الذي رأيته وكأنه يريد الحديث في هذا الوقت المتأخر من الليل، وسوفت له ووعدته وقطعت له الأيمان أن لقائي معه في وقت قريب، ومتى هذا الوقت لا أعلم؟ ولكن الذي أعلمه أن ضميري قد صبر علي صبر أيوب، وأن عقلي يعيش في أشد حالات الإدمان فهو لا يعي ما يفعل وما يعقل.

زوجة مدمن: يقول شيشرون: " ما دام ثمة حياة.. فهناك أمل". لعل هذا المبدأ هوالذي تطبقه زوجتي- حفظها الله- مع زوجها المدمن، ولعل هذا هو ديدنها حتى يشفي الله مريضها، أو يكتب الله فتحاً من عنده ويقضي الله أمراً كان مفعولاً. تبحث عنه عندما تعصف المشاكل بحياتها أو تمس صغارها أو ترميها الهموم بسهامها فتفتش عن شريك حياتها ليسليها أو يشاركها همومها أو يبني حلاً لمشكلتها أو يسمع عنها فقط لتحس براحة بعد أن تنفض غبار المتاعب والأحزان من قلبها، تأتي إلى شريك عمرها وهو يعيش بين لوحة المفاتيح والشاشة والفأرة، في ذلك المكان الذي يظن أنه برج سعادته، تأتي إليه من أجل أن تشكي حالها فتجده غارقاً في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض، فلا هو يعلم في أي عالم يعيش ولا هو يدري إلى أين صائر، ظلام وظلم وهم وغم وكدر وحزن، يشعر بها حيناً ويخفيها أحياناً عن نفسه وعن من حوله، زوجتي تأتي إلي منكسرة تبحث عن نفسها التي أغرقتها الحياة في محيط متلاطم لا

تعرف مشرقه من مغربه وتحيط بها سماء الأحزان من كل مكان وتلتقي تلك السماء مع لون المحيط الداكن في نقطة سوداء لتقول للناظر أن لا أمل. تأتي تبحث عن صدى لكلماتها أو نظرة لهمومها والتي تنطق بها عيونها، تأتي لتبحث عن تعابير وجهٍ يحس بغصص قلب، تستنطق كل شيء، تستخدم كل وسيلة من أجل أن تلفت الانتباه، ولكن لا حياة لمن تنادي، ولا جواب لمن تحاكي ولا أمل فيمن رمتها الحياة بين يديه. أحس بالخطأ وأنتبه معها تارة ثم أجد نفسي قد شردت مرة أخرى لجهازي، أحاول أن أكون بتركيز أفضل ولكن يفتضح أمري في كل مرة، فهي تنتظر مني جواباً لسؤالها وتجدني أجاوب جواباً لا يدور في صلب الموضوع الذي تسأل عنه، أو تنتظر أن أتأثر لحزنها فتجدني مبتسماً في وجهها، أو تريد أن أبارك لها بماحققته في عملها فتجدني مقطب الجبين في حال سرورها..لا تعتقدوا أنني أحب أن أعاندها أو أخالفَ توجهها، ولكن القلب ليس معها ولا يدري مالذي يدور من حولها أو في فلكها، فكانت المتناقضات التي تصدر من قلبي اللاهي،..لحظات

وإذا بي أبحث عن زوجتي فلا أجدها..أين اختفت؟!..ومتى؟!..لا أعلم!! وللأسف خرجت أكثر من مرة ولم أدر بخروجها. حياة المدمن فيها خسائر كثيرة كبيرة ومن حفظ الله أنني تنبهت قبل أن يقع الفأس بالرأس أو على الأقل أن الفأس الذي وقع في رأسي لم يكن ذا ضرر كبير، وأن المشاكل لم تصل للخطوط الحمراء، وقد أعلمني أكثر من صديق ممن أدمنوا الشبكة كان بينه وبين زوجته خصومة فوصلت لطلب الطلاق والانفصال، لقد كانت مرحلة سيئة جداً من حياتي، وحياة أسرتي أتذكرها وأحزن أشد الحزن على تلك اللحظات التي غامرت بها في مستقبلي ومستقبل أسرتي من أجل عالم وهمي وإن كان فيه الكثير من الحسنات، أو لأقل بشكل أدق أنني لم أحسن تنظيم وقتي بشكل مناسب فكانت تلك الهفوات وتلك السقطات.وبين تلك الهموم وتلك المشاكل وتلك المعاملة السيئة مني لها، كان الضرر يصل حتى مخترعو الأجهزة والبرامج والمواقع ومطوروها، فهناك الكثير من الشتائم من قبل الزوجة الحانقة على هذا المخترع أو ذاك وهذه التقنية السيئة أو تلك حتى

أن شتائمها قد تصل إلى (بل قتس) – عذراً يابل- وكل من شارك أو ساهم أو صنع هذه التقنية.

وفي هذا المجال لا أنسى صديقي المدمن الذي خدعته مقولة مدام دي ريو:"الزواج يانصيب، يجازف فيه الرجل بحريته، وتجازف فيه المرأة بسعادتها". فقد رفض الزواج من أجل أن لا تأخذ الزوجة من وقته وأن لا تشغله الحياة الزوجية عن هذا العالم المحبوب لديه، فحريته أهم شيء في حياته وبغض النظر هل المرأة سوف تجازف بسعادتها أم لا. صديقي- قدس الله سره وفك أسره- مدمن من الدرجة الأولى وقد ذكر لي ذات مرة أنه جلس أمام الكمبيوتر ٣٦ساعة متواصلة، ويستدل ويقول هل هناك من زوجة تصبر على مثل هذا الأمر، فأقول من الممكن أن تصبر عندما تحقن بإبرة منوم، بعد فترة أضطر للموافقة على الزواج تحت إلحاح أهله فوافق بشرط أن يكون الزواج على طريقة (المسيار) فيتحقق رضا أهله بأن يرزق بالأبناء وتتحقق سعادته أن لا يأتي من يشغله عن عالمه المحبوب، فبصورة

مبسطة من الممكن أن يضع على الحياة الزوجية في بعض الأحيان(بلوكblock) حتى يستمتع بحياته الوهمية فترة من الزمن ثم يعود من جديد، يقول عملت في هذا الطريق وخطبت وعندما رآني من كان وسيطاً في الخطبة بيني وبين من تريد زواج (المسيار)، سألني الوسيط وقال: كيف تتزوج (مسيار) وأنت شاب صغير وكلاً يتمنى من هو مثلك، إنما زواج (المسيار) هو لمن كان له ظروف أو أراد أن يعدد فيجرب قدرته على التوفيق بين بيتين قبل أن يذوق الأمَرَين، فيقول لا يزال بي حتى أقنعني أن لا أتزوج (المسيار)، فأذعنت للأمر الواقع وتزوجت كما يتزوج الشباب من أمثالي، وعملت منذ اللحظة الأولى أن أجعلها تقع في إدمان الحاسب كما وقعت أنا به، وكل ذلك من أجل أن تنشغل عني بإدمانها ولا تشغلني عن حياتي التي أحببتها، وبالفعل استجابت من أول جرعة وبدأنا نعمل عن بعد ونعيش حياتنا الزوجية عبر أسلاك الحاسوب، حتى طلبات الوجبات والقهوة والشاي أطلبها عبر برامج المحادثات، فتم ما أردت وكان الذي اخترت، أخوتي لا تعجبوا من حالهم ولا من حالنا ولكن

نسألكم الدعاء لهم ولنا. والسؤال الذي يطرح نفسه هل سيأتي يوم من الأيام ويكون الفحص قبل الزواج محتوياً على خانة هل هو مدمن إنترنت؟!..كل شيء وارد في هذا العالم.

متاعب: يقول المثل التركي: "لا ينال المرء الشهرة وهو على سرير ناعم". حتى الكرسي له نفس الحكم فالكرسي الذي أجلس عليه أثناء تصفح الإنترنت بدأ يثير الكثير من المتاعب الصحية، فبدأت أشكوا من ظهري وتنمل أطرافي، فكان العلاج بتغيير ذلك الكرسي البالي والبحث عن آخر، ولم تكن هذه البداية هي النهاية بل هي افتتاح لشريط كامل من متاعب الإنترنت ومشاكله الصحية، والكرسي الثاني لم يكن أحسن من صاحبه الأول ولم يخفف الأوجاع التي بدأت تؤثر بحياتي بشكل عام. أصبحت بعد هذا التغيير زبوناً دائماً لمحلات الأثاث المكتبي، أدور معهم على كل الكراسي المعروضة ويعرضون علي كل ما يستطيعون أن يقدموه من خدمات فهذا كرسي له ظهر طولي وهذا له مقعد وثير وهذا

تستطيع أن تغيير مسنده وآخر تتحكم بطوله، أجلس على هذا وأحرك ذاك وأجرب ذلك ولكن النتيجة واحدة والآلام هي الآلام، فكأن الآلام تستمتع بهذه الجولة وتعتبرها نزهة، أو أنها أرادت أن تخرجه من بيته لترى النور وتعيش مع العالم من حولها بعد أن سجنها سنين عدة. أصبحت الجلسة على جهاز الحاسوب متعبة جداً في ظل هذا الوضع. ويحملني على الصبر ألفريد دو موسيه بمقولته":الألم الكبير، يجعلنا كباراً".وأصبحت حائراً في أمري فكل يوم أتعرف على صديق جديد من بائعي الأثاث من كثرة الترداد والبحث، وأوثق العلاقة أكثر عندما أعيد كرسياً قد اشترطت تجربته من قبل، أو أسأل عن جديد قد نزل للسوق بمواصفات قد طلبتها، أو أصل محلاً فيه حاجتي بعد توصية وجدتها من الأصدقاء أو الشبكة. بعد جهد جهيد أرتد حسيراً على وجهي خائباً في طلبي، فأسلي نفسي وأصبرها فترة، ثم أكرر الأمر مرات عدة وأبدأ بالبحث عن حل يعيدني إلى سابق عهدي. وأتساءل في كل مرة أزور فيها محلات الأثاث، هل لدينا أزمة كراسي مثلما لدينا أزمة حديد وشعير

ووظائف؟!! ولماذا التجار والوزارات لم يهتموا بها حق اهتمامها، تساؤلات لا تقرب بعيداً ولا توجد حلاً ولكنها تطفئ نيران الغضب في نفسي ليس إلا.

ومنذ أن تركت الجلوس على الكراسي توالت الأيام دون أن أكتب حرفاً واحداً. واستخدمت الحلول العربية السريعة، فجهزت مكاناً للحاسب على الأرض وفرشت الأرض بالزل الفاخر، ووضعت مسندة للظهر، ومتكأ أسند فيه نفسي وأمرر عليه فأرتي، وأصبحت عربياً قحاً ولكن قد خالطته التقنية عبر الجهاز الذي ينظر إلّي وأنظر إليه بشوق.

بدأت رحلة العمل الجديدة في مكان جديد وأسلوب جديد، فأحسست أن الحال تحسن كثيراً وأن الآلام التي كنت أشكو منها قد بدأت تزول، فكان هذا الأمر مفرحاً جداً لي وللأعضاء الذين أحسوا بغيابي – قد يكون ذلك اعتقاداً مني لا حقيقة-. عدت لساحة الكتابة، وبدأت أكثر نشاطاً من قبل، لا أعلم هل الغياب

جعلني أكثر شوقاً أم أن تغير المكان كان ذا أثر كبير، بعدما أنست لهذا التغيير وارتحت إليه، زارني زائر الألم ولكن هذه المرة بطريقة جديدة، فقد أحسست بعوارض وآلام من الجلسة العربية فاليدان بعيدتان عن لوحة المفاتيح مما أثر على أسفل الظهر والرقبة والرسغ، وكان الحل في هذا الأمر أسهل من أخيه السابق فقد زرت ورش النجارة وصممت طاولة من السنديان تجعل لوحة المفاتيح الخاصة بالمحمول قريبة مني، وصممت هذه الطاولة بحيث تكون مشابهة للطاولة الطلابية فتستطيع تقديمها إلى أن تصل لمستوى الصدر، وتؤخرها بالقدر الذي يريح اليدين وبالتالي تريح الكاتب. ولكن ليالي شهر العسل لم تستمر طويلاً فقد أحسست بآلام في أسفل الساق وأصبت بتنمل قد جعلني لا أحس بأطرافي، بدأت مشكلة جديدة وآلام أخرى وبحث آخر عن الحلول، فكان الحل موجوداً لدى محلات تجهيزات الحاسوب حيث انتشرت الكثير من الطاولات التي تستطيع أن تستخدم الحاسب وأنت مستلق على ظهرك. فكان هذا الحل هو آخر الحلول ولكن لم يكن أفضل الحلول بل لا زالت

الآلام تزورني كل حين، وهذه الآلام قد انتشرت بين المدمنين حتى أن بعض الدول الغربية قد وضعوا عيادات مخصصة للمدمنين يعالجون فيها مدمني الإنترنت من آلامهم النفسية والأسرية والعضوية والتي تنجم عن الجلوس الخاطئ للحاسب، أو إطالة المدة وبدون حركة، وهي آلام متعارف عليها تبدأ من الرقبة والعينين والرسغ في اليد وتنزل إلى أسفل الظهر ومابين اللوحين وتنمل في أطراف اليدين والرجلين وخطر قد يصل إلى جلطات في القدمين من الجلوس المطول على الكرسي أمام الإنترنت نسأل الله العافية للجميع. بل أنني شاهدت برنامجاً عن إدمان الإنترنت يخصص وقتاً للمدمنين من أجل إقامة ورش عمل وعلاج من هذا البلاء الخفي، وطريقة الورش أن يجلس أولياء الأمور وأبناؤهم في ورشة واحدة يتناقشون ويتبادلون وجهات النظر وكل فرد من المنظمين يحكي قصته كيف بدأ وآثار الإدمان عليه في حياته، لكي يستفيد كل مدمن من أخيه، ويتعاونون من أجل أن يجتازوا تلك المرحلة الصعبة.

بعد تلك الأعراض التي انتابتني كان لابد أن أبحث عن طبيب مداو لما أحدثه الإنترنت من أثر، فانتهزت فترة مروري بألمانيا في تلك السنة وحجزت موعداً عند أمهر الأطباء المتخصصين بالأعصاب والأطراف، فكان الموعد المعطى متأخراً بعض الشيء وذلك بحكم أن البروفسور لديه مؤتمرات طبية في أمريكا، وآثرت الانتظار من أجل أن أضع حداً لهذه المشكلة. فلما كان اللقاء كنت أحلم بأن أخرج من ذلك اللقاء بحل نهائي لمشاكلي مع الحاسوب، وأن أجد حلاً جذرياً يقتلع تلك المشكلة من جذورها، فشرحت للدكتور آلامي وأن بعض الآلام تأتي وبعضها يزول وأن بعضها يزيد عند الجلسة على الكرسي وبعضها يختفي عندما أجلس على الأرض، فنظر الدكتور للمترجم نظرة ازدراء وقال: أنتم أيها الخليجيون تريدون أن تبعثرون أموالكم بأي شكل!! فأنتم تأتون لتصرفوها على أي شيء!! وأنا دكتور لا أجد الوقت لمثل هذا الهراء، وكل المراجعين الذين يراجعونني إما أن حالاتهم ميئوس منها وينتظرون أن أطلعهم على الجديد في عالم الأعصاب فلعلها تفتح لهم الأمل، أو حالات

معقدة قد أقعدتهم كل العمر، أما أن تشتكوا من حالات بسيطة تأتي وتختفي إما بالجلسة على الكرسي أو الجلسة على الأرض، فهذا لا أقبله وأنصحكم أن تخرجوا من عيادتي. أصابني الذهول عندما ترجم لي المترجم رأي الدكتور وقلت في نفسي لهذا الحد أن الآلام العربية رخيصة، أراد المترجم أن يوضح للدكتور بعض الأمور ولكن الدكتور رفض ذلك وقال أنت مترجم تترجم الحديث فقط وليس لك أن تبدي الأعذار، يقول أيزنهاور:"دعونا لا نضيع دقيقةً من التفكير بالأشخاص الذين لا نحبهم". سجل لديك يا أيزنهاور هذا الدكتور من ضمن الأشخاص الذين لا أحبهم، بالرغم أنني أعذره ولكن في جانب آخر أعذر نفسي بشكل أكبر، خرجنا من عنده وعلامات الخجل بادية على المترجم، لذا بادرني بالقول أنه يعرف طبيباً آخر مميزاً وبالفعل اتجهنا للطبيب الآخر نبحث عن حظنا عنده، فلعله يكون على أقل تقدير أفضل من سابقه في السماع لشكوانا، بثثت على الطبيب الجديد كل ما أحس به من آلام وفصلت التفصيل الدقيق عن كل الأعراض، ثم فحص وأخذ الصور،

فقال أنصحك أن تبتعد عن الجلوس على الحاسب إن أردت أن لا يزداد ألمك أو تتأثر بشكل أكبر، فقلت له لكن هذا قدري وحياتي ولا أستطيع أن أنفك منه، فقال هذه نصيحتي وسوف أكتب لك بعض التمارين التي سوف تقوي بعض العضلات فلعلها أن تساعدك في عملك، خرجت من الطبيب بحال يائس وبنفس حزينة وبقلب قد فقد كل أمل بالتخلص من هذه الآلام المتكررة، وعلمت أن الحاسب الآلي قد أثر في العضلات ووصل إلى الغضاريف فبدأ يطرق بابها وأخشى أن يصل أثره إلى العظام فيكون العلاج مستحيلاً بعد أن فات الأوان. أعلم أنني كررت الحديث كثيراً حول الآلام ولكن الذي أعلمه أن الصحة كالشمعة نفقدها ببطء ولا نحس بذوبانها، وكررت كل ماسبق من أجل أن يلتفت القارئ لهذا الأمر ويراجع نفسه قبل أن يتفتت حاله، ولسان حالي في كثرة التكرار لسان حال (ويل ديورات) حينما قال:"المرأة كالإعلان، تنال ما تريد بالتكرار". ولا تحسب المرأة المارة على هذه الفقرة أنه قدح بتلك الصفة التي تحملها، بل هو ثناء استطاعت به أن تجذب

كبريات شركات الاستثمار أن تنهج نهجها، فواصلي مسيرك فأنت على حق – اللهم أبعد عن هذه السطور الأخيرة– من أحب.

مدمن والسكن: يقول فلوريان:"الإفراط في العمل الجيد يجعله سيئاً ". العمل على الحاسوب والدخول في عالم الإنترنت كان يحمل الكثير من المزايا وينمي في نفسي الكثير من المواهب ويحيي أشياء كثيرة لم أكن أعلم بها أو أعلم أن بذرتها قد غرست في جسدي منذ أن نفخ الله الروح فيه، في المقابل كان الإدمان والمداومة على الإنترنت قد جعلني أغيب عن الواقع كثيراً بل أعيش يومياً في عالم الخيال أكثر من عالم الواقع حتى وأنا وسط الناس وبينهم أو بين أهلي وعائلتي يكون عقلي بعيداً بعيداً –كرروها ماشئتم– وبشكل لا يمكن أن يتصوره إلا من عاش في غياهب هذا الشبكة وعالمها الغريب، بدأت أستعجل الانصراف من جلسات العائلة وبدأت أستعجل الجميع بأن يفضوا أي اجتماع أما الأسباب والأعذار فهي جاهزة، فمرة بحجة التعب والحاجة إلى الراحة ومرة

بحجة أن المقصد من الاجتماع قد حصل غير ذلك من الحجج التي تتوالد وبكثرة خاصة في مواسم الاجتماعات، بعد وقت بدأت الحجج لا تنطلي على من حولي، وبدأت أتضايق من أي اجتماع فكل اجتماع سوف يقطعني عن عالمي المحبب.

ليس ذلك فحسب بل أنني ألزمت عائلتي بوقت محدد لجلب حاجيات البيت أو الذهاب بهم إلى الأسواق، وعندما أذهب بهم إلى الأسواق فإن جهاز المحمول هو رفيقي الأول حيث تكون مواقف السيارات فرصة للخلوة مع النفس وكتابة الموضوعات الجديدة، ولا أنتبه لتأخرهم إلا بعد أن تنتهي البطاريات من الشحن، فتقوم قائمتي وأبدأ ألاتصالات ورفع الصوت جراء تأخرهم وأزيد على ذلك بعض كلمات الغضب فأقول لهم أنهم لا يحترمون من يبذل من أجلهم. فينقلب يومهم ذلك رأساً على عقب.

وفي السفر معهم يكون المحمول أول راكب ومن ثم تركب الأسرة، فهو الجهاز الذي سوف يوصلني للعالم من حولي وحتى لو كانت

مدة الرحلة يسيرة ومدة العوم في الشبكة قصيرة فعدم الدخول إلى هذا العالم لا يحسب بمقياس الناس بل هو بمدى راحة النفس، وفي جانب آخر فالمعيار في اختيار نوعية الشقق التي أسكنها أو الفنادق التي أختارها هي مدى وجود الإنترنت فيها فمتى توفرت الشبكة فذلك السكن هو المناسب حتى لو كان في أقصى الأرض، أو لا يحقق أقل قدر من الخدمات المطلوبة، أو أن الأثاث المعد للنزلاء متدنياً، وكل ذلك قبل أن تظهر الشرائح المتنقلة (الكنكت) فهي قد فكت أزمة للمدمنين وسهلت تواصلهم مع عالمهم الخيالي وزادت من أوقات جلوسنا أمام شاشة الشبكة وأصبح العالم كله بين أيدينا في كل وقت وحين. وإن لم أجلب معي جهاز المحمول فجهاز الجوال قد يقوم بالواجب أو الذهاب لمقاهي الإنترنت قد يكفيني عن ذلك، وهذا تكرر مراراً فأخرج متسللاً في صباح باكر والناس نيام من حولي وأذهب إلى مقهى وأطمئن على عالمي والمواقع التي أشارك فيها وأرد عليهم وأشارك معهم ثم أعود إلى شقتي وكأن شيئاً لم يكن، وبالطبع أن تلك الجرعة التي تناولتها صباحاً وعلى الريق قد

تكون كافية إلى الليل، وأحتاج في وقت المساء إلى جرعة أخرى؛ لا تستغربوا أو تعتبروا ذلك ضرب من الجنون ففرانسيس بيكون يقول:"من الصعب أن تحب وأن تكون عاقلاً في الوقت نفسه".

والإدمان يسافر معي حتى خارج وطني فهو مخلص بدرجة كبيرة، ففي مدينة بون الألمانية كان الحصول على شقة تحتويه على خط إنترنت فيه الكثير من الصعوبة، فعلى المستأجر أن يفتح خطاً هاتفياً باسمه ثم يتقدم ليشترك في خدمة الإنترنت عبر ذلك الخط، والاشتراك لا يكون إلا بعد مضي شهر من التقديم، وبحكم أن إقامتي كانت تقترب أو تزيد عن الأربعين يوماً، فكان الأمر فيه الكثير من الصعوبة فكيف أجلس كل هذه المدة وبدون الشبكة، خاصة أن التقديم وتوصيل خط الشبكة يحتاج إلى شهر؟ فاستعنت بعد الله بأخي المقيم هناك فاشترك بخط هاتفي باسمه واستفدت منه مباشرة، ولكن لم يكن حال الإنترنت في تلك البلدة بحال تسر، فالانقطاع والتعطل يصيب الشبكة كل فترة، وكانت فترات التوقف يسيرة،

ولكن ذات مرة توقف لمدة يومين لم يتنفس بنفس أو ينبض قلبه بنبضة،وأيقنت أن الأمر جلل وعلمت أن هناك خلل، فاستدعيت فني الشبكة المتخصص بتلك الشركة، ففحص الجهاز والشبكة، وفحص الأسلاك وكل مايتعلق به، ثم نفخ نفخة تعلن عن الهزيمة، فقال لا أعلم مالسبب ثم أردف قائلاً:فقط الذي أعلمه أن الشبكة متعطلة لديك وحدك، وكأنه قد أتى بشيء جديد، ضرب كفاً بكف وخرج وتركني متحسراً لا ألوي على شيء، استعنت بالأصدقاء من الأخوة المغاربة في تلك البلدة فقال أحدهم أنه يعرف مهندس حاسب آلي وهو ألماني مسلم، وحضر المهندس بدراجته واستقبلته أفضل استقبال كما يليق بالأبطال، وكان يلبس ثوباً إلى منتصف الساق ومن تحته بنطال، نظر إلى الجهاز ثم نظر إلى الأسلاك ثم وصله بجهازه ثم استبشر وكاد أن يبتسم فرحاً بنجاحه وماهي إلا ثوان وإذا بابتسامة النصر تتوارى وتظهر على محياه علامات الدهشة والاستغراب، وكأي ألماني يحترم وقته ووقت الآخرين أعلن أنه فشل بالوصول إلى الحل، وخرج وتركني وحدي في الصالة

وأنا أنظر إلى الجهاز الذي حير الفنيين من الألمان، بحثت عن بديل من الشركات الأخرى ولم تفلح جميع محاولاتي، ومع كل فشل أجد نفسي في مأزق جديد وكل محاولة لا أصل فيها إلى حل أحس أن التوتر النفسي يزداد عن ذي قبل، اتصلت بمسؤول الشقق ليجد لي حلاً، فأرسل المندوب الأول، فحاول مرة أخرى وفتش عن حل لعله يعيد الحياة إلى شبكتي التعيسة ولكن لا أمل فقد أصيبت بسكتة نهائية، وكالعادة نفخ ذلك الفني خديه حتى أحمرتا استعدادا لأن يطلق كمية من الهواء عبر فمه ليعبر عن الحنق واليأس من الوصول إلى حل، نفخ نفخة كادت تتطاير منها الأوراق الموجودة على الطاولة القريبة منه فأعلن الاستسلام والخسارة في الجولة الثانية. ضاقت حيلتي وعلمت أن نفسيتي سوف تتبدل إلى أسوء ولكن هناك حل ذهبي نجيده نحن العرب، وهو يأتي بالحلول السحرية، ويحقق المعجزات ويعيد الحياة، وفي كثير من الحالات يكون الأمل الذي نرجوه واقعاً نسبح فيه، أخرجت من جيبي ورقة نقدية بقيمة ٢٠٠يورو فأخذ ٥٠يورو وأرجع الباقي وقال إن أجر عملي هي

هذه الورقة فقط، فقلت أعلم ذلك، ولكن أنا أريد شبكة بأي شكل كان، فاذهب ولا ترجع إلي إلا بشبكة وإن كان الأمر يحتاج إلى أكثر من ذلك فأخبرني، تفحص الوريقات النقدية وهو لم يصدق الخبر، وفتح عدته مرة أخرى وبدأ العمل من جديد، وبعد أن مكث غير بعيد وإذ به ينفخ نفخة أخرى ولكن لها مواصفات تختلف عن النفخة المشئومة سابقة الذكر، اقتربت منه فقلت ما لخبر؟ فقال لقد نجحت والآن يمكنك العمل على الإنترنت وبسرعة أكبر قلت كيف ذلك؟! قال لقد وضعت لك الشبكة الخاصة باشتراكي على خط هاتفك والآن تستطيع أن تعمل باسمي. بالفعل كان الحل ذهبياً فعلمت أن الدراهم مراهم.وشفع لي أن جارتهم الأوربية (السويد) لدى أهلها مثل يوازي مافعلت فعلمت أن كل الشعوب تتحرك تروسها بسهولة عندما يتم تشحيمها كل فترة، وفي ذلك يقول المثل سويدي:"أكرم خادمك جيداً، تعطيك البقرة حليباً أكثر". فكان الحليب الذي نلته كثير الدسم.

التصوير: يقول برنارد شو:"الرجل القوي يعمل، والضعيف يتمنى ". تخلصت من جميع الأمنيات الورقية وبدأت أتعلم وأعمل على أرض الواقع كل ما من شأنه أن يزيد من موهبتي في كتابة التقارير عبر الشبكة ويجعل الناس تتخيل أكثر مما أقول، في البداية نزلت لساحة التصوير الفوتغرافي وتعلمت بعض الفنون المهمة في هذا المجال وكلما تقدمت وجدت نفسي في ذيل القائمة في هذا العالم الواسع –عالم التصوير- اشتركت في المنتديات المتخصصة فعرضت صوري فيها فلاقى البعض منها استحسان المبتدئين وصمت الخبراء عن النطق بأحكامهم مراعاة لشعوري وأملاً أن أ كون في مستقبل الأيام شيئاً يذكر ولا يقعون بالمأزق نفسه الذي وقع فيه أساتذة العلماء عندما راهنوا على فشلهم وأثبتت الأيام عبقريتهم – طبعاً أمنية أن أكون كذلك-، لا أخفيكم أنني عندما أجد لقطة مميزة فإنها تأخذني إلى عالم آخر لا حدود له من المتعة، وعندما أرى صورة فريدة أحاول أن ألتقط لها الصورة من كل جانب، وكان أبي –حفظه الله–في كثير من الأحيان ينظر إلي شفقة

ورحمة وفي بعض الأيام تكون له فرصة التندر على ابنه وملاطفته ومداعبته لأن تلك الوضعيات مثار للتندر، فأكون حديث الأخوة في كل جلسة، فلم تمنعني تلك الكلمات الرائعة الساحرة من أبي- حفظه الله- أن أتوقف عن ملاحقة الجديد في عالم التصوير أو التوقف عن اكتساب الجديد من الصور عبر أوضاع أراها مناسبة قد أقطف منها صورة مميزة، حتى أن والدي –حفظه الله تعالى- بدأ يشاركني هذا الهم إذ أنه عندما عاد ذات مرة من سفرة خارجية قال لي: تمنيتك معي ذات يوم فقد رأيت النهر ومن خلفه قرص الشمس بلون الغروب فكان المنظر يستحق التصوير وكان أفضل من يلتقط له هذه الصورة أنت – يشير إلي – فكانت شهادةً من أبي حفظه الله تعالى ومباركةً وتحولاً في النظرة إلى عالم التصوير.

ولم أخفي فرحي عندما رأيت صغاري وهم يستلقون على بطونهم وكل ذلك أملاً أن يلتقطوا صورة مناسبة تكون من أسفل المنظر، وبعد هذه الحركة أصدرت مرسوماً عائلياً أن من يصور بالوضع –

الإنبطاحي- فقد اقترب من الاحتراف وأكثر، وللعلم أن الوضع – الإنبطاحي- ليس له أي علاقة مما تعيشه الأمة من أوضاع مشابهة على المستوى الدولي، إنما هو وضع خاص بالتصوير والمصورين وليس للسياسة والسياسيين. وبعد فترة ليست باليسيرة رأيت أنني أتقنت التصوير بعض الشيء وأقول بعض الشيء لأنني لا أريد أن أنهمك في هذا العالم، وليس الهروب منه يعني زهدي فيه، ولكن لعلمي أنني إن تماديت في هذا الفن فسوف أدمنه، وكما يقول المثل " مدمن الشيئين كذاب" فليس من المعقول أن أدمن الإنترنت وأدمن التصوير، وكذلك من الأسباب التي دعتني أن لا أتجه نحو التصوير علمي المسبق أن هذه الهواية سوف تأكل الأخضر واليابس من مرتبي، وأن أطفالي سوف يتضورون جوعاً جراء السعي خلف هذه التقنية الرهيبة والتي تسابق الريح بسرعة إنتاج أجهزتها وتطورها، وتسابق التجار في رفع الأسعار، فمن المستحيل أن أكدح وأعمل طوال العام ثم أصرف كل مرتبي أو ضعفه ومثله على آلة صماء، فقررت أن أوقف التعلم الاحترافي الذي قد يؤدي للثراء الفاحش من

صورة واحدة ولكن بعد أن يأكل أضعافاً مضاعفة وأن أقف في صف الهواة الغلابة، رغم أن بعض الأصدقاء فازوا بجوائز عديدة من خلال المشاركة في المعارض المحلية أو الدولية، لكن ذلك لم يجرني للهاوية.

رحال مدمن: يقول أردشير: " الأيام صحائف آمالكم، فخلدوا فيها أحسنَ إعمالكم". كنت بحاجة لتحويل مقولة أردشير إلى: " الإنترنت صحائف آمالكم، فخلدوا فيها أجمل رحلاتكم ". فكان هاجس الإنترنت يطاردني أو بمعنى صحيح أنني أطارده، فعندما لا أجده حولي فإنني أجده قد اختبأ في قلبي، فأصبح الخفقان صوته والنبض نظره حتى أن رحلاتي قد تحولت من أجله وله، والأهداف التي أرسمها في سفري تبدأ وتنتهي قبله ومن بعده وبما يناسب النشر والتدوين والعمل في هذا العالم، بالطبع قد يعتقد البعض انه مرض، وبالحقيقة أن المرض يختلف عن الإدمان، فالمرض يهاجمك وتطرده، والإدمان يبتعد عنك وتلاحقه، المرض طعمه مر

والإدمان طعمه يسر، المرض تتأذى بقربه، والإدمان تتلذذ بقربه، والمرض له أعراض ظاهرة، والإدمان له أمراض خفية، والمرض يحس به المريض من دون غيره والإدمان يحس به الغير أكثر من المريض، المرض تأخذ بالأسباب المنجية منه والإدمان تأخذ بالأسباب الموقعة فيه. المرض تشيد له المستشفيات والإدمان تقام له المقاهي، الإدمان بشكل عام هو كسراب تلاحقه ويهرب منك وتنظر إليه ولا ينظر إليك، فمن كان هذا حاله فليس بمستغرب أن يكون عالم الحاسوب هو كل تفكيره وشغله الشاغل في الحِل والسفر. إننا نخطط كيف نسافر ثم نعود غير محملين بالهدايا والأشواق، بل بالصور والمعلومات، نعود ونقابل أشواق من يقابلنا بمشاعر مصطنعة كأداء واجب ثم نهرب وبسرعة لنعانق أجهزتنا ونعبها عبا بأنواع الصور الملتقطة واللقطات المسجلة كي نبدأ رحلة كتابة التقارير التي رسمناها بدقة، ونقص على الأبعدين أحداث الإثارة والمتعة وننسى الأقربين من كلمات الوله والمحبة، نسعى لأن نطلع كل العالم على تفاصيل رحلة الخيال ونحجب عن الأحباب كل الذي صار، إننا نسافر من

أجل أناس مجاهيل، ونصرف وندفع ونصور ونكتب ونتعب من أجل أن يندهش ويعجب ويبتسم ويضحك آخرون قد يمرون على حروفنا فلا يتذوقونها أو يتذوقونها فلا تعجبهم أو تعجبهم للتو ولكنهم يمرون عليها سريعاً فتكون كطيف بلا أثر، أو كالأثر في قلوب رملية تمسحها أي نسمة خفيفة في تلك القلوب السرابية. إن حال كتاب الإنترنت بشكل عام صعبة لدرجة تفوق التصور ومتعبة لدرجة لا يمكن وصفها وقاتلة حتى الموت وبصورة وحشية. وليت الكتاب في أول المراحل ينتبهون أنهم عابرون في حياة الآخرين وبصورة سريعة كقطار يمر بقرية صغيرة وهو على سرعة عالية جداً فلا أهل القرية لمحوا الركاب ولا الركاب تأملوا أهل القرية، ولكن أهل القرية يتذكرون أن هناك قطاراً مر وأهل القطار يعلمون أن هناك قرية في الطريق قد تم عبورها، إنها حياة عبور بلا أثر وليل بلا قمر. لعل الحروف الأخيرة خرجت من بين يدي ولم أحسب حسابها، أو أجبرتني على كتابتها، أو أنها كتبت في حالة ضجر وحزن، فلكم أن تأخذوا بها

أو تردوها فهي حروف صدرت بعفوية واقعية، وحروف قد تكون مناقضة لحال العسل ولكنها حق يجب أن يذكر.

المواسم: يقول هنري فان دايك: " استخدم كل ما تملك من مواهب..إن الصمت سيخيم على الغابة إذا لم تغرد فيها الطيور ذات الأصوات الرائعة ". في رمضان يتحول صوتي من صوت سياحي إلى صوت ديني بشكل أكبر، بل يكون التركيز على الصفحة الإسلامية عند كل دخول، وما هذا إلا عذر من أجل أن لا أفقد روحانية الشهر بمقابلة هذا الجهاز، فكيف استفيد وأفيد ولكن بالشكل الذي لا يضيع علي وقتي الثمين خلال شهر رمضان الكريم، فلم يكن أمامي إلا العزم على توديع التقارير السياحية والكتابات المختلفة والتركيز على الصفحات الإسلامية بشكل أكبر، وأحاول أن أنوع وأفيد بصورة أفضل في هذا الشهر، فمن تفسير للقرآن إلى قصص للتائبين إلى فتاوى عن الصيام وأحكامه وعن شئون الحياة المختلفة، وليس رمضان هو الوحيد الذي

نحول فيه الزمان إلى مناسبة تكون منطلقاً للأحاديث، بل إن كل زمان ومكان قابلان لأن يكونا موضوعاً، فكاتب الإنترنت لديه استعداد لأن يحوله إلى موضوع قائم على قدميه ويستحق المتابعة ويستوقف المتأمل. يقول لاوريار:"لايقاس السخاء بكثرة العطاء.. بل بالعطاء في الوقت المناسب".

ثورة طفل: يقول المثل الصومالي: " الذي لا يزرع حقله يموت من الجوع ". والذي لا يهتم ببيته قد يكون سبباً بهدمه. قدمت ذات يوم إلى البيت وكلي حماس من أجل الكتابة في الإنترنت، وكان أن استعدَّت نفسي قبل الوصول للبيت بكتابة مقدمة ذهنية لموضوع قادم، فالذهن قد صف الكلمات والأيدي تشتاق لأن تلتقي مع الحروف على أرض لوحة المفاتيح، في طريقي لوكر الحاسب الخاص بي مررت على عائلتي من أجل أن أطرح السلام عليهم وبسرعة ومن أجل تبرئة الذمة وإراحة الضمير بحيث أظهر وكأنني قد أديت واجبي والتقيت بأسرتي على أكمل وجه،

سألت وبسرعة عن صحتهم ودراستهم وأحوالهم، وكل الأسئلة التي كانت قريبة من ذهني طرحتها وبدون أن أنتظر الجواب أرسلتها تترى، وكان من الجميل أن أختمها بطرفة فحاولت أن أبحث عن طرفة وذلك من أجل أن أجعل الوجوه تبتسم قبل أن أدخل إلى غيابة الجب، ولكن للأسف أن المقدمة الذهنية التي أعددتها في ذهني قد أخذت كل الذاكرة الأمامية فلم يتبقى مكان لأي طرفة تكون بمتناول اليد، قالت زوجتي لما رأت فشلي في إنهاء ذلك اللقاء السريع..متى تريد العشاء؟ فكان الجواب المعتاد، أخروني..أخروني لأكبر قدر مستطاع وذلك من أجل أن لا أقطع أفكاري إن بدأت في الكتابة عبر الإنترنت.

أفتح أزارير ثوبي بالطريق المؤدي لغرفتي حتى استغل الوقت أفضل استغلال، أخراج نفسي من بين ثيابي، فأخرج من ثوبي المعتاد والذي أقابل الناس فيه وألبس ثوب الإدمان الواسع، دخلت الغرفة فسمعت خربشة في طرفها أنرت الغرفة فإذا صغيرتي تقفز بسرعة خارجة منها،

علمت أن في الأمر سر، فمثل هذه الحركات من الصغار لا تخفى على أبوالعيال، أهملت الأمر وذهبت لجهازي المحمول فإذا بالجهاز مشرع على مصراعيه، ورأيت من حول الجهاز حبيبات لوحة المفاتيح منتثرة على الأرض، هنا حرف وهناك حروف، هنا فواصل وهناك نقاط، هنا علامات وهناك أرقام، فعلمت أن صغيرتي قد أقدمت على هذا العمل وهَربت، لم يدع الشيطان لي فرصة بالتفكير أو تأمل هذا الحدث، ولم أدع لنفسي أي مجال لأن أدرس وضعي وأن أفهم أن هذا مؤشر الخطر وهذا العمل إنما هو احتجاج مصغر وعمل يقصد به الاستنكار والشجب على ما أ قوم به من غياب عن الأسرة، خرجت والشيطان ينفخ بأوداجي والشر يتقافز من عيني وذهبت بسرعة إلى تلك الغرفة التي يجتمع فيها أبنائي فوجدت الصغيرة قد اختبأت خلف أمها، فهي قد عرفت أنها أخطأت وعرفت أين تختبئ، صرخت صرخة لم يفهم الجميع محتواها ولكن يدركون أنني لست بحالة طبيعية فقالت الزوجة: ما الأمر فقلت أذهبي أنت وصغيرتك وانظري ماذا أحدثت بجهازي، ذهبت زوجتي

وتبعتها ابنتها. فلما دخلت رأيت علامات الفرح والسرور في وجه الأم خلف علامات الاستنكار والدهشة التي حاولت أن تظهرها، فقالت لابنتها أذهبي وأجمعي ما أفسدته ياصغيرتي، فقلت وهل تستطيع أن تصلح هذا الفساد فمن المستحيل أن تعيد الأجزاء المفككة أو أن تصلح الحروف المكسورة، وفي حين غفلة مني هربت صغيرتي إلى أخوتها معلنة النصر والظفر على أبيها الذي لم يرعاها حق رعايتها، قالت زوجتي سوف أساعدك في تركيبها وهذا كعرض من زوجتي كي تخفف من وطأة الغضب وتحمي ابنتها من العقاب المنتظر، قلت لها: شكراً وهذا إنذار أول وإلا العقاب قد حل إن تكرر الأمر.أخذت أجمع الحبيبات وأندب حظي فقد ضاعت المقدمة في ثنايا الغضب ونسيت تلك الحادثة بسرعة وإلى غير رجعة، فقد حاولت أن أمحوها حتى لا أعرف أنني أنا المتسبب الأكبر في تكوينها.

التواصل: يقول المثل الياباني:"العذاب عربون السعادة أحياناً". رغم اعتقادي بأن اليابانيين ليس لديهم وقت لصف الكلمات لكي ينتجوا الأمثال والحكم، فهم مشغولون وفي حركة دءوبة من أجل تغذية العالم بالتقنية، ومن أجل أن يتبادلوا مع العالم الثالث المصالح وهو الثري بالنقط فيعطونه الحديد التقني المشكل ويأخذون الذهب الأسود أو الأصفر، فهم بالليل والنهار يسعون لهدف واحد وهو أن يعطوننا أجمل ما تنتجه عقولهم ليأخذوا أجمل ما تنتجه باطن أرضنا قبل أن يأخذه أحد غيرهم. وهذا حق من حقوقهم.

وعلى العموم ليس هذا موضوعنا ولكن المثل الذي ضرب أعلاه يبين أن السعادة المكتسبة تحتاج إلى طاقة والطاقة المفقودة قد يكون من ورائها فقدان سعادة أخرى أهم من السعادة المكتسبة الجديدة، أما حالنا في صفوف المنتدى وقد تشكلت شبكة من الصداقة تبدأ من هنا..من نفسي وتنطلق في أقطار الأرض، والصداقة ليست أسماً

فقط ننطقه ونعتز به وبدون أن نحافظ عليه ونعززه أو بدون أن نتواصل مع أطرافه ونقوي وشائجه، بل إن التواصل المطلوب يحتاج إلى أن تتفقد الغائب وتسأل عن البعيد وتبارك للموهوب وتسعد مع السعيد وتحزن للمكلوم، وهذا جميل لكنه يحتاج إلى بذل والبذل لا يعني بذل المال فحسب بل يحتاج إلى بذل التفكير والحرص الدائم على عدم فوات الفرص في وقتها وعدم التأخر عن أداء الواجب المقيد بوقت معين، وكل تلك الأشياء ومع كثرة الأطراف يجعل الفكر في آخر المطاف (يجيم) وهي كلمة مأخوذة من (التجييم) وليس (التنجيم) بل هي تعني بلغة ميكانيكية التوقف عن التفكير والحركة وذلك نتيجة تشابك تروسه، فأصبح عديم الحركة الذهنية من كثرة الذين يستحقون المتابعة، وكذلك هناك الأصدقاء من الأعضاء الذين قد ارتبطوا بك ارتباطا وجدانياً فينتظرون منك أن تمسي عليهم أو تصبح أو تشجعهم، أو تنفس عن همومهم أو تشكي لهم كطبيب تلجأ إليه بعد الله من مصاب قد أصابك من أصحاب الشبكة الكل يريد منك أن تطرق بابه بأي شكل ولأي سبب. ولا

يعتقدنَّ القارئ أن الارتباط العاطفي يكون من قبل الأعضاء موجهاً للأشخاص البارزين فحسب، بل إن لكل "ساقطة لاقطة" وكل عضو له أتباع حتى لو كانت مشاركاته وموضوعاته مرفوضة، فهناك أناس يحسون له بطعم ورائحة لا تشمها أنت وأنا، ولهم قابلية لا يمكن أن نتصورها. فهذا عالم الشبكة يروج لكل صاحب بضاعة بضاعته ومن لا بضاعة عنده فسوق الشبكة تبارك له وترحب به.

وليست المشكلة هنا بالسعي خلف هؤلاء وتفقد أحوالهم فهم يستحقون ذلك، بل المشكلة أن حديث المتحدثين عن الشبكة لا ينتهي والكلام عن التقارير والموضوعات والأعضاء له أول وليس له آخر، عفواً بل له آخر وهو أن تنتهي بطارية الجوال ويفقد الشاحن شحنته، ويتحدث الأصدقاء في هذا المجال العجب العجاب، ولو علمت موسوعة جنز عن مدة المكالمات المتصلة من قبل بعض الأصدقاء لأتت الموسوعة إليهم ولقبلت رؤوسهم وطلبت منهم تكرماً أن يدونوا عملهم في الموسوعة وتحت موضوع أطول المكالمات

الرجالية عن المنتديات الخيالية، وليس الدخول إلى موسوعة جنز أو غيره هي الحدث الأهم أو الذي يستدعي أن أتكلم عنه، بل الذي يستدعي الحديث هو أن المدمن عندما يتحدث بالهاتف ينسى أهله وجيرانه وينسى كل من حوله فهو في غياب تام عن الحياة، ومَن حوله ينظرون إليه نظرة استغراب وإحباط، استغراب كيف يغيب عن الوعي كل تلك المدة ويصيبهم الإحباط لأنه لا يعي لهم ولا يهتم بمطالبهم أو يحس بوجودهم، وإن قلت أن هناك مكالمات دولية تتم بالساعات لما صدقتموني ولكن هذا هو الواقع الذي شاهدته أو قد أكون قد وقعت به.

الخلوة: يقول فريدريك نيتشه:"في كل إنسان حقيقي يختبئ طفلٌ يرغب في اللعب". نعم كان الطفل يلعب في عقلي بل أن هذا الطفل يأتي ويقول لي كل وقت لم لا تأخذ عائلتك وتذهب بهم إلى أهلهم من أجل أن يخلو البيت لك، ومن أجل أن تستطيع الكتابة بحرية وبدون أي إزعاج، ولتستطيع أن

تشارك في المنتدى بجو صحي، عشعشت هذه الفكرة في رأسي وقدمتها وكأني مشفقٌ عليهم أو رحيم بهم وهم لا يعلمون أنني أنا المحتاج لذهابهم، فمن ألذ الساعات أن تذهب بعائلتك وتجلب الصمت إلى البيت وتجلس فيه بهدوء يجعلك لا تسمع فيه إلا صوت وقع أصابعك على لوحة المفاتيح، فكأنك تعزف على الحبيبات السوداء والبيضاء للبيانو، فتمزج فكرة بفكرة لتنتج حكمة أو قصة، هذا الهدوء يجلب الكثير من الإبداع فالصفاء هو منطلق حياة الكاتب والصفاء لا يولد إلا في الهدوء والهدوء عدوه الأول الأطفال.

أنعم بفترة استرخاء وبهاء فكأني في خلوتي أنتقى المناسب من الأفكار ثم أعرضها على عقلي فإن صلحت فأرسمها على لوحة الموضوع بالشكل الذي أراه مناسباً، فكأني في متجر يعرض أفخر أنواع الأفكار، فليس بينها سيء فكلها جميلة، ويبقى على المتبضع أن يختار الأجمل منها والذي يناسب ذائقته.

وهذه اللحظات برغم جمالها وحسنها يعيبها شيء واحد وهو انقضاؤها بشكل سريع، ويَقتُل بهاؤها رنين الجوال عندما يقطع عليَّ حبل أفكاري معلناً انقضاء المهلة من العائلة الكريمة، فهذا صوت أبني يطلب المجيء لأن النوم قد غطى عيون الكون كلها ولم يتبق أحد في بيت الأخوال مستيقظ غيرهم، فأحس بالضجر من انقضاء الوقت، ولكن الضجر لا يعني انقطاع الأمل هناك طريقة أخرى من أجل تمديد المتعة فأبدأ بمفاوضات أخرى جديدة ومفيدة للطرفين فأقدم عرضاً مغرياً آخر أعرضه بصورة في ظاهرها الرحمة واللطف وفي باطنها الهروب من المسؤولية وحب الخلوة، فالعرض يقضي بأن يقضوا ليلتهم تلك عند أخوالهم وينعموا بإجازة ممتعة، ففي أول الأمر كانت السعادة تغمرهم فالتغيير شيء جميل ومثير بالنسبة لهم ولكن مع الوقت أحسوا أن تغير مكان النوم والبعد عن ألعابهم وأدواتهم التي يحتاجونها شيء لا يطاق فكان التراجع بعد فترة قصيرة من تلك العروض المجانية؛ لذا فلم أنعم بها بشكل كاف.

وأما الكرامة التي أتمناها أن تنزل عليّ أن يُعرض عليهم السفر برفقة أهلهم، فهذه أجازة مفتوحة لهم أوقعها على بياض ورحيل يجعلني أنعم بأيام سعيدة في وحدتي، فجهازي يكون مفتوحاً طوال الوقت فلا خوف من عبث العابثين ولا انقطاع عن متابعة الإنترنت في الليل والنهار وفي الصحوة والسبات، خلوة لا تعكرها طلبات الأغراض والحاجيات، وفرصة لأن أنهي جميع الموضوعات، وفي كل فترة أتصل عليهم ليس من أجل أن أطمئن أنهم سعداء في رحلتهم بل من أجل أن أطمئن أنهم لم يملوا الرحلة أو أن نهايتها قريبة، وعندما أعلم بقرب عودتهم تبدأ حالة من التأهب والاستعداد لتشطيب كل الأعمال المعلقة وإنهاء كل التقارير التي بدأتها، وقد يستغرب البعض هل هناك أحد يحب الجهاز أكثر من عائلته ويحب أصحاب الإنترنت أكثر من صاحبته وأم أولاده أقول من ابتلي بهذا البلاء فليس غريباً أن يكون بهذا الشقاء فنسأل الله السلامة من كل عمل يقود إلى الخسارة والندامة..

في منتصف الليل: يقول شكسبير:"إن الأمل سريع يطير بأجنحة الخطاف، فيخلق من العظماء قديسين، ومن قليلي الشأن عظماء". إنني أرغب أن أحقق آمالاً كبيرة وأتوسع في آمالي لدرجة قد يضحك منها الحكيم وتحير العاقل الفطن، فآمالي التي أبنيها في الشبكة يخيل للسامع أنها آمال رملية وأحلام سرابية وأنها محتملة التحقيق إما على الوراق أو في أحلام المنام، إنها كسراب في قيظ نجد تنتظر أحد المارة لكي تتلاعب به الأشعة وتتسلى في وقت الظهيرة، فأشعة الشمس تمارس هوايتها من أجل أن تعبث بعقل ذلك المسكين الذي ضرب لنفسه موعداً مع السراب في أنسب وقت.

وأحلامي التي شيدتها لم أكتف ببنائها بل بدأت أتفحصها كل حين وأكثر من التبديل في محتواها أو التغيير في مسارها من أجل أن تكون أكثر جمالاً، فليس غريباً على أفراد أسرتي أن يروني أمشي على أصابع أقدامي في منتصف الليل ثم أفتح جهازي وأتلمس الحروف

التي قتلها الظلام وذلك من أجل أن أكتب موضوعاً قد طرأ في منتصف الليل ثم أغلق الجهاز على عجل من قبل أن أُكتَشَف ممن حولي من أفراد العائلة، فأنام بعد هذا العمل مطمئناً وبإحساس وشعور أنني قد أديت واجبي ولم أرجئ العمل عن وقته، ولما كان العمل في الظلام متعباً كأي عمل في الظلام فهو يتطلب إمكانيات كبيرة وتهدئة للنفس الخائفة الوجلة وسرعةً في الأداء وعملاً بأقل قدر من الوقت والأضرار، فكانت المعضلة التي أواجهها مع ماسبق أن الحروف لا تتضح لدي كثيراً من ظلام الليل، ولو حاولت أن أفتح الأنوار لتنبه أهل البيت ولأحس الآمنون بترويع من قبل الخائفين من أمثالي، وكيف أفتح الأنوار وأنا أطالب أبنائي بالرقود مبكراً من أجل أن يستيقظوا مبكراً ليومهم الدراسي فأكون أنا أول من خالف كلامه، وليس المهم في قرارة نفسي أن أخالف كلامي بالدرجة الأولى بل المهم أنني أدعو ليل نهار في المنتدى أن يكون المرء عند كلمته فليس من اللائق أدبياً بيني وبين أصحابي من أهل الإنترنت أن أخالفهم لِما آمرهم به. وأمام هذه المشكلة كنت أحدث نفسي

لو أن من صنع لوحة المفاتيح جعل للحروف إضاءة كعيون القطط التي تلمع في الطرقات لخدم أهل العلم من أمثالنا خدمة عظيمة. وقررت في هذا الأمر قراراً كان له أثر عظيم وراحة تجعل سارق الوقت من أمثالي في منتصف الليل يعيش بلا قلق أو وجل فقررت أن أتعلم الكتابة على لوحة المفاتيح وبدون رؤية الحروف على اللوحة ووفقني الله سبحانه وتعالى في هذا الأمر حتى بدأت أعيش أوقاتي بلا رهبة. أتلمس الحروف وأكتب التقارير وأعدل من بعض أعمالي التي طرأت علي متأخرة، فالأفكار الرائعة تتربص بي حتى لا أنام، فإذا فعلتها أيقظتني وأخبرتني أنها قد وجدت طريقة أفضل لتنفيذها فما يكون للعبد الضعيف إلا الاستسلام أمام أداء الواجب الطارئ.

ومن غرائب أهل الإنترنت أنك تجد الأعضاء في كل وقت فبعد الفجر هناك أناس ألاحظ وجودهم كل يوم، وهناك نساء لا تدخل الإنترنت إلا بعد أن ينام الأطفال، وهناك موظفون يتابعون الشبكة من دوائرهم وفي أوقات معينة، وهناك أشخاص قد تخصصوا بأوقات

معينة، فأصبحتَ تجد الأعضاء في أوقات مألوفة يدعوا للتأمل، ومن أكثر الأشياء التي أتأملها وأحزن لها أن أجد الفتيات أمام الموقع في أوقات متأخرة من الليل فالذئاب لا تخرج إلا في الظلام، وكذلك مما يحز في النفس أن تترك المرأة بيتها وزوجها وأبناءها وتجدها مشاركة في كل زاوية من زوايا الشبكة، وليس المقصود هنا أن أقول أن فعلها خطأ لأن كل فعل يحكم عليه من المحيط الذي يعيش فيه المرء، ولكن أستغرب أن المرأة تعيش في هذا العالم الليل الطويل وتسهر لتبحث عن مجد زائف أو شهرة عابرة أو كلمة شكر باهتة وتهمل كل ذلك عندما يكون من مصدر سعادتها أسرتها الكريمة، وأستغرب من أهل وملاك المواقع الذين يبنون مجدهم على ظهور الأعضاء أو المشرفين والمشرفات فتجدهم يطالبونهم بالعمل الحثيث من أجل أن ينالوا هم مرتبة أو مكانة مميزة بين المواقع أو يحصلوا على إعلانات تدر عليهم الكثير من الأموال، فهم ينفقون على الأعضاء كلمات الثناء والتمجيد والمقابل في ذلك أن تنال شهرة زائفة أو عضوية مميزة أو لقباً لا يقدم ولا يؤخر، وأما في عالم الحقيقة فكأنهم يقولون أهمل

كل شيء وكن لنا في كل شيء أهمل أسرتك وألغ جميع الأولويات في حياتك واجعلنا نحن رأس القائمة والأولوية الأولى في شئونك، إنني لا أعرف أي موقع تُغلق أبوابه في وقت معين أو يؤدي رسالة ثم يقفل، أو يصرف للمشرفين والمشرفات رواتب مجزية بالرغم أن نجاح المواقع قائم على هؤلاء وأن العمل القاسي يتحملونه والخيبة والخسارة يجنونها في أسرهم أو حالتهم النفسية أو أمراض لا يمكن أن يعوها في حينها،كم كنت أتمنى أن يتحدث أصحاب المواقع عن الإدمان وأثره السلبي على مستخدم الإنترنت، وكنت أتمنى أن يصرخ ملاك المواقع وأن يقولوا كفى، وأن لا يكون حب الذات والبروز على حساب الغير هو الهدف الأول والأسمى، ولكن قد أكون أعيش في أحلام أو هو أمل من الآمال التي أبنيها في كل وقت ولكن في غير مكانها الصحيح..في ختام هذه الفقرة ألا ترون أن من بدأ الحديث أوله كأنه ليس له علاقة بكاتب آخره.

الحوت العربي: يقول المثل الإسباني:"الخوف والحب لا يأكلان من طبق واحد". بل لا يجتمعان على مائدة واحدة، ولا في غرفة واحدة أو مسكن واحد، ففي ليلة ظلماء تسربت همسات خافته خائفة وصلتني عبر رسائل الجوال ممن أعرفهم من أصدقاء الشبكة، تقول تلك الشائعات أن شركة عملاقة من شركات الإنترنت بدأت تبتلع المواقع المميزة في الشبكة العنكبوتية العربية، وأنها تبتلع كل يوم موقعاً جديداً من المواقع التي عليها (العين) من قبل رواد الإنترنت، وهي في طريقها لأن تأخذ نصيبها من المواقع السياحية ولن تأخذ إلا الموقع الأقدم والأميز في هذا المجال، إنها شركة (مكتوب العربية) التي بدأت تتابع المواقع العربية لشرائها فوضعت عين على المميز منها والعين الأخرى على شركة (ياهو yahoo) العملاقة بشحمها ولحمها، وتقنيتها وقوتها فهي تسعى من أجل إقناعها بالدخول إلى السوق العربية عن طريق شراء المواقع التي جمعتها (مكتوب) وطورتها وربطتها بشكل يناسب شركة (ياهو)..وهذا الذي تم لها فيما بعد..ومن بين الأسماك الصغيرة التي

أبتلعها الحوت العربي الكبير موقع (العرب المسافرون)..ولا أخفيكم أنني لم أصدق الشائعة ولكن أخافتني ولا أعلم لماذا لم أصدقها..فهل الحب قد صدها؟! قد أعتبر نفسي أنني تشربت حب الموقع فكأنه لي، وكأن الموقع مهما قال عنه الناس لن يذهب بدون أن يستشيرني أو يستأذن مني، بل إن حبي وتقديري له وللأعضاء المنتمين إليه من رأس الهرم حتى العضو الجديد جعل هذا الأمر وكأنه أضغاث أحلام لا تستحق أن أذهب لمؤولي الرؤى واستفتيهم في ررؤياي إن كانوا للرؤيا يعبرون، أنني في ذلك الموقع لا أملك فيه مثقال حبة من خردل، ولم أبن طوبة واحدة في جداره، أو أضع فيه ريالاً واحداً من أجل تشييده، لكن كنت أعتقد أنني صاحب ملك، وشريك حب، ومساهم فعال في الموقع، وغلبت علي العاطفة وأختلت الموازين في نفسي، وعلمت أن حساباتي خاطئة، وبالفعل وفي وقت وجيز تغيرت أشياء كثيرة في موقعي المفضل ومنتداي الذي كنت أقبله بعد السفر قبل أن أقبل أبنائي، وأسهر في ساحاته حين أترك أسرتي، وأبحث عن حاجات أعضاءه يوم أن نسيت حاجة

عائلتي، وأتعب وأرهق من أجل أن يُفتح الطريق لمن يستفسر أو يسأل، تغير التصميم الذي اعتدنا عليه فكأننا دخلنا إلى موقع جديد لم نألفه أو نعرفه، تغيرت الدعايات التي في رأس الموقع، فظهرت دعايات لا تناسب التوجه السابق، اختفت أسماء أساسية ولم تعد تظهر، ظهرت أسماء إدارية لم نكن نعرفها، ألحظ من كتابات العارفين ببواطن الأمور الخوف والقلق من أن يتبدل الحال وأن تتغير سياسة الموقع الذي ألفه الجميع والتفوا حوله، فالاتصالات لم تنقطع تلك الأيام والكل يبحث عن حل أو يبحث عن جواب لكل التساؤلات التي تدور في رؤوس الأعضاء ولم تجد جواباً كافياً شافياً من ألسنة المخضرمين. بعد فترة تغير نطاق الموقع (الدومين domain) وفي الأفق سحابة سوداء لا تحمل الخير بظاهرها، والشمس التي كنا ننعم بدفئها تحاول أن تمدنا ببعض أشعتها من خلف ذلك الركام المظلم لكن يحجبها سواد السحب، الشمس تجاهد لتنير لنا الطريق كما كانت تفعل من قبل، ولكن ليلاً مظلماً يقترب ليمحو النهار ويبقي الغموض على تلك السحابة السوداء،

فمع سواد الليل يختفي كل سواد، وليس لنا إلا أن ننتظر صباح الغد ولكن صباح الغد ليس هو الصباح المعتاد، فلا أعلم كيف يكون بدء الحياة مع غياب شمسها ولا أعرف كيف لي أن أبدأ يومي بدون أن تكتحل عيناي برؤية ألوان ذلك الموقع الذي عشقته، وسبحت ببحره، ونعمت بلحظات جميلة من عمري بين أعضائه، لا أعلم كيف يكون اللقاء القادم مع موقع يدار بأشخاص جدد؟ أو يدار بأيد وعقولٍ لها توجهات ليست معروفة بالنسبة لي؟ ولكن الذي أعلمه أن العاشق العربي عاشق حتى الثمالة، وأن الحب يعمي بصره وفؤاده، يقول برنارد شو:"في حياة كل إنسان مأساتان: الأولى عندما يجد الحب، أما الثانية فهي عندما يفقده". لقد أحببنا المنتدى حتى أصبح المنتدى هو حياتنا وهو عيشنا ونبضنا، المنتدى بكل طاقمه وتسلسله الإداري محل تقديرنا، ورفعته وإعلاء شأنه هو هدفنا ليل نهار، في السفر وفي الحضر، في الخلوة والاجتماع، لقد كان المنتدى هو هاجسنا، وهو حديثنا فإن لم نجد من نتحدث معه حوله تحدثنا مع أنفسنا عنه، حتى حسب الناس أن الخبل قد أصابنا، أو

أن الهبل قد زارنا. هذا الحب العنيف الغير مقنن لم نصحوا منه إلا عندما تغير الشعار، وتبدل الحال، وأحسسنا أن الملاك الأصليين لا يملكون كامل القرار. وتبسم الشيطان لأول مرة بين أهل الدار، وتبسم بتبسمه الشامتون الذين ينتظرون مثل هذا السقوط، وأحسست لأول مرة أن في ثنايا حديث كل متصل كلمتين هما: (هم) و(نحن)، وكان البعض ينتقد (هم) والبعض يصوب (نحن) ضعت فترة بين (هم) و(نحن) ولم أعلم في أي السبيلين أنا؟ هل أنا مع(هم) أو مع (نحن) ولكن لم أفقد الوصال وتواصلت مع الفريقين ولم أقطع أي علاقة رغم أن شدة التوتر قد زادت، والحياة في المنتدى لم تعد كسابقتها، لن أكون مثالياً وأقول أنني لم أتأثر، أو لم تؤلمني تلك الخطوة لأن تلك الخطوة كمن أحتل سكني عنوة، ولكن أراجع وأتأمل وأعزي نفسي وأقول أنه ليس بيتي؟! بل هو بيت مستأجر أو بيت سكنته بمقابل، والمقابل هو أن أقدم التقارير مقابل المكوث في موقع مدفوع قيمته بالكامل. قبل بيع المنتدى كنت أفكر دائماً إلى متى الموقع سوف يستمر؟ خاصة أنه يتطلب جهداً نفسياً وجسدياً

ومالياً، ومن يقف خلفه من الملاك هم شباب متحمسون وهدفهم الأول أن يفيدوا المجتمع، وأن يخدموا السياح العرب، ولم يكن يخطر بباهم أن يتضخم الموقع حتى صعبت إدارته مادياً وفنياً وجسدياً، إن هدفهم الأساسي الأصلي كان من أجل الجميع ومن أجل المجتمع،وعندما أتى الطوفان وبدأ بالتهام المواقع العربية بشراهة، أتاحت لهم تلك الفرصة أن يتخلصوا من أعباء كثيرة مرهقة، ولكن الكثير من الأعضاء الفاعلين لم يكونوا مقتنعين بهذه الخطوة، لأنهم لم يعانوا معاناة إدارته والتي كانت تسهر ليالي من أجل أن تحمي المنتدى من خطر المتربصين من المخترقين، وكانت تستأجر مواقع التخزين(السيرفرات) من أجل أن توفر عملاً أفضل ومكاناً مناسباً للأعضاء ليقضوا أجمل أوقاتهم، ولم يكن يعلم الأعضاء مدى المشاكل التي تواجهها الإدارة من قبل بعض المشاكسين، وكيف أنها تضبط أعصابها حتى لا يفتضح الأمر أمام العامة، ويشوش على الجميع فكرهم ويبدد جهدهم. كل تلك الضغوط التي لا يعلم عنها الأعضاء جعلت تقبلهم لفكرة البيع غير مقبولة، أيضاً نفس هذه

الضغوط هي التي عجلت بالبيع من قبل الملاك لأن الوضع بلغ حداً لا يطاق.

التائه: يقول روبرت هيتشنز: " الحب أن تصبح سعادة شخص آخر أهم من سعادتك ". ولكن هذا الآخر لم أعد أجده بشكل دائم، هذا الآخر الذي ألفته وأحببته ظللت أبحث عنه فوجدته قد غاب واختفى، هذا حال الكثير من الكتاب الذين عرفوا بتميزهم وكان لهم اسم في عالم التقارير السياحية، اختفوا فجأة وبدون سابق إنذار، فلا الكلمات أصبحت تطربني ولا الحروف تغازلني ولا الردود تشجعني ولا المواضيع والتقارير تستهويني، العطاء الذي كان في أوج فورته بدأ ينطفئ، فكأن هناك بحرٌ قد سكب على عوده المشتعل، الحب الذي كان يصرف على القريب والبعيد بدأ ينضب، البسمات التي كانت تنثر هنا وهناك بدأت تجف، الحياة التي كانت تنبض في كل سطر بدأت تضطرب. حاولت أن أقنع نفسي بالاستمرار وأن أكون آخر من يخرج من الميدان، ولكن

لم أستطع أن أ كمل المسير وشعرت أن الحروف هناك تخنقني وأن الرحيل يناديني بل يجذبني بدون أن يستشيرني، خرجت هائماً على وجهي وأبحث عن وجهة جديدة أبدأ معها المسير أو مكان آمن أنشئ على أرضه مجداً آخر إن كان هناك من مجد أول، لملمت حروفي، وحملت كلماتي،ووضعت أقدامي في بلاد أخرى من بلاد الشبكة ولكن كما يقول المثل:"من خرج من داره قل مقداره"، أعضاء لا أعرفهم وإدارة لا تربطني بهم أي رابطة، بوابات مختلفة وحضور قلق ووحشه أشعر بها في كل حرف أكتبه في ذلك المكان، لم أحس بقلبي هناك ينبض كما كان ينبض في بيتي الأول، ولم أجد هناك قلوباً تنبض مع حرفي أو تشاركني همي؛ لذا خرجت بنفس السرعة التي دخلت بها..فلم أجد القلوب التي أحس بها..لذا لم أجد البيت الذي أرتاح فيه..يقول أنيتا أكبرج:"ما دام لك ركن في القلب، فستجد لك ركناً في البيت".

تبدل الحال من حال إلى حال، وتغير كل شيء في عالم الإنترنت، وقد كان هذا الحدث هو الحدث الأبرز في حياتي في الشبكة، فلرب ضارة نافعة فقد استيقظت من الغفلة، وصحوت من سبات الإدمان فلم تكن تلك البيعة بالنسبة لي ذات ضرر كامل بل فيها استيقاظ من غياب تام، سبحان الله أصبحت الإنترنت بالنسبة لي مملة ومقابلة الجهاز تجلب الغثيان والحديث فيها يصدع الرأس، فسبحان من يغير الأحوال ولا يتغيير.

طريق الحقيقة: يقول هاري إمرسون فوسديك:"تلك هي الحياة، فإن انقطع وتر، يجب أن نستمر في العزف على الأوتار الثلاثة الباقية". وكعادة المدمن لا يقلع بسهولة فهو يتمسك بحياته القديمة، قد يغير من مساره أو يبدل من حاله، أو يبحث عن ضرر أقل، لكن لا يبتعد كثيراً؛ لذا فقررت أن أغير النهج وأن أسلك طريقاً جديداً وأن يكون طريق الحقيقة هو الطريق، طريق نشر الحياة في أرجاء الأرض وبث الخير في كل

مكان، فالتحقت بموقع (طريق الحقيقة) والذي تكفل أصحابه بأن يقيموا حلق حفظ القرآن الكريم في أطراف الأرض عبر الإنترنت، فهذه حلقة في باريس وأولئك حفاظ في روسيا، وهناك مجتهدون يدرسون في المغرب العربي، وفي كل أرض لهم منبر حق ودعوة خير ومقام صدق، دخلت والخجل يكتنفني وظللت فترة ارقب العاملين بهذا الموقع، فوجدت العجب العجاب، إنهم لا هم لهم إلا الدعوة إلى الله في كل مكان. يبدأ عملهم من نشر مشاريع حلق القرآن الكريم عبر الإنترنت في كل أصقاع الأرض، إلى مشاريع نشر الخير والمناصحة في أطراف الإنترنت، فتقام الأعمال الاجتهادية وتنشر المطويات الدعوية، وتقدم النصائح التوجيهية، وورش العمل المستمرة، ويبذل الوقت كله في عمارة الأرض واحتساب الأجر للآخرة الباقية، جهودهم مركزة ومقننة ومدروسة، وعندما تقدم مشروعاً تريد منهم المساندة تجدهم يهبون بسرعة عالية، فالكل يريد أن يظفر بالأجر.

طرحت فكرة على الصحاب الجدد في منتدى (طريق الحقيقة) وتتلخص بنشر القرآن الكريم في موقع (اليوتيوبyoutube)، وأن تكون المقاطع القرآنية المنشورة مترجمة ففي المرحلة الأولى للغة الإنجليزية وفي المرحلة الثانية مترجمة للغة الفرنسية وهكذا..أنطلق المشروع بعدة مجموعات، وكل مجموعة لها عمل محددة لأجزاء من القرآن الكريم، بدأ العمل بتجهيز البرامج الحاسوبية المناسبة للمشروع وشرحها للأعضاء، ومجموعة أخرى تقوم بتجهيز المقاطع وتحريرها بحيث تكون بمدة زمنية مناسبة للرفع، ومجموعة تقوم بعمل المقدمة والنهاية للعمل وبإخراج رائع عبر الصوت والصورة، ومجموعة تبحث عن المقاطع المسجلة والمترجمة من صلاة التراويح في المسجد المدني والمسجد الحرام، فيتم ضبط البداية والنهاية لكل مقطع ويتم ترتيب الأجزاء متسلسلة، وفي المرحلة النهائية هناك فريق للمراجعة ليتأكد أن المقطع مكتمل ومتصل بما بعده وخال من الأخطاء..عمل دءوب وجهد يكاد لا يهدأ، والحماس يظهر مع كل خطوة نتقدم بها إلى الأمام، المشاركون في المشروع من دول شتى من العالم، من

روسيا ومن المغرب العربي ومن الخليج وأوربا، ومن أماكن أخرى، هذا الحماس وهذا النتاج وهذا العمل جعلني أحس بشعور الفخر وأفرحني وأسعدني فعلمت أن الأمة فيها من الطاقات الخيرة والتي تحتاج إلى من يبدع في توظيفها وتسخيرها، وأن الخير ودروبه هي الدروب المحببة للنفس السوية، وأن سبيل الهدى هو السبيل الذي تبذل به كامل الطاقات، وفي فترة زمنية محددة أتممنا بحمد الله وفضله كامل القرآن الكريم على شبكة اليوتيوب العالمية.

أعود لأصحاب (طريق الحقيقة) فهم لم يقفوا عند فتح الحلق لتعليم القرآن الكريم عبر الإنترنت، بل إنهم دائماً يبحثون عن الجديد المفيد للمجتمع بشكل عام، فكانت أفكارهم مميزة وجديدة، وهم يطبقون مقولة مدام كوري:"على المرء أن يجعل حياته حلماً، ثم يجعل هذا الحلم حقيقة". وأول تلك الأحلام الجديدة هي موقع قناة (مَشاهد)، حيث تجمع تلك القناة كل المشاهد الإسلامية والوثائقية من كافة القنوات الفضائية وهو مايعرف بـ (TVOnDemand) أي

التلفزيون عند الطلب، والهدف منه جمع المادة العلمية النافعة ووضعها في مكان واحد يأمن فيه الزائر على نفسه من وجود مقاطع مخلة يحذر منها أو يخشاها على من حوله.

ولم يكتفوا بذلك بل كان أمر خدمة دستورنا القرآن الكريم على رأس القائمة حيث تم افتتاح موقع "مثاني" لمقاطع القرآن الكريم ويحتوي أكبر مكتبة بالصوت والصورة للقراء من أنحاء العالم، حيث يشترط الموقع أن يظهر القارئ للمشاهد وهو يقرأ القرآن الكريم، فكان عملاً مميزاً ووجد القبول والانتشار.

وفي مجال آخر كانت للغات الأخرى حضور لديهم حيث تم وضع موقع "تلاوات" ويحتوي على ثلاثة عشر ترجمة بالصوت والصورة لمقاطع مختلفة من القرآن الكريم، الهدف منه إيصال القرآن الكريم إلى أطراف الأرض بكل اللغات العالمية. جهود هنا وهناك، وعمل لا ينقطع، ونظرات وتخطيط، واحتساب وبذل، وكل ذلك في سبيل

نشر هذا الدين، وفي سبيل إيصال خيره لكل البشرية المتعطشة لأن تنهل من منهل الخير ذلك المعين الصافي والنهر الجاري.

بعد فترة أحسست بحاجتي إلى الراحة من الشبكة العنكبوتيه بشكل تام، أو أنني بحاجة إلى استراحة محارب، أقف فيها مع نفسي بل أقف لأتأمل ما مضى من عمري، أو لعلي ألتقط أنفاسي التي تبعثرت هنا وهناك جراء الركض خلف عالم الخيال بشقيه خيال الجمال وخيال البعد عن الواقع، وساعدني الوضع الصحي الذي تدنى أن أتخذ هذه الهدنة المؤقتة، وأن أغلق الستار بيني وبين المشاهدين إلى وقت معلوم، كل ذلك تم بشكل تدريجي كمدمن يبحث عن العلاج ولا يريد أن ينقطع فجأة ويعود أكثر من ذي قبل إلى إدمانه، أو لعلي محتاج إلى وقفة مع النفس من أجل ترتيب الأولويات وأرتاح من الفوضى التي عمت حياتي فأنفض عن النفس كل غبار لصق بها في هذا الطريق الطويل فقد أصبحت أشعث أغبر من طول المسير، يقول سندير:"الحياة كالفراش.. إذا أحسست أنه

غير مريح فخير ماتفعله هو أن تنهض وتعيد ترتيبه". نعم..ياسندير..لقد عملت بنصيحتك ونهضت من الفراش وأعدت ترتيبه ولكن هل أعود فأنام مرتاحاً على فراشي مرة أخرى..لا أعلم؟! أو أنني محتاج إلى أن أعود إلى الطبيعة وأنام على الأرض كزاهد بهذه الدنيا كما يفعل بعض أغنياء العالم عندما يذهبون إلى الهند أو إلى أفريقيا ويعيشون عيشة الفقراء من أجل أن يطهروا النفس من أدرانها بعد عام من انشغالهم بأكل الأموال بالحق والباطل..وبعد أن ملأتهم الحياة بالهموم مع كل جانب.

زاد المسافر: يقول كومب: "لا تتخذ قرارا حتى آخر وقت ممكن. ربما تصلك بيانات جديدة ". وصلني اتصال من أحد الأصدقاء وقال بلغة صريحة سريعة صارمة نحن –نحن عكس هم – اجتمعنا وقررنا افتتاح منتدىً سياحيّ جديد، يجمع شتاتنا ويبقى على أخوتنا، ونتواصل من خلاله ونحافظ على أهدافنا التي كنا نسعى لها من قبل وهي صناعة السياحة العائلية المحافظة،

استشارني في الأمر وكأنه يجزم بموافقتي، وافقت وأحسست بعد حين أنني تعجلت، وليس ذلك ندماً على أنني وافقت على إنشاء منتدى آخر، ولكن الأعمال المكررة تثير في نفسي الاشمئزاز، ولا أدعي حب التميز ولكن أن تسير بخط واحد وتعيد الكرة من جديد، إدارة ومشرفين وأعضاء وعالم سياحي ونفس الخطوات، قد يرى البعض أن التخصص هو أقرب طريق للنجاح ولكن عن نفسي لا تستهويني تلك النجاحات المكررة، أريد أن أكتب في شيء مفيد أو عمل مميز أياً كان هذا العمل حتى لو حققت نجاحاً بسيطاً ولكن في خط جديد، لا أريد أن أرجع وأكتب التقارير السياحية المطولة والتي تستمر شهوراً عدة، وما يتبعها من رفع للصور التي تستغرق ساعات طويلة، تمنيت أنني لو أطعت السيد كومب وتأخرت باتخاذ القرار أو أجلته حتى أطول وقت، لكن حماس الصحب كان يسابق تفكيري وردي وترددي، فأعتمد الأمر، ولم تمض إلا أيام حتى أصبح المنتدى مفتوحاً للعالم ويرحب بالكل، ومن الحماس الذي عم المجموعة أن المنتدى أفتتح بدون أن تُرشح إدارة أو يعين مراقبون، بل تم افتتاحه

ولم يكن بيننا من يعلم عن لوحة التحكم أو الدعم الفني الذي يحتاجه مثل موقع كهذا، ولكن الجميع يعمل والجميع يطلع على المواقع التي تشرح التعامل مع لوحة التحكم، الكل متحمس لبناء بيت جديد يعوض فيه البيت القديم، وماهي إلا فترة وجيزة حتى تم تعيين الإدارة، وتوافد الأعضاء القدامى من كل حدب وصوب وسجلوا، ومن لم يستجيب بقي يشاهد من بعيد ويتابع بترقب، حتى يستقر الأمر ويتأكد أن ماتراه عيناه حق.

مضت الأيام والهمة والنشاط تدفعان الجميع لتقديم الجديد، والخبرة والأسماء التي يحتويها الموقع مغرية لأن يكون موقعاً فريداً، ولكن الوصول للقمة أو الوصول لمستوى المواقع الأخرى يحتاج إلى عمل مضاعف، الموقع نشأ من الصفر وفي خلال ثلاث سنوات أصبح بشكل تقريبي هو الموقع السياحي الثالث على مستوى الوطن العربي، وهي نتيجة رائعة في مثل هذه الفترة القياسية، وتجاوز مواقع كانت قد سبقته منذ سنوات وأغلقت أبوابها وهو قائم فاتح أبوابه

للسائحين، بل إن معدل المواضيع المنشورة في الموقع بالنسبة لعدد الأعضاء يتجاوز كل المنتديات في الساحة. بوادر النجاح واضحة برغم الصعاب المتوالية، فالحكمة تقودهم عند كل ملمة "لايصل الناس إلى حديقة النجاح دون أن يمروا بمحطات التعب والفشل واليأس. وصاحب الإرادة القوية لايطيل الوقوف في هذه المحطات".

في جانب آخر انتشرت في تلك السنة حمى المواقع والمنتديات السياحة بشكل غريب، ففتحت الكثير من المواقع بل إنك تجد المعرفات هنا وهناك متشابه، أما النجاح فكان يقتصر على مجموعة بسيطة من تلك المواقع، لأن المنتديات تتطلب نفس طويلاً وعملاً مضنياً وأعضاء مميزين، والتقارير السياحية لا تجلب أي إنسان بل أن المسافر الكاتب هو الذي يكتب ويجيب ويعمل، وكل هذا بعد أن يعود من السفر ومن عاد من السفر فهو قد يكون متعباً لدرجة لا يستطيع معها أن يبدأ التقرير مباشرة وعندما تمضي مدة طويلة من العودة من السفر وهو لم يكتب تقريره فإما أن ينسى المعلومات أو تتفرق الصور أو يصاب ببرود عن الكتابة ويقل الحماس وتهبط

العزيمة، أو يمضي وقت المناسبة فينسى التقرير في الأدراج، إلا إن وافق في الموقع من يشد على يديه ويحمسه لهذا العمل أو وجد التقارير التي تذكره بأيامه في تلك البلاد أو يطلع على جديد يريد أن يفاجأ المتابعين والقراء بهذا الشيء.

المدونات والتدوين: يقول هـ.و.أرنولد: "أسوأ إفلاس في العالم هو الرجل الذي يفقد حماسة. دع رجلا يفقد كل شيء في العالم ألا حماسه وسوف يخترق الصفوف مرة ثانية إلى النجاح". تجعلني أخجل من نفسي يا (أرنولد) وكأنك تبين لي أن الركون إلى الدعة وطلب الراحة إنما هو تنازل عن النجاح المتوقع أن أحصده في نهاية مشواري، خاصة أن المبشرات كثيرة، والضريبة قد دفعت مقدماً جلها أوكلها، فهل من المعقول أن أتأخر بعد أن تقدمت، وهل من الحكمة أن أخرج بعد أن خسرت الكثير، وهل من الرجاحة في العقل أن يكون كل مشواري هباءً منثوراً، في هذه اللحظة تعطل الفكر لدي، ولم أتبين الصواب من الخطأ، فالصواب

والخطأ في كفتي الميزان متساويان، بل أشد من ذلك فعندما انظر إلى كفة الصواب يرجح الصواب وعندما أنظر إلى كفة الخطأ يرجح الخطأ، فكأنهما يريدان لي الحيرة والاضطراب، أو كأن الصواب والخطأ هما أيضاً دخلا في حيرة فلا يعلمان أيهما الصواب وأيهما الخطأ، وهذه حالة معقدة أن تتشابك خيوط اللعبة في يديك، وأن تختلط الألوان عليك فلا تعلم الأسود من الأبيض فيكون لديك لون جديد هو (أبوَد) جامعاً اللونين مع بعضهما، فلا تستطيع أن تحدد هل الوقت هذا مناسب للانسحاب من الميدان؟ وأنت بأوج العزة والانتصار أم أن النجاح الكامل لما يأتي بعد وأن الميدان لا زال مفسوحاً ومتاحاً لمن يريد أن يصعد إلى مراتب أعلى من النجاح؟ سؤال لم أجد له جواباً شافياً، بصدق إنني أحتاج حكمة محمد إقبال حينما قال:"ربي أعطني القوة لأقول "لا" وأعطني العقل لأعرف كيف أقولها، وأعطني الكفاية لأعرف متى أقولها". وفي خضم هذا البحر المتلاطم والتردد الظاهر وجدت حلاً مؤقتاً لعله ينهي حالة التردد ويكون بداية لعمل منظم في المستقبل، فقد لاحظت أن

كتاباتي أصبحت هنا وهناك وأعمالي في كل بحر قطرة، ومبعثرة في كل أجزاء الشبكة، ومن يريد أن يتابع (نسيم نجد) فعليه أن ينتقل من منتدى إلى آخر؛ بل لقد لاحظت أن هناك أدعياء على الاسم، وكتبوا بنفس المعرف في منتديات سياحية لم أسجل بها.

فطرأت لي فكرة المدونات خاصة أنها في ذلك الوقت قد انتشرت وذهبت على الأخضر واليابس ومابينهما، خاصة في الدول الغربية أما المناطق العربية فالمغرب العربي قد يكون أكثر سعياً من غيرهم في هذا الميدان، فالمدونات تتيح لك حرية كاملة وترفع عنك الرقابة التي تفرضها المنتديات، والتي تتحكم بسقف الحرية وتحدد لك مساراً لا تخرج عنه لا يمنة ولا يسرة بل تسير بحسب رؤية المدير القائم على المنتدى، فقد يكون صاحب المنتدى مبدع في تصميم المواقع ولكنه يفتقد لمقومات الإداري الناجح فيقع في أخطاء إدارية أو أخطاء في التعامل تجعل الكاتب يفلت من زمام الحكمة بعد أن يرى تسلط مدير الموقع عليه أو عدم إلمامه ببديهيات التعامل الاجتماعي في

الشبكات العنكبوتية، أما في المدونة أنت المدير والمشرف والكاتب والداعم الفني وأنت الخصم والحكم لك أن تسمح بتعليق القارئ الفلاني وتمنع آخر أو تشطب تدوينة قد كتبتها أو تعدّل فيها، ولك أن تحدد موعداً للنشر، وغيرها من المميزات التي تجعل الكاتب يلعب لوحده فهو بالتأكيد سوف يخرج راضياً عن النتيجة لأن كل ماتحتويه أو تحمله تلك المدونة بدءاً من تصميمها واختيار قالبها إلى نوع الخط ولونه هو من صنع يده، فبالتالي أن المزاج الكلي موافق لمزاجك أنت أيها الكاتب فهم يعيشون مقول لويس الرابع عشر:"أنا الدولة والدولة أنا". لذا فنجد أن أصحاب المدونات لديهم إبداعات رائعة، ولديهم قدرات متنوعة فهم يسعون سعياً حثيثاً من اجل معرفة كيفية دعم المدونة دعماً فنياً، ويقرأ عن كيفية تفعيل الزوار مع مدونته وسبل تفاعلهم، وكيفية الطرق الصحيحة في نشر المدونة في آفاق الإنترنت، وهو أيضا يحاول أن يجدد في أسلوب العرض فكل يوم يعرض بضاعته في سوق أهل التدوين بشكل جديد فلعلها تعجب المارة من المتذوقين. وأكثر ما يناور به أصحاب المدونات هو

خطف أي سبق إخباري فهو الذي سوف يذيع صيتهم من بين الأقران والمهتمين.

أطلعت على جمع كبير من المدونات وتابعتها عن كثب وقرأت ردود أفعال القراء، فوجدت عالماً آخر فكتاب المدونات يعيشون في زاوية أخرى من عالم الخيال، ولهم فكرهم الخاص أكثر من رواد المنتديات، فكتاب المدونات تجدهم يتبنون قضايا المجتمع بشكل حماسي مثير فهم يهتمون بالبيئة والفقر وعلاجه، والتحولات السياسية وأثرها، والجديد من عالم الكتب والجميل منها، والتقنية وتطوراتها والأدب وفروعه وأساتذته، وكل صاحب مدونة يحدد مساراً يسير فيه فيبحر ويبحر العشاق معه في مركبه، وهم يتناقشون ويتحاورون بشكل رائع ينم عن أن المدونات مكان مناسب لنشر أي ثقافة أو تبني أي موقف اجتماعي، وبدون أن يكون للرقابة الإدارية أي أثر على نفسية الكاتب، وكتاب المدونات لهم صوتهم وتجد بينهم من يتفوق على كتاب الصحف والمجلات، والكثير منهم يفصح عن اسمه

ويضع صورته وإنجازاته وسيرته الذاتية، فتجد منهم الأديب الأريب، والطبيب المشهور، والكاتب القدير، والصحفي المعروف، وأساتذة الجامعات وغيرهم ممن يحبون أن يتواصلوا مع العالم من حولهم، وأما في دول العالم التي تؤمن بالحريات فلهم تدويناتهم التي تتناقلها وسائل الأعلام كل صباح كسبق صحفي، أما في العالم العربي فالأمر أقل بكثير في هذا المجال فهناك فجوة بين الصحافة وكتاب الإنترنت أصلاً، حتى يصل إلى عدم الاعتراف من الصحافة بكتاب الانترنت وقيمتهم، فكأن هناك تخوف من الصحافة أن يستحوذ كتاب الإنترنت على القراء أو أن ينافسوهم في عيشهم وحروفهم، فالمال عزيز والسلطة غالية والشهرة ثمينة، ولا يفرط بها في عالمنا العربي إلا جاهل جهلاً مركباً أو أخرق يضحك منه الغلمان، فنجد أن الصحف الورقية تجاهد أن تُبقيَ الصحافة أو الكتابة الإلكترونية تحت مستوى الفقر، بل مستوى الفقر المدقع – المدقع للتعبير عن زيادة في الحسرة وأمعان منهم بالقسوة–، وأن تبقى معزولة عن العالم الحقيقي من حولها، فالصحافة والكتابة والكتَّاب في عالم الشبكة

عليهم عيون الصحافة التقليدية مسلطة تراقبهم متلثمين أو متنكرين بأسماء وهمية ولكن ليس من أجل أن تستفيد من طاقاتهم أو من اجل إمدادهم بالخبرة التي يحتاجونها أو تعديل مسارهم، ولكن لتقوم بأعمال استباقية قبل أن يظهر أمرهم، لذا فقد وضعت كل صحيفة ورقية لها رديف في عالم الخيال، فأصدرت صحيفة إلكترونية وهذه الصحيفة الإلكترونية تعيش في العسل مع ذات الورق، فالكتاب هم نفسهم، والطرح هو نفسه، وصوت الطبل هو نفسه ولكن الذي تغير أن القراء لهم حق التعليق، والتعليق بمايوافق رأي الصحيفة وتوجهها، وكم تمنيت أن يكون للصحافة الإلكترونية التابعة للصحافة الورقية كتاب من الإنترنت يفسح لهم المجال وتشجع فيها المواهب وتطلق فيها الطاقات، ويكون فيها نفس الأخبار ولكن أعمدة الصحيفة والمقالات تكون من كتاب الإنترنت الذي يبرزون في ساحاتها، وذلك حتى نرى تنافساً أخوياً بين الطرفين يرفع مستوى الكلمة ويزيد من الفائدة للقراء في جانبي السباق، ولكن من المستحيل أن يكون هذا، فكل عامود من أعمدة الصحافة قد

أمتلكه كاتب (أباً عن جد) وله في ذلك صك معتبر بتاريخ ورقم، فهو بالوراثة ولكن ليست وراثة شرعية بل وراثة فكرية، تبدأ متسلسلة من فكر رئيس التحرير وتنتهي حتى أخر الشجرة العائلية لتلك الصحيفة.

أعود للتدوين وأقول لعل الغرب قد اختاروا التدوين بدل المنتديات كحل مناسب وأفضل مع الحرية التي يتمتعون فيها سواء الحرية السلبية أو الإيجابية، وتتناسب مع الفردية التي يعيشونها في حياتهم فالمنتديات هناك تكاد أن تتلاشى أمام عالم التدوين، ولكن في الدول العربية لا زالت المنتديات أكثر صوتاً من المدونات، خاصة أننا كعرب نحب الحياة الاجتماعية ونحب الارتباط بالآخرين وأن نعيش معهم وبينهم، وتطربنا الكثرة وتفرحنا الكلمة، فالمنتديات توفر لك ذلك الجو الاجتماعي فأنت تكتب والآخرون يتابعون ويناقشون بشكل مكثف، وهم يكتبون وأنت تتابع وتتعرف على توجهاتهم وآراءهم فتميل لهم أو تميل عليهم، أما في المدونات تكاد

تكون محطة استراحة ومتعة وعبور للقراء فقد يسجلون انطباعاتهم أو يخرجون دون أن يكتبوا حرفاً واحداً عن مشاعرهم اتجاه تلك المدونة؛ لذا فصاحب التدوين يقدم بسرعة وبحماس فتجده في أول الأمر يكتب تدوينة صباحاً وتدوينة مساءً، ثم يتراخى فيكتب كل يوم، ثم يحس بثقل الحمل فيكتب في الأسبوع مرة، ثم دواليك حتى يكتب كل حول، وبعد فترة قد تجده قدم اعتذاره للقراء وأقفل أبوابه وكتب معتذراً: كتبت في يوم معلوم أنني سوف أتوقف عن الكتابة إلى وقت غير معلوم، فيحبط المتابع وينصرف المار إلى غير رجعه، ويحس القارئ أن المدون وكأنه هزئ به، وأستدرجه للطعم ثم ذهب وتركه يتضور جوعاً خلف قلمه، فيهرب القارئ والشيطان يغمزه أن اشتمه ما استطعت، وبعد فترة من التوقف يحن المدون إلى عالم التدوين فيعود من جديد إما من أجل تنفيذ فكرة قد طرأت على حين غفلة، أو من أجل نشوة عابرة، فيكتب بحماس فلا يجد صدى لصوته ولا يجد التفاعل من حوله، فيصيبه الإحباط فالناس قد انصرفوا من حوله، وبحثوا عن بديل أطول نفساً منه ليتابعوه، ومع الوقت وكثرة

الغياب وفقد الزوار ينتهي أجار الموقع إن كان مستأجراً أو يتوقف الكاتب إلى غير عودة وتبقى المدونة كأرشيف للعابرين أو لمن ضل السبيل.

هذا بعضهم والبعض يمر بمثل هذه الفترة العابرة ثم يعود من جديد أكثر جدية، وفي كل حال فإن المثل القائل" أن الدائم شديد" قد أصاب عين الحقيقة وقلبها، فالمداومة على عمل وبدون وضع خطة تطويرية أو نقلة نوعية يصيب الكاتب بالملل ويصيب القراء بالتشبع، والمشكلة أن الأفكار لا تباع بالأسواق، والعقول تنتج عدداً محدوداً كل مدة، وحتى الأفكار الإبداعية تكون مع الزمن أفكاراً قديمة، خاصة أن عمر الزمن في عالم الإنترنت قصير، وبين هذا وذاك يبرز سؤال قد هرب منه الكاتب حيناً من الدهر، هو: إلى متى؟ وإلى أين المصير؟ فيجد أن جسده من التعب قد أجاب عنه ذات يوم فتوقف إلى غير رجعة. ولو أن الطاقات والمواهب تستثمر لما توقفت بعد هرولتها في الميدان أمداً بعيداً ولكن لأن التكرار يبعث في النفس

الملل ويجعل الكاتب وكأنه يدور في حلقة مفرغة فيحس فجأة أن النهاية حتمية وأن النهاية كائنة فلماذا لا تكون اليوم، فيضع نقطة في نهاية السطر ويخرج بلا رجعة.

مدونة نسيم نجد: يقول بسمارك:"المهم هو صنع التاريخ لا كتابته". لعلي أبدأ هذه السطور بزيادة جرعة الثقة بالنفس وأقول: أنني صنعت لنفسي تاريخاً في الإنترنت، وكتبته من قبل في أكثر من مكان فحان الوقت أن أجمع شتاته وأن أضعه في مكتبة واحدة، فكان عالم التدوين هو الخيار المفضل برغم السلبيات التي ذكرتها سابقاً، المدونة اخترت لها نفس اسمي ومعرفي الذي تعارف الناس عليه في عالم الشبكة، لقد اخترت (نسيم نجد) وتم حجز النطاق (domain) الخاص بهذا الاسم فكان العنوانwww.naseemnajd.com يشع في قلبي كأول أرض أملكها في عالم الخيال، وكأول مكان أحكمه في تلك الديار، وكأول إدارة أديرها بنفسي على نفسي، أكتب ما أريد ومتى أريد، وألغي

كل رقابة إلا رقابة رب العالمين، ذهبت لكل المواقع في الإنترنت التي شاركت فيها، وجمعت التاريخ الذي صنعته، جمعت التاريخ الذي تعبت فيه، جمعت كل حروفي المشتتة وأفكاري المبعثرة، وحياتي الممزقة جمعت كل أوراقي، ووضعتها هنا بين يدي وفي قلوب المحبين من حولي، جمعتها لنفسي اليوم، ولمن بعدي غداً، أقول صنعت تاريخاً وكتبته، وبغض النظر عن ذلك التاريخ الذي كتبته بالنسبة لكتاب التاريخ، ولقد كان بالنسبة لكاتبه تاريخاً مميزاً وحضوراً مشرفاً، وليس هذا تزكية للنفس، بل هي سعادة أجدها كلما رجعت لكتاباتي القديمة وتفحصتها، أليس أجمل ماتكتب أن تكتب مايسعدك، أليس أجمل قصيدة تنظمها قصيدة تجعل النبض يسري في عروقك، أليس أجمل قصة ترويها قصة تجعلك تسترجع الحياة بذكرياتها ولحظاتها وبسماتها وآهاتها، ولا أضمن لك أيها القارئ أن تجد الشعور الذي أشعر به إن زرتَ حروفي هناك فأنا الفتاة المعجبة بأبيها "وكل فتاة بأبيها معجبة"، ولكن الذي أنا واثق منه أنك إذا

قرأت حروفي هناك ولم تعجبك فسوف تضحك من إعجابي بحرفي هنا حول الذي لم يعجبك فيكفيني أن رسمت بسمة على ثغرك.

وفي كل حال لقد كانت نقلة عظيمة وسعيدة في نفس الوقت، ولم تكن سهلة تلك الخطوة خاصة أنني بحثت من قبل في البدء عن مدونة سياحية فلم أجدها في كل المدونات العربية، فهل أقول أن مدونة (نسيم نجد) هي الأولى في هذا المجال، قد يكون الجواب نعم إن صدق بحثي الذي قمت به من قبل. فالآن ترى الأنظار موجهة إليك يانسيم، وكل ما يحتويه الموقع يعكس فكرك وتفكيرك، وكل ماتطرحه هو مجال للحوار والنقاش فقد تجد من يعارضك ومن يؤيدك بمحتواه، وقد يكون الأمر أشد وتجد من المعارضة مقداراً أكبر من السب والشتم وهذا ماحدث بالفعل..وصلتني التهاني من الجميع بعدما انطلق الموقع، وكان العمل في المدونة مختلف عن المنتديات، فلكي تكون داخل دائرة أهل التدوين يجب أن تتفاعل معهم، وتشارك في مدوناتهم وترد على استفساراتهم وتتواصل مع ردودهم،

الحماس يمضي بي في كل اتجاه نحو التدوين وأهله، أزود المدونات وأكتب رأيي وأنشئ المقالات وأتفحص رأيهم، أهتم بهم وأشد من ذلك أهتم بطرحي؛ فمالذي تغير بنسيم نجد هل عادت له الروح المفقودة؟ هل تحركت الحروف الساكنة؟ هل دخلت مرحلة جديدة أو تاريخاً جديداً؟ لا أعلم ولكن الحياة في هذه الأيام وردية والإنترنت تظهر لي بشكل آخر والهمة تنقلني إلى أكثر من موقع، الكتابة أصبحت ذات نغم جديد والحروف تتشكل بشكل جميل، ماهذا الذي أراه أمامي، هل التغيير في المكان يغير النفس ويجعل المرء يعود بنفس شفافة، أنتقل بين المدونات وأنقل معي حروفي كل صباح بسماتي ولمساتي وهمساتي وكلماتي أنقلها كلها وأرتبها على صفحات الأصدقاء ثم أجدهم بالمساء يزوروني ويكتبون حروفهم برقة وبسمة وحكمة، في المدونة كأنني اكتشفت عالماً جديداً مختلفاً أو كأنني قد استيقظت من حلم جميل لأعيش حياة أجمل. أجدني أعيش حكمة لوجان سميث حين يقول: هناك شيئان يجب أن تستهدفهما في

الحياة..الأول: أن تحصل على ماتريد..والثاني: أن تتمتع به..والحكيم فقط هو الذي يحقق الهدف الثاني".

سيرة ذاتية: يقول أ.أ.ن.جراي: "هناك طريقتان لإثارة فضول واهتمام الشخص. الأولى أن تبلغه شيئاً لا يعرفه، والأخرى أن تذكره بشئ قد نسيه". وقد جرى العرف بين أهل التدوين أن تكتب سيرتك الذاتية وأن تعرف بنفسك لتعطي الزائر للمدونة بعض مفاتيح شخصيتك ولتبلغه شيئاً لا يعرفه عنك فتثير فضول القارئ، خاصة أن الكتاب في عالم المنتديات يختلفون عن كتاب المدونات، فكتاب المنتديات يتخفون ويخفون كل صغيرة وكبيرة، وقد كنت معهم ومثلهم في هذا السبيل وعندما بدأت التدوين كان لزاماً علي أن أسير مسار أهل التدوين وكتابهم، وأن ألتزم بعرفهم وسلمهم، وأن أعيش عيشتهم إن كنت أريد أن أقيم بينهم أو ألقى القبول في قلوبهم، فاحترت ماذا أبدي وماذا أخفي من سيرتي الذاتية فرأيت أن أعرض عليهم رأيي في جوانب الحياة

بشكل كلمات بسيطة يقول لارشفوكو:"ليس أدل على رجاحة العقل، من أن يقول الإنسان ما يريده بعبارة وجيزة". فكتبت:

أخوتي .... لكي تتعرفوا عن كثب على صاحب هذه المدونة، فلكم أن تتطلعوا على بعض أقواله عن نفسه، ونظرته لمن حوله، وسخطه على بعض العادات التي تفرض نفسها عليه وعلى غيره. فتمعنوها فهي مفتاح شخصيته:

- المؤهل العلمي:

تبحث عني كلمة مهندس..وأبحث عن هندسة الكلمة.

- الحالة الاجتماعية:

أب لخمسة أطفال، وطفل عند خمسة أبناء.

- العمر:

إن كان بعدد الأيام فأنا من الكبار، وإن كان بقيمة الأعمال فأنا من الصغار، ومع هذا وذاك نسأل الله حسن الختام.

- الكتابة عبر لإنترنت:

بدأت عابثاً على أوتار الكلمة، وأتمنى أن أكون يوماً عازفاً على أوتارها.

- الزواج والزوجة:

الزواج حاجة..والزوجة " حاقة تانية ".

- التعدد:

الزواج الأول مطلب..والزواج الثاني مطب.

- النجاح:

أمر نسبي يتناسب طردياً مع همة الشخص، وعكسياً مع حالات الإحباط مع البيئة المحيطة به.

- كسب المرأة:

أعطها بعض عطفك..تعطيك كل حبها.

- السمعة الحسنة:

السمعة الحسنة تبنى في سنوات..وتهدم بكلمة.

- الكتابة والكتّاب:

لا تكن صورة طبق الأصل لمن حولك..فالصور لا تشبه الواقع..ولا تقلد الكتاب عندما يكتبون، بل أجعل الكتاب يقلدونك عندما تكتب.

- الأثر:

الأثر كالعطر..نقابل أشخاصاً في محطات الحياة وللحظات بسيطة..ويبقى أثرهم في أنفسنا فترة طويلة.

- التكلف والانبساط:

عندما تتكلف في حديثك ومظهرك وعواطفك فقد سلكت أقرب الطرق المؤدية للغرور أو مقبرة المنبوذين.وعندما تتبسط في حديثك ومظهرك وعواطفك فقد أصبت الهدف من رضا النفس أولاً، وتقبل الآخرين لك.

- الانفصام في الشخصية:

حتى تكون محترماً بنظر الناس محتقراً لنفسك فاسمع كلام كل الناس ما عدا أقرب الناس إليك " والديك وزوجتك ".

- النمطية في التفكير:

يريدك الناس أن تكون مثلما تريد عقولهم، وتريدك نفسك أن تكون مثلما يريد عقلك. فاختر لنفسك مايوافق نفسك.

- الحق والباطل:

الحق يحيا بنفس اللحظة التي يقُتل فيها الهوى.

- المراعاة والمجاملة:

إذا راعينا الناس وضغطنا على أنفسنا..أسعدنا الناس وسخطنا، وإن راعينا أنفسنا وضغطنا على الناس من حولنا اضطربت أنفسنا وسخط الناس علينا، إن السعيد من يملك عصى الاتزان بين هذا وذاك.

- الحذر عند التعامل مع الناس:

المشرط واللسان أداتان من أدوات الجرح..فالأول يُنزف الدم والثاني يدمي القلب.

- الجزاء الحسن:

هو نتاج أعمال الخير في الحياة الدنيا، تجدها مبتسمة في وجهك بعدما ينقطع العمل للآخرة.

- شهادة حسن السيرة والسلوك:

وقوف الناس معك في أوقات الأزمات، هي أفضل شهادة حسن سيرة وسلوك لك في الحياة.

- السيرة الحسنة:

في الحياة هي سب المنبوذين إياك، وثناء من ليس له معاملة معك، وإطراء الناس بعد انقضاء أجلك.

- الصديق المخادع:

هو من يردد في ساعة الرخاء أنت الصديق أنت العزيز، وفي ساعة الضيق نفسي نفسي عن نفسك تضيق.

- تلاقي النفوس:

بعض الناس ننتظرهم بفارغ الصبر، وبعض الناس ننتظر فراقهم والصبر قد فرغ.

- الانتصار:

الانتصار الحقيقي هو الانتصار على النفس، قبل الانتصار على الآخرين.

- الأمم المتحدة:

اتحاد الأمم على الأمم الغير متحدة.

- القمر:

هو مثال للدال على الخير يعكس الضوء ولو لم يضئ.

- الصدق:

شعار يتقنه التجار، للاستيلاء على أموال الصغار.

- الكذب:

ثلاث ألوان:أبيض، أصفر، أسود، وفي ميزان الأعمال أسود فقط.

- الأصدقاء:

هم مجموعة من الناس نتبادل معهم المصالح، ولا نتبادل معهم النصائح.

- الشعوب المسلمة:

هي الشعوب المستسلمة.

- الرجل:

يعطي كل مايملك عندما تكتب المرأة له كلمة سر هي " أحبك "

- المرأة:

تعطيك كل نفسها عندما تدخل لها كلمة سر هي" أحبك "

- الأحاسيس:

كلمة تنطق ويسبقها دائماً كلمة جرح أو خدش أو هدم، لأننا تعودنا أن ندمر ولا نبني.

- حديقة الحيوانات:

هي مجموعة من الحيوانات في أقفاص تتفرج على تصرفات الناس.

- الوقت:

الوقت الأصلي هو ما صرف في طاعة الله -سبحانه وتعالى-، والوقت الضائع ما سواه. والوقت الضائع أكثر من الوقت الأصلي ....شيء عُجاب.

- العنف الأسري:

الذبح على الطريقة الحلال.

- المشاكل الأسرية:

هي بهارات الحياة الزوجية، ومثال للبهارات: الليمون الأسود طعمه مر ومنظره لا يسر

- الفقر:

من وجهة نظر الغني بسبب تقاعس الفقير عن العمل، ومن وجهة نظر الفقير بسب تقاعس الغني عن الزكاة.

- الموت:

نخافه ولا نحذره.

- الأطفال:

أبرياء ونسميهم أشقياء.

- الثقة:

هي بالأصل علاقة جميلة متبادلة بين كل الناس، أول من حرم منها أهم الأشخاص، الأزواج والأقارب.

- الحكمة:

كلمة جميلة كل الناس يدّعونها، وعند الحاجة يفتقدونها.

- الطب:

التجارة بأغلى ما يملك الناس...صحتهم

- الطبيب النفسي:

إنسان يستمع لهمومك مقابل مبلغ من المال.

- الشك:

بداية النهاية لأي علاقة.

- التقارب الأسري:

يتم التقارب الأسري بالتباعد النسوي.

- معالجة المصائب:

بالاستعانة برجل صاحب رأي صائب.

- الناس عندما يبتسمون فإن هدفهم أن يصلوا إلى:

القلوب أو الجيوب

- يتمنى الإنسان أن يكون أباً عندما:

يجد أباً قد أحسن تربية أبنائه.

أو أبناً قد رزق أباه بره.

- عندما تريد أن تستشير فاستشر واحداً من ثلاثة:

رجلاً مسناً حنكته التجارب.

رجلاً يخاف الله فيشير عليك بما يرضاه.

ورجلاً أخرق حتى تحمد الله أن ميزك عنه وأن أعطاك ما لم يعطه.

- أسوء علاقات الحب بين الأزواج..ثلاث:

أن تحبها ولا تحبك

أن تحبك ولا تحبها.

أن تحبها وتحبك ولا تشعران بطعم الحب.

- الاستشارة:

عندما تريد أن تستشير فاستشر إنساناً يشْبهك في التفكير،ويختلف عنك بعدم وقوعه تحت ضغوطات الحدث.

- ادخار الأموال:

الآباء يدخرون الأموال من أجل الأبناء

والأبناء يدخرون الأموال من أجل الزوجات

والزوجات يبعثرن الأموال في الكماليات

- طريق الفشل:

الفشل في بعض تجارب الحياة مثل الطريق المسدود، إما أن تقف فيه في مكانك، أو تعود إلى أول الطريق وتبدأ من جديد.

- الثرثار:

عندما تستمع إلى إنسان ثرثار، فلا يصيبَنَّك الملل، فقط تذكر أن صناديق النفايات قد تحتوي على بعض الأشياء المفيدة. أو أشياء قد يعاد تصنيعها.

> **همي وألمي**: يقول الرافعي:"لا تتم فائدة الانتقال من بلدٍ إلى بلدٍ، إلا إذا انتقلت النفس من شعورٍ إلى شعور،

فإذا سافر معك الهم، فأنت مقيمٌ لم تبرح". ولن ترتاح في الإنترنت وعالمها إن تذكرتك الأوجاع ولم تنسك آلامها، ولن تقدم الجديد وعيناك تنظران مرة إلى آمالك ومرة أخرى إلى آلامك، ولن تتقدم خطوة في عالم الشبكة وخطواتك إلى العيادات الصحية متكررة، ولن تتمتع بالعيش بين أطراف الشبكة تتنقل من موقع إلى آخر وتسامرهم أو تعيش أفراحهم وتأنس بحالهم طالما أن حياتك الصحية لا تسير على مايرام، وطالما أن نبضات الآلام تتزلف إليك وتتقرب منك وتذكرك أنها بالقرب منك، فإن غضضت الطرف عنها فهي ساهرة تنتظرك على أحر من الجمر. أنا والشبكة والألم في صراع دائم، الألم يريد أن يردعني ويعيدني إلى الطريق الصحيح، والنفس تهوى الشبكة، وجسدي حائر بين هذا وذاك، بالضبط أعيش كالطفل ما إن أجلس أياماً على حاسوبي حتى تعاودني الآلام فأتوب وأعاهد نفسي أن لا أعود، وعندما تنفك عني ولو إلى أجل قريب أو يخيل إلي أنني برئت منها أعاود النشاط مرة أخرى وبصورة

أقوى، فتخور قواي وتبدأ أطراف الألم تذكرني بمقولة الدكتور الألماني الذي زرته وقال لي:إن علاجك بالبعد عن الحاسوب.

أنظر إلى موقعي الذي ينتظر مني الكثير ولما أسر فيه المسير الطويل، وأنظر إلى الزائرين من الأصدقاء والعابرين وألمح في حروفهم أنني قد ابتعدت كثيراً عنهم فأخجل منهم، وألمس بين حروفهم كأنني قد قنعت بالبقاء خارج دائرة الشبكة وهربت منهم، أو أنني خنت حبي لهم وقد كنت عاهدتهم على الوفاء له وتقديم الغالي والرخيص من أجله، ولكن كل هذا ليس منه مخرج، فهناك أحداث تجعل المرء يتوقف لزاماً، حاولت أن أغير الطريقة حتى لا أخرج بالكلية من عالم الكتابة ورأيت أن أوجه جهدي لكتابة الموضوعات، وأن لا أكتب إلا تقارير مفيدة أما الردود على القراء ومتابعة الأعضاء فلا مناص من أن أتنازل عنها، شئتُ أم أبيت، تركت صندوق المتعلق بالرسائل الخاصة مغلقاً، حتى أتخلص من رسائل القراء الكثيرة والتي تطلب مشاركتي في مواضيعهم أو إبداء رأيي حيالها، أو طلب المشورة،

والمشورة تحتاج إلى وقت والوقت أملكه ولكن الذي لا أملكه الألم الذي يجعل الجلوس اليسير على الحاسوب وقتاً طويلاً مفزعاً مؤلماً وبالتالي تكون الردود بنفس غير صافية ومزاج لا يقدم مشورة مناسبة، فهل أعود لأنهمك في هذا العمل المؤلم وأجامل القراء والأصدقاء كي أكون بنظر (ألفريد دو موسيه) كبيراً إذ قال:"الألم الكبير، يجعلنا كباراً". كلا لأن (ألفريد دو موسيه) لم يحس بآلام الرقبة التي أحس بها وإلا لتنازل عن المقولة وتاب عنها وعن مثلها ولنشر بالصحف أنه عائد عن مثل هذه الترهات (الموهقات) ولاستبدلها فقال:"الألم الكبير يجعلنا في عيون الناس كباراً وفي عيوننا صغاراً ". أو من وجهة نظر أخرى فلي أن أتحمل الحل الأصعب من نظرات عتاب الأصدقاء وما قد تحدثهم به أنفسهم بأن الكبر والغرور قد بلغ مبلغه بهذا (الكويتب) الذي كتب في صفحات الإنترنت وصدّق نفسه أن الناس يحتاجون لرأيه وكتاباته، فيكون مافزت به من الأصدقاء كل هذه السنين هم بعداد الأعداء وبلغ مابلغه المثل الهندي الذي كأنه يساند القراء ويريدني أن لا أتوقف

عن الكتابة حينما يقول:"شجرة العدوان لا تثمر إلا الحزن والألم". فأكون قد جمعت بين الحزن والألم فأخسر خسارتين.

برغم ذلك ألقيت مقولة (ألفريد دو موسيه) والمثل الهندي خلف ظهري – سامحكم الله- ونفثت شمالي من شر الشيطان الرجيم ومضيت بطريقي الذي شققته للتو بعدم الرد على الرسائل أو ردود القراء الأفاضل – عذراً أصدقائي-، وارتحت لهذا العمل كثيراً وأوقف بعض السيل المنهمر من القراء بالرسائل والمتابعة المباشرة، وأحسست أني أعيش بوضع أفضل وأن الكتابة المحددة هي أكثر خدمة لي وللغير؛ كذلك طلّقت رسائل البريد الإلكتروني بالثلاث وبكافة أشكالها ولم أعد أفتح كل الرسائل حتى امتلأ بريدي بالكثير منها، وأصبح يفيض عن حاجته وحاجتي حتى وصل إلى خانة الألوف وهذا في بريدي لم يكن مألوفاً؛ أيضاً بدأت أقرأ مواضيع الأعضاء المفيدة فقط أو أقرأ لأسماء معينة عرفوا بالتميز ومع هذا لا يستلزم الرد عليها كلها أو كتابة "شكراً على موضوعك الجميل"

والتي أصبحت في المنتديات العربية ظاهرة سيئة يجب أن تمنع مثلما يمنع التدخين في الأماكن العامة، مع هذا وذاك وكل تلك الإجراءات الوقائية أحسست أن نظرات الناس من حولي تحولت وأن علامات الاستغراب قد بدت وبدأ القراء بالهروب من صفحاتي ومدونتي، ومعهم عذرهم ومعي عذري فهم يحبون من يتجاوب معهم ومن يرد عليهم ومن يأخذ بخاطرهم ومن يزور موضوعاتهم مثلما يزورون موضوعه، ولكن كان يجب علي أن أعيش بخط توازن وأن أكون كما أريد أنا وليس كما يريد القراء، فعندما أفقد أسرتي فالناس من حولي لن يهتمون بهذا الحدث بل يريدون أن أكمل لهم تلك القصة الكوميدية التي بدأت بكتابتها ليضحكوا كثيراً وبغض النظر عن مأساة أعز الناس الذين يبكون من خلفي، الناس يريدون من العازف أن لا يتوقف عن العزف الذي يطربهم بغض النظر عن نبضات الحزن التي تقطع أوتار قلبه، الناس يريدون نوراً ولا ضير أن يعيش العالم من دونهم في ظلام دامس، الناس يريدون السعادة ولا يهتمون بالذي يتكفل بدفع فواتيرها، ولا بالذي يجني ثمارها الفاسدة، ولا

مدى الخسائر المترتبة عليها، إذاً يجب أن أقف مع عائلتي ونفسي وأن أقف حتى مع آلامي، التي بدأت تشكوا إهمالي؛ ذكرت وكررت كلمة الناس ولا أقصد كل الناس بل بعضهم ولكن من كثرة ضغط البعض علي أحسست أنهم كل أو أكثرية.

المواقع الاجتماعية: يقول سامي ديفيز:"المحترف هو من يقوم بالعمل على أكمل وجه حتى ولو لم يشعر بالحب تجاهه". وأعتقد أنني من أجل أن أفصل بين الكتابة والعلاقات الشخصية ومن أجل أن أعمل عمل المحترفين وتكون الكتابة عملاً مقنناً يسير على ضوابط ولا يخضع لمجاملة الأعضاء من الزوار أو تبادل الأخبار مع الرفقاء والأصدقاء والتي تبتعد في الغالب عن أصل الكتابة الاحترافية، لذا كان الحل أن ارتبطت بمجموعة من المواقع الاجتماعية تجعل من يريد أن يتواصل ويعلم الأخبار يزور تلك الصفحات، فأسست صفحة في (الفيسبوكfacebook) وهو موقع اجتماعي يمكن المشاركة فيه كتابياً وبالصور والفيديو، وفتحت

صفحة في (تويترtwitter) وهو متخصص بالكتابة السريعة بحيث لا تزيد حروف النص عن مائة وأربعين حرفاً ومناسب لمن يتحدث عن حالةٍ ما أو كان عاشقاً للجمل القصيرة، ولي صفحة أخرى في (الفليكرfliker) والمتخصص بالصور ولدي شغف بهذا النوع من المواقع التي تعرض إبداعات المصورين من أقطاب المعمورة، وصفحة أخرى في (اليوتيوبyoutube) الموقع الشهير المتخصص برفع مقاطع الفيديو وقد بلغ من أعجاب السعوديين به أن أخرجت الإحصائيات أن أكثر تصفح لهذا الموقع في عام عشرة وألفين هم رواد الشبكة في السعودية، وكل ذلك من أجل أن أجتمع مع الصحب بشكل آخر لا يتوفر عبر المدونة، ومن أجل أن أطلع على أخبارهم ومسيرتهم في الحياة، ومن أجل أن أكتب أين أنا وإلى أين أمضي، من أجل أن أقول للناس الذين يعيشون في تلك الموقع أن هناك إنسان في هذا العالم الواسع اسمه (نسيم نجد) مدمنٌ يرحب بالتواصل معكم وينسى أنه قرر الإقلاع فيعود من حيث لا يشعر، ومن المعروف أن المواقع الاجتماعية وهي التي توفر للمشترك أن

يبعث حروفه وصوره ولقطاته وأن يتشارك مع الناس من حوله بروابط يرى أهميتها أو مواضيع يقتنع بها أو صفحات يحبها ويداوم على زيارتها، الناس في المواقع الاجتماعية أصحاب رأي وثورة فلديهم رأيهم الذي يطرحونه بجرأة وأصحاب ثورة في كل شيء وعلى كل شيء مما يحدث في العالم وفي المجتمع من حولهم فمها كان الحدث ومافيه من غرابة في الطرح أو فساد أو نقص في الرأي فسوف تجد من يؤيده ويدافع عنه، باب الرأي مفتوح على مصراعيه، قل ماتشاء تعرف على من تشاء أنتقد من تشاء إلا أن يبلّغ عنك بعض رواد الشبكة الاجتماعية أنك تجاوزت الحدود المسموح بها في الحرية فعندئذ سوف يضطر الموقع لإغلاق صفحتك، الحياة في المواقع الاجتماعية تسهل الوصول إلى الأصدقاء، ويكون ذلك عن طريق البحث بأساليب عدة منها: اسم المدينة أو الجامعة أو الثانوية أو العمل أو البريد الإلكتروني أو غيرها، ويتم كل ذلك بما يستندون عليه من قواعد بيانات كبيرة فعندها تنطلق محركات البحث التابعة لهم لتحضر هؤلاء من أطراف الشبكة، فتبحث في جداولها عن تلك

الأماكن التي ذكروها فيتم تحضيرها في مدة يسيرة، وهذا الأمر برغم أن له محاسن كثيرة ولكن فيه اعتداء على الحريات الشخصية، وقد يكون له آثار سلبية، ومما يذكر في هذا الجانب أن بعض المشتركين في المواقع يشاركون بأسمائهم الصريحة وبكفالة المعلومات الخاصة عن حياتهم السابقة فيكون المشارك مكشوفاً للعالم بأسره، أو تجد أن المشاركين يتحدثون عن أفعالهم بالدقيقة والثانية، وهذا أعطى تلك المواقع ميزة فريدة، ولكن تلك الميزة تحولت إلى ثغرة خطيرة، لأن اللصوص أيضاً شملهم التطور التقني وتعلموا صنعة جديدة، وأصبح اللص التقني يعيب على أخيه اللص التقليدي قدمه وتأخره في هذا العالم، فاللص التقني يستطيع أن يدخل حسابات البنوك ويعيث فيها الفساد بضغطة زر، بينما اللص التقليدي يجلب قضه وقضيضه من أجل أن يسرق محلاً صغيراً لا يكفي أن يسد جشعه وطمعه، ولكن نظرية (أن اللصوص أخوة) أثبتتها الشبكة فعندما فُتحت المواقع الاجتماعية كان هناك تعاون بين اللصوص المثقفين من المهتمين بالتقنية واللصوص المتخصصين بالسرقات التقليدية، وخطط

هذا التعاون مبنية على الثقة المتبادلة بين اللصوص وعلى جلب المعلومات من الشبكات الاجتماعية من قبل لصوص التقنية ويكون التنفيذ من قبل اللصوص التقليديين، فأصبح لصوص الحياة العنكبوتيه يتابعون من يتعرفون على عنوانه ومكان مسكنه ويتابعون النشرات اليومية التي يكتبها بنفسه فيضبطون تنقلاته وسفراته وحِله وترحاله، فصار الوصول إلى ممتلكاته الخاصة أثناء غيابه بغاية السهولة، فيبادر اللص التقليدي لزيارة البيت المهجور ويقدم للص التقني وافر الشكر والتقدير. ولقد نبهت لهذا بعض وسائل الأعلام ونشرت عن موقع يسمى(أسرقني) يتم فيه جلب بيانات كل مشترك في المواقع الاجتماعية قد سافر وترك بيته، فيستفيد لصوص تلك المنطقة من هذه المعلومات المهمة، رغم أن وسائل الأعلام ذكرت أن نشأة هذا الموقع كان على سبيل التندر ولكن تحول إلى واقع مفزع.

نبتعد عن لصول الأموال ونعود للص الوقت الأنترنت..ما الذي فعلت؟ لقد أغلقت باباً وفتحت أبواباً من التواصل الاجتماعي، لقد

أوقعت نفسي في الفخ، ولقد بررت لنفسي أنني أريد أن أعزل الفكر الكتابي الاحترافي عن التواصل الاجتماعي، وأضع لكل شيء مكاناً مخصصاً، وليتني لم أفعل ذلك، لقد خرجت من حفرة ووقعت في بئر، وأردت تنظيم العمل فتشتت المجهود، وأردت أن أكون على قدر ثقة وتقدير الأعضاء فأضعت طريقي وطريق الأعضاء، يقول فيكتور هوغو:"عندما كنت صغيراً، تمنيتُ أن أكون كبيراً، فلما كبرتُ عاودني الحنين إلى شبابي". لقد كبرت في الشبكة حتى ضاقت علي بمارحبت لقد عاودني الحنين لموقع أوحد فحالي اليوم أصعب، أفتح في اليوم عدة مواقع وعدة صفحات أبتدئ بالمدونة ثم أتبعها بالمنتدى ثم خمساً من مواقع التواصل الاجتماعي. ماهذا العبث؟ وماهذا الخطأ؟ وماهذا الإرباك الذي حصل؟ إن مجرد الدخول بأرقام سرية وكتابة اسم المستخدم إذا لم أكن أعمل من جهازي الشخصي يأخذ الوقت الكثير، رحم الله تلك الأيام الخوالي عندما كنت في المنتدى، وعلى جبهة واحدة وأقاتل على هدف محدد، أما اليوم فأراني على أكثر من جبهة، فلا أرضاً قطعت ولا من

الهم والآلام استرحت، فياسبحان الله كيف يضع المرء لنفسه العقبات، وكيف يهدم من حيث أن أراد أن يبني، وكيف تغيب عنه بعض البديهيات وتخفى عليه أسهل الخطوات، عقلي يتشتت وحروفي تتمزق بين المواقع، وكل من في تلك المواقع يعتقد أنني غائب ولا يعلمون أنني أصارع على أكثر من جبهة، وأن عدم وجودي معهم لا يعني أنني مستلقٍ في بيتي وبين أطفالي وأسرتي كما ينبغي أن أكون، بل يعني ذلك أنني في مأمورية أخرى على خط آخر من خطوط الشبكة العنكبوتية الواسعة، وأنني أبذل جهدي هناك في مكان بعيد قد لا يكون غير محسوساً عند من يفتقدونني هنا ولا مؤثراً معلوماً للذين أعمل معهم هناك، أحسست بفقدان الهوية وأن الحاسب وشبكته أصبحت ذات طعم ورائحة كريهة، تشبه رائحة الفنادق العفنة أو الشقق المفروشة التي كثر مستأجروها واحتفظت للذكرى بأسوء رائحة من كل ساكن، فأصبحت خليطاً غير مقبول ألبتة، وأفضل مايطلق عليها أنها جِدُّ عفنة، و(جِدُّ) التي كتبتها قبل عفنة كتبتها بإملاء من أنفي الذي ما إن أتذكر تلك الرائحة حتى

يأمرني أن أشدد بوصفها و أضع كلمة (جِدٌّ) قبلها من أجل أن تعلق في أذهان القراء المارين على هذه المذكرات ليحذروا كل الحذر من الوقوع في نفس المصاب من صاحبكم المبجل.

مع كثرة المواقع التي شاركت فيها بدأت حبيبات لوحة المفاتيح التي أعشق العزف عليها، تفقد مرونتها، حتى أن أصابعي لم تعد تتقافز برشاقة بينها، وتمردت كلها علي، حتى أحسست أن حرف (الذال) البعيد والقابع في أعلى الزاوية اليسرى من لوحة المفاتيح قد قاد عصياناً عليّ مع بقية الحروف، فلم أعد أضبط الحروف كما كنت من قبل ولم أستطع أن أعزف على أورتاها بسهولة ومرونة كما جرت العادة، ولقد اعتدت أن أمسح على رأس كل حرف برفق ولين كما يمسح الرجل الرحيم رأس الطفل اليتيم، ولكن أصبحت يدي نكرة ونظرتي مشئومة وحروف لوحتي متباعدة، لماذا كل هذا وهل هو أحساس داخلي أو تداخل في الأحاسيس؛ فلم أعد أعلم مالخطأ من الصحيح.

عندما رأيت هذا التشتت، بحثت في عالم الشبكة مايجمع شتات أمري، وكأني أم قد خافت على أبنائها من الضياع، أو عابر سبيل قد ضل الطريق،فكان رأي الشبكة سديداً كما عودني، فعلمت أن هناك أمكانية أن أربط بين مواقع الشبكة العنكبوتية برابط واحد، فأكتب في تويتر فتظهر النتائج في الفيسبوك والمدونة، وأكتب في المدونة وتظهر النتائج في تويتر والفيس بوك وهكذا مع الجميع، أما ردود أفعال القراء فقد فعلتها عن طريق البريد الألكتروني فأصبحت تهطل علي كل حين وبدون أن أرجع إلى كل صفحة. فكان هذا من تيسير العزيز الحكيم.

التأليف: يقول فيكتور هوغو:"لا شيء آخر في العالم، ولا حتى كل الجيوش، أقوى من فكرةٍ حان وقتها". نداء أخوتي وأخواتي من القراء يتكرر أن أتجه نحو الكتابة الورقية أو التأليف بمعنى أصح، وإلحاحهم في أكثر من مناسبة وذكرهم لذلك في أكثر من موضوع جعلني أفكر في الأمر كثيراً، لكن لدي قناعة

أن الإنترنت هي ساحة القراء المفضلة، وهي المكان المناسب للنشر، وأن من يريد أن يُطلع العالم على أمر مهم فما عليه إلا أن يفتح أبواب الإنترنت ويقول نحن هنا، فيقدم كل جهده وعمله بأقل مجهود يذكر، خاصة أن مؤشرات البحث التي قدمها لي السيد قوقل عندما بحثت عن اسم (نسيم نجد) في صفحات الأرشفة الخاصة به دل على صدق اعتقادي حيث وجدت أن هناك مايقارب ٧٥٠ ألف زائر من زواره فقط يكتبون في منصته البحثية كلمة (نسيم نجد) هؤلاء يفتشون عنه ويبحثون عنه، وأكبرت هذا الأمر في نفسي وقلت في حياة الواقع لا يمكن أن يتجاوز الذين أعرفهم مئة ألف أو حتى الذين شاهدوني أو شاهدتهم في كل حياتي، فكيف يبحث أعضاءٌ عن اسمي بالحرف الواحد وبهذا العدد المهول، بل تعدى الأمر ذلك فوجدت الزوار يقدمون من ٦٠ دولة من دول العالم للمدونة، دول لم أرها من قبل على خارطة العالم فيها أناس يبحثون عن (نسيم نجد) أو بمعنى أصح أن محرك البحث قد أسقطهم في فخ نسيم نجد عبر الكلمات الدلالية، هذه كانت قناعتي وتلك

المسوغات زادت من القناعة السابقة أن أرض الإنترنت هي الأرض الأكثر قدرة على استيعاب الكتاب وهي كذلك أفضل ما يمكن أن يستقبل العدد الأكبر من القراء، وهي الساحة المناسبة لبذر بذور الخير في أكبر مساحة، ولكن قراء الإنترنت والمدمنين من الأصدقاء من الشبكة، فيهم من الطيبة والمحبة لغيرهم ما لا أستطيع أن أحصيه لذا فإنهم يريدون أن يظهر نتاجي إلى عالم المكتبات الورقية، ويريدون أن يصل صوت رواد الإنترنت إلى المهتمين في كل مكان وفي كل مجال، لذا كانت ردودهم ورسائلهم تشجعني على النزول إلى الساحة الورقية، وبدأت الفكرة تدور في رأسي كثيراً وأطردها ثم تعاود التحليق حولي وأبعدها، لكن المشكلة الحقيقية لدي أن أية فكرة تطرأ في ذهني لا تبعد كثيراً عني فهي تغازلني وتعرض نفسها علي، فما أن تحوم في حماي قليلاً حتى أجد نفسي أنني أنا الذي أتمسك بها وأنها هي المتمنعة، ولكن لا أدع لها فرصة للهروب حتى تجد نفسها في مطبخ العمليات وفي ساحة التنفيذ السريع، لقد وجدت بعد فترة قصيرة أني وإياها قد وقعنا في حبائل بعضنا البعض،

وبعد أيام قليلة أصبحت الأفكار واقعاً ألمسه بين يدي أقبلها وتقبلني، وأنا غير مصدق أنني قد أقدمت على هذا العمل أو جسرت عليه..وأفتح جفَنيَّ بأكثر مما يتسعان وأنا في دهشة!! هل حقاً بدأت أسبح في عالم الخيال الذي كنت أحلم به يقول بيتشر:"الكتب نوافذ تشرق منها النفس على عالم الخيال".

١٥٠ طريقة: يقول شكسبير:"لا توجد في العالم وسادةٌ أنعم من حضن الأم، ولا وردةٌ أجمل من ثغرها". نعم الأم هي هدفي الأول في التأليف وهي من تستحق أن تسطر لها الحروف، فكان أول ما فكرت فيه أن أبحث بين موضوعاتي المكتوبة في المدونة عن موضوعٍ قد لاقى رواجاً وقبولاً عظيماً في الإنترنت –بفضل الله– وأحسست بفائدتها على الجميع وأثره الطيب، فعملت على تحويله من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة الأكثر جمالاً من الخيال، فكان الموضوع المقصود يتحدث عن خطوات بر الأم وكيف الوصول إلى قلبها العامر بالحب، وكيف لنا أن نخطو خطوات عملية في سبيل

حبها وبرها ونيل رضاها، وتقديم الحروف الدالة لسبل الوصول لقلبها عرفاناً بجميل لطفها وعطفها وفضلها وكرمها، فأطلقت كتيب (١٥٠ طريقة ليصل برك بأمك) ليحلق في عالم النشر والتوزيع والمكتبات، بعد أن أنتشر من قبل في عالم المنتديات والمدونات كمقال. فالحمد لله من قبل ومن بعد.

في البداية كانت خطوة التأليف فيها الكثير من الرهبة في نفسي..كيف لا؟ فالكتابة كما يقول د. زكي مبارك:"قلب يفصح وعقل يبين، وليستْ ألفاظاً تضم إلى ألفاظ". فالكتاب سوف يقرؤه الجميع، العالِم والطالب، الكبير والصغير، القريب والبعيد، فكأنني أفتح عقلي وذهني وفكري أمام الجميع، وأقول لهم هذا زادي أحمله إليكم، أقدمه بشكل مطبوع جاهز للقراءة والنقد والتصحيح وجاهز للتأمل والتصفح، التأليف على الورق يعني أنني أرفع صوتي في فضاء جديد وأقول: هذا صوتي أجهر به لكي يسمعه البعيد، وكتبته في القرطاس ليكون حجة لي أو علي، فإن كان الأول دفعني إلى بذل

المزيد، وإن كان الثاني ألزمته بالتوقف والتأمل ومن ثم إعادة المحاولة من جديد، التأليف يختلف بالكلية عن الكتابة في ساحات الإنترنت ففي الإنترنت تكتب باسم مجهول فإن وافق رأيك القبول فهذا أمر جميل، وإن كان الرأي مخالف فالعودة من أول الطريق سهله جداً، والكتابة في الشبكة يمكن تصحيحها أو محوها أو تعديلها، ويمكن أن تفنى بعطل وقد لا يصل إليها إلا فئة ضئيلة من الناس، وفي الشبكة يكتب من يعلم ومن لا يعلم، ويقول الجاهل أنا أعلم أهل الأرض، ويقول الصغير أنا وحدي الكبير، ويعود الطاعن بالسن مراهقاً صغيراً يتبختر، وكل شيء محتمل وكل كتابة بمحل الحذر، هذا هو الجانب الأسود، أما الجانب الأبيض الصافي النقي فقد وجدته أيضاً فلقد علمت بعد مدة من الكتابة في الشبكة أن من يرد علي في موضوعاتي أساتذة في الجامعات أو أناس لهم قدرهم ومكانتهم في المجتمع، أو كتاب قديرون قد وصلوا لمصاف الأدباء ولكنهم اختاروا طريق النشر الإلكتروني كأفضل طريقة للبدء في كتاباتهم ومن ثم من بعدها يقررون الأقدام أو الأحجام، إن عالم المكتبات هو أصل

النشر وهو التاريخ القديم بنشر العلم، لذا فالخطوات محسوبة والحروف متابعة والأخطاء الصغيرة غير مقبولة فما ضنك بالكبيرة. وفي المقابل عليك أن لا تخشى أو تتحاشى النقد والتوجيه والتصحيح "إذا أردت أن تتحاشى النقد فلا تقل شيئا، ولا تفعل شيئا، ولاتكن شيئا".

في جانب آخر كنت أجهل أبسط أبجديات النشر والطباعة، وقبل ذلك أجهل استخراج رخص الموافقة من وزارة الأعلام بل أجهل كيفية الخطوات المتبعة في هذا الطريق الطويل، كنت أعتقد أن من له رأي ويريد أن يُسمع رأيه لمن حوله، أن يكتب رأيه على الورق صباحاً، وعندما يمسي يجد الموافقة عليه بكل يسر وسهولة، ولم أعلم أن طابور انتظار الموافقة طويل وأن العشرات من المؤلفين ينتظرون دورهم في التدقيق والموافقة من قبل الإدارة المختصة في وزارة الأعلام، ولم أكن أعلم أن دور النشر والتوزيع تحسب الحساب بشكل يستعيذ منه التطفيف كل لحظة، والنهاية يذعن لهم المؤلف المبتدئ ليس حباً

بهم ولكن إما جهلاً أو رغبة في البداية بأي شكل، فالمكيال في بيوت الطباعة الذي يُعتمد عليه في تقييم الأعمال يستند على المعادلة أن المؤلف المغمور إما فرصة سانحة لهم أو ضربة قاضية عليهم، فهم يغامرون بنشر مايقدمه المؤلف ويتحملون عواقب مغامرتهم التي بنوها على أساس خبرتهم السابقة والتي تعتمد على أي الكتب تكون هي الرائجة.

ولقد رأيت من أساليب النشر والتوزيع الشيء العجيب، فبعضهم يأخذ الكتاب ومن ثم يخضع للجنة تقيمه وتحكمه، فإما أن يقبلوا طباعته وتوزيعه وللمؤلف نسبة مئوية محددة من الدخل، أو يقبلون طباعته وتوزيعه وللمؤلف نسبة عددية معينة من الكتب المطبوعة يتصرف بها كيف يشاء، أو أنهم يقبلون توزيعه فقط وعليه طباعته وله نسبته من المبيعات يتم تحصيلها كل فترة معينة، والبعض منهم يقبل التوزيع لمدة معينة للتجربة فإن كان النجاح حليفك فمرحباً بك وإن كان العكس فسوف يتم إنهاء العقد بينكم مأسوفاً أو غير

مأسوفاً عليه، ومع ذلك فلن تبتعد النسبة المئوية في أحسن الظروف أكثر من ١٥%. وزد ماشئت إن أردت المغامرة.

بالمعنى المبسط أن المؤلف لن يأكل عيشاً من التأليف، ولكن سوف يعيش المجد والفخر والمكانة إن كان نتاج عقله وصل بالناس إلى مكانة عاليه، فقد أعطى الناس أنفس مايحمل فكره ويغذيهم بأجمل ما أكتسب في حياته. إن التأليف والعيش في غماره والسعي خلفه وبذل الوقت والجهد من أجله له في النفس وقع غريب، في المقابل فإن وقعه على المتلقي له أثر آخر، فالناس يتنفسون أنفاسك ويسيرون على نهجك، ويتبنون أفكارك، ويعيشون حياتك، ومن الكتَّاب من يستطع أن ينقل القارئ من الحزن إلى السرور، ومن السعادة إلى الكآبة، ومنهم من يرسم بسمة أو يسقط عبرة، أو ينقل المتابع إلى الأمم السابقة أو يسابق الزمن فينقله إلى عالم آخر من عالم المستقبل المتوقع، فالكاتب المبدع يجعل القارئ يسبح في أفكاره ويسلم له روحه وتكون السطور كأنها خطواته المقدرة له في الحياة،

والفواصل التي بين الجمل هي وقفات الاسترخاء التي يلتقط فيها أنفاسه، والصفحات من الكتاب هي صفحات الحياة التي يتقلب فيها بين الليل والنهار. الكاتب الماهر يستطيع أن ينوم القارئ تنويماً مغناطيسياً حتى لا يشعر بمن حوله، ويرسم للقارئ المؤمل أحلامه بشكل يفوق الخيال. فالكاتب الذي يكتب من قلبه يصل لقلوب الناس بأقرب الطرق. وفي المقابل قد يكون الكاتب أداة حادة تنحر المتلقي بلحظة واحدة فيثير الملل في نفوسهم يقول ي. ب. وايت:"إن الجريمة الوحيدة التي يرتكبها المؤلف هي إثارة ملل القارئ". وهي جريمة ليست وحيدة بل هي جريمة عظيمة، وأتمنى أن لا أكون قد ارتكبت هذه الجريمة على مسرح هذا الكتاب أو مسارح أخرى من الكتب التي تم نشرها والتي من الممكن أن يكون قد جانبكم الحظ باقتنائها، ولكن إن كان هذا الأمر فأنا ممتنٍ لكم (فهيبل) يساندني بمقولة ساحرة ويقول:"إن المرء ليقرأ بعض الكتب وهو يشعر بأنه إنما يتصدق على المؤلف بقراءته". فتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

النشر الإلكتروني: يقول أمين الريحاني:"لا المجد ولا الشهرة أُمنيتي القصوى، ولا الثروة ولا السيادة ولا العظمة، وإنما أمنيتي الجوهرية الأولى هي أن أكون بسيطاً في أعمالي، صادقاً في أقوالي، مستقيماً في مبادئي وآرائي". ولم أكن بعيداً عن الريحاني ورأيه وفكره عندما ألفت الكتيّب الأول، فكان همي أن أقدم شيئاً مهماً وملموساً يصل إلى كل الناس المتابع للشبكة العالمية وغير المتابع، لذا عندما عرضت الكتيّب على دار النشر وافقوا بشروط، ووافقت على شروطهم حيث تَكَفَلَت الدار بطبعه ونشره على حسابهم مع نسبة للمؤلف من عدد الكتيبات المطبوعة مقدرة بخمسة في المائة من المطبوعات، طُبع الكتيّب بعدد عشرة آلاف نسخة، نفذت من الأسواق خلال تسعة شهور، وهذا العدد بالنسبة للوقت يعتبر وقتاً قياسياً، ونجاح للكتيّب مبهراً، وذلك بعد أن تعرفت من خلال بعض دور النشر الشهيرة أن الكتاب الذي يوزع سنوياً من خمسمائة وألفين إلى ثلاثة آلاف فيعتبر الكتاب قد حقق نجاحاً قيماً، وأن الكتاب الذي يحقق نسبة مبيعات من ألفين

إلى خمسمائة وألفين فيعتبر داخل دائرة الضوء ثم يصل التدرج بالنزول حتى يعتبر الكتاب خارج القائمة، وبمعنى أن الكتيّب قد حقق نجاح ثلاث سنوات قادمة في سنة واحدة، ليس هذا فحسب بل لله الحمد والفضل والمنة أن الكتيّب لما نفذ كانت هناك قائمة طلبات من الطبعة الجديد؛ ولما تأخر الكتيّب في طبعته الجديدة من قبل الناشر وكانت الطلبات المنتظرة كثيرة، ظهر الحل فجأة ولكن للأسف لم يكن الحل قانونياً فقد أرسل لي أحد الأصدقاء رابط عبر البريد الكتروني يذكر فيه أن الكتيّب أصبح متوفراً في الشبكة العنكبوتية، بل إن الكتيّب انتشر في الشبكة بشكل سريع انتشار الزهور في فصل الربيع، ووصل الكتيّب إلى الكثير من الأصدقاء عبر البريد الكتروني، وانتقل الكتيّب من موقع إلى موقع حتى تعدت الصفحات التي نشرته العشرات، وحمل في أكثر من مركز تحميل في الإنترنت، وسحب من قبل القراء إما بشكل ملف لا يقبل التغيير أو ملف (وورد) يعدل عليه من يشاء فيزيد فيه وينقص، لم يكن في يدي أو يد دار النشر أي حل لهذه الاستباحة الغير مرخصة من قبل رواد

الشبكة العنكبوتية، وبرغم أنها لم ترضني ولكني سعدت بكمية الطلب المهولة التي نزلت على الكتيّب، حيث تعدت النسخ المسحوبة في شهور بسيطة من نسخ الطبعة الأولى أضعافاً مضاعفة، وهذا إثبات من عالم الإنترنت أن الانتشار عبرها أسرع وحجم الإقبال عليها أكبر، وأن التأليف والتوزيع الإلكتروني لديه قاعدة عريضة لو قُنن بطريقة تناسب البائع والمشتري؛ بل إن إعادة طبع الكتيّب في الشبكة أسهل فهو لا يحتاج إلى وقت طباعة أو التزام بأوقات المطابع، ولا يحتاج إلى وقت للتوزيع والوصول إلى جميع المنافذ، ولا يحتاج إلى جهد من الموزع أو المشتري.

حضر الكتيّب إلى أرض الواقع متأخراً بعض الشيء من قبل دار النشر، فالفترة بين نفاذ الكمية للطبعة الأولى ونزول الطبعة الثانية مايقارب الخمسة أشهر والتي نفذ خلالها صبر من يريد الكتاب فقرروا أن ينشروه بطريقتهم، ولا أعلم هل أنهم يعلمون أن مؤلف الكتيّب من مدمني الإنترنت فبهذه الطريقة لن يعترض عليهم أم أن

التأخير في إنزال النسخة الثانية هو الذي جعل صبر أصحاب الشبكة ينفذ ويقررون النشر بطريقة سريعة. أخبرت دار النشر عن خبر انتشاره وهل أعطوا الأذن بنشره إلكترونياً فأخبروني بعدم علمهم بهذه الخطوة، وأن الناشر الإلكتروني لم يستأذن منهم، وهذا فيه إجحاف لحقوق دار النشر وفيه تضييع لفرص عملهم وفيه أخذ بالباطل لمجهودهم وكدهم وسهرهم، وفيه تطاول على أملاك الغير، وفيه الكثير من تشويه المقاصد الحسنة التي تكون هي البذرة الرئيسية لأعمال مثل هؤلاء، ولست ألوم المتناقلين للكتيب بقدر لومي لأول من وضع نسخة إلكترونية، أما الذين نقلوه فقد يكون لديهم العذر في ذلك فهم لا يعلمون أن الموقع الأصلي لم يستأذن دار النشر.

ومما كان من أمر هذا الكتيّب أن تم إرسال بعض فقراته من ضمن رسائل (مجدها) وهي المجموعة التابعة لقنوات المجد الفضائية، فقد وصلتني ذات مرة رسالة من أخي المشترك بالباقة وكانت الرسالة تحتوي على تعريف بالكتيّب والنصح بقراءته ومن ثم مقتطفات من

فقراته، فكان الشعور رائعاً أن تقرأ رسالة توزع في فضاء الاتصالات أنت كاتب حروفها، وأن تجد اسمك قد خط في أولها وتجد النصيحة المضمنة بالحرص على قراءة الكتاب ومدى فائدته. قرأت الرسالة أكثر من مرة وتمعنت بها، وكان الفرح يقرأ معي تلك الرسالة كيف لا والرسائل شذىً ونسيم لا ترده حدود، فهي الآن بيننا ولا يعلم إلى أين سوف تصل من بعدنا. فلله الحمد والمنة.

الكتاب الثاني سياحي: يقول البيديو كويرنو:"إذا منحنا أنفسنا الثقة الكاملة، يمكننا تحقيق كل شيء، حيث لا يوجد شيء يستحيل تحقيقه". سرت الثقة في نفسي بعد النجاح الذي لاقاه الكتيّب الأول، وبلغت ذروتها بعد أن حقق مبيعات رائعة في سنته الأول، فبحثت أيضاً في مدونتي عن موضوع مناسب من أجل أن يكون بذرة لكتاب آخر، فرأيت أن يكون التخصص الذي سرت عليه في عالم السفر هو مجال التأليف القادم، بحثت في المدونة فوجدت أغلب الذي كتبته من قبل كان يختص بتقارير

سياحية عن مدن زرتها ودول تجولت في أنحائها، وبرز من بين تلك الموضوعات موضوع يختلف عنها حيث كنت قد كتبت عن تنظيم السفر، وكيفية التخطيط له بفترة سابقة، فوقع عليه الاختيار، قرأت الموضوع بتمعن فجعلته نقطة البداية التي أنطلق منها، فقسمت الكتاب تقسيمات عدة تحتوي تنظيمات قبل السفر وأثناء السفر وبعده، تنظيمات تشمل المسافر وفندقه والمرافقين وبيته وتنقلاته وأكله ومشربه ووقته الذي يقضيه في الطائرة وفي الجمارك أو الفندق. وكان نصب عيني أن يكون أمان المسافر وترتيب سفره وراحته واستفادته بشكل مناسب هي ركائز الكتاب في كل باب، مع الحرص على تقليل الخسائر في كل جانب.

بدأت بعصف الأفكار وتدوين جميع مواقف السفر، ووضعت نفسي وكأني برحلة تبدأ منذ أن تكون الرحلة فكرة حتى العودة، وأكتب كل صغيرة وكبيرة من الإجراءات المتبعة للمسافر والتنظيمات اللازمة والتخطيط لكل مرحلة، أكتبها ثم أراجعها وأحذف منها وأزيد،

يقول أوفيد:"الجداول الصغيرة تصنع الأنهار الكبيرة". فهذا الذي كان فعندما انتهيت من جمعه زاد عن مائتين وألف فقرة، فقررت أن أحذف بعض الأبواب التي لا تمس المسافر للسياحة كالفقرات المتعلقة بسفر التجارة وسفر الرحلات البرية وسفر الدراسة، حتى لا يشتت ذهن القارئ، فكان أن اختصرت الكتاب إلى ثمان مائة خطوة.

وقد اعتمدت على التنقيط والفقرات في الكتاب لأن المسافر برأيي يجب أن يأخذ كل فقرة ويتأملها وينظر هل طبقها؟ أم لا؟! وكذلك من أجل أن يكون الكتاب سهل الهضم، بعيداً عن الإسهاب الذي يجعل القارئ يخرج وبدون أن يصل إلى نتيجة محددة، فلدى القارئ فقرات يتتبعها فيأخذ منها مايتوافق مع واقعه وحاله، وكما نعلم أن الغالب من قراء مثل هذا الكتاب هم ممن يستعدون للسفر فليس لديه الوقت الكافي لتلخيص الكتاب أو قراءته أكثر من مرة بل يريد دليلاً مرجعياً مرقماً يسرع الوصول إلى فقراته.فرغت من الكتاب

وأحلته لبعض الأصدقاء لمراجعته لغوياً وتحريرياً بعد أن اخترت للكتاب اسماً شاورت عليه البعض فلم يعجبهم، واستشرت عليه مجموعة أخرى فأبدوا ملاحظاتهم، فكانت النهاية أن يكون عنوان الكتاب (٨٠٠خطوة لرحلة سياحية ممتعة).

التصميم والصف: يقول المثل ألماني:"الفتاة الجميلة تحمل مهرها في وجهها". والكتاب ذو الغلاف المميز يحمل دعايته على غلافه، فإن أردنا أن يتقدم القراء لخطبته فلنهتم بتجميل وجهه، والغلاف هو الوجه الحسن الذي يجعل عابر السبيل يحبه من أول نظرة بل يقيم عنده فترة، ثم يخطب وده، وإن وجد مافيه يسر شكر للمصمم عمله وللكاتب كتابه، وإن وجد فيه أقل مما يتصور فسوف يحوقل ويقول: إنما النظرة الأولى فتنة وخدعة. لقد تم الاتفاق مع المصمم من أجل أن يصمم غلاف الكتاب بعد أن أعجبني تصميمه لبعض الإعلانات،، وكان اختياري له لإحساس مسبق مبني من تلك الإعلانات انه يحمل التجديد الذي أريده، فلا

أريد أن يكون الكتاب بغلاف روتيني أو يحمل شكلاً مكرراً من أشكال التصاميم الموجودة على أغلفة الكتب، فيمر المشتري في المكتبة ولا يلفت انتباهه، أو يشتريه فيركنه وينساه، أو يقرأه القارئ ولا ينطبع في ذهنه، أريد تصميماً راسخاً بالذهن يبقى لأطول فترة زمنية ممكنة، أريد البائع والمشتري والمستفيد أن يكونوا كلهم على نفس الدرجة من الانبهار.

وقعت عيني على تصاميم إبداعية لأحد المصممين، فتواصلت معه وأبديت له إعجابي بتصاميم أحد دور النشر كي نسير على نفس النهج الذي يسيرون عليه، فكانت المفاجأة أن تصاميمهم لا تعجبه لأسباب أبداها في حينها وليس لنا إلا التسليم لعقول المصممين، فلا أعلم هل اسم المصمم تم استسقاؤه من البناء والتصميم أم قد تم وضعه ليوحي أنه يحرص دائماً على أن يصمم على رأيه، فإن كان الأخير فصاحبي المصمم خير من يصمم وخير من يصر عليه وذلك عبر عينه الثاقبة المباركة، وهذا هو المطلوب فنظرتهم تختلف عن

نظرتنا وفلسفتهم تحكمها أمور عدة، ورؤيتهم مقننة بدقائق قد لا نحسب لها حساباً، يقول بيكاسو:"أرسم الأشياء كما أتصورها، وليس كما أراها". وهم كذلك يتخيلون أشياء لا نراها نحن، ويرسمون الجمال بريشة تفيض حساً ومشاعر، ولقد كان لي رؤية في التصميم بنيتها في ذهني من قبل الاتفاق مع المصمم ولكن قلت في نفسي لعلي لا أستعجل بتوضيحها أو عرضها على المصمم من أجل أن لا أحجر واسعاً عليه، فعندما أعرض عليه رؤيتي فسوف يدور حولها ولن يبتكر شيئاً جديداً مميزاً وهذا برأيي من الأخطاء التي دائماً ما نقع فيه في الإدارة خاصة، فدع الناس من حولك يقدمون لك إبداعاتهم فقد يضعون لك حلولاً لم تخطر ببالك، وعندما تقيدهم بأوامر فأنت ألزمتهم أن يدوروا في فلكك ووفق رؤيتك التي قد تكون قاصرة، وأيضاً كان مما طلبت منه أن يضع لي ثلاثة تصاميم مختلفة وهذا شرط متعارف عليه بين المصممين وإن لم تطلبه عرضه عليك، ومما طلبت إن أمكن أن يكون الخط مخصص للكتاب لم يسبق استخدامه في عنوان كتاب آخر. خرجت التصاميم ثم

توالدت الأفكار وصار بين يدي أكثر من الثلاثة وزادت الحيرة، وفي النهاية تم حصرها بمجموعة صغيرة واستشرت عليها واخترت الأقرب إلى نفسي بالرغم أنه ليس المفضل لدى المصمم.

صف الكتاب أيضاً مشكلة أخرى تعترض طريقي نحو العمل السريع، فالكتاب أستطيع أن أصفه ببرنامج (وورد Microsoft Word) ولكن لم أعلم أن الصف بهذه الطريقة هي طريقة غير مفضلة لدى المطابع فهم يريدون أن يصف الكتاب عن طريق برنامج (InDesign) الذي لم يسبق لي أن تعاملت معه، أو أن يتم تسليمه على شكل ملفات (pdf) فكان تحويل ملفات الوورد (Microsoft Word) إلى (pdf) أسهل الطرق بالنسبة لي، كذلك طلبت المطبعة أن يكون تصميم الغلاف مفتوحاً والخطوط المستخدمة مدرجة مع التصميم وذلك من أجل أن يتم تعديلها وتغييرها بالشكل المناسب للكتاب فتم كل ذلك وكما يريدون.

فسح الأعلام: يقول غوته:"نحن نرثِ القوانين كما نرِث الأمراض". مقولة غوته ليس لها علاقة بما بعدها إنما رأيت أن أزيد سطراً فقررت وضعها فلا يظن ظان بغير ما تحتمل العبارات.

أقول انتهينا من الكتابة والتنسيق اللازمة وتبقى أمامي خطوتين مهمتين الخطوة الأولى وهي استخراج فسح وزارة الأعلام من إدارة المطبوعات والخطوة الثانية تسجيل الكتاب وإيداعه في مكتبة الملك فهد – رحمه الله تعالى- فكنت أعتقد أنني استطيع أن أنهي تلك الخطوتين بساعات قليلة أو على أكبر تقدير بأيام لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، ولكن كان استخراج فسح وزارة الأعلام يتطلب أن أنتظر دوري في طابور التدقيق والتمحيص والقراءة من قبل المختصين بالإدارة قبل أن يعطوا الموافقة، وبعد أسابيع قضاها الكتاب تحت عيون الرقابة وتأكدوا أنه صالح للنشر ولا يحمل أي مخالفة ختم جبينه بختم البراءة فعلى كل رأس صفحة طبع ختم الوزارة، وسُلمت خطاب الفسح المبدئي والذي يعني أنني أستطيع أن أطبع الكتاب ومن ثم أسلمهم ثلاث نسخ بعد الطباعة المبدئية للمقارنة والتأكد

من عدم التعديل أو التغيير ومن بعدها يتم الفسح النهائي، والخطوة الأخيرة هي الخطوة الأبسط، وأما التسجيل والإيداع من المكتبة فهي خطوات مرنة ولا تستغرق دقائق معدودة ويمكن أن تتم عبر الفاكس فيتم منحك رقم التسجيل (ردمك) وهو عبارة عن أرقام وحروف يدل كل حرف ورقم على دلالة معينة في المكتبات العالمية، ولمن أراد أن يستزيد ويتعرف على معاني الرقم فعليه أن يزور موقع المكتبة على الإنترنت، وبعد الطباعة كذلك يتم تسليمها نسخاً للحفظ في المكتبة ويستلم المؤلف الشهادة النهائية التي تدل على أن ذلك الكتاب قد حفظت حقوقه عن طريق مكتبة الملك فهد، مع العلم أنه يستلزم أن يوضع الرقم على ظهر الكتاب وكذلك في أول صفحة من صفحاته.

التوزيع: يقول سرفانتيس:"المسافة طويلة بين القول والفعل". المسافة كبيرة بين التأليف والطباعة والتوزيع، والمسافة كبيرة بين أن تحلم وأن تحول الأحلام إلى واقع، انتهى

التصريح فأحسست أنني قد وصلت للنهاية، ولكن للأسف الحلم لم يكتمل بعد، لقد بقيت الخطوة الأهم وهي التي أخطأت بتقديرها وأخرتها للمرحلة الأخيرة وكان يجب أن أبدأ بها قبل كل خطوة، إنه التوزيع، فما فائدة أن يكون لديك كتاب قيم- أو تعتقد أنه قيم- ولكن لا تجد من يوزعه ويوصله للقارئ، كل ماسبق تستطيع أن تقوم به وبنفسك وإن لم تستطع بنفسك فتستطيع أن تقوم به وبمساعدة الأصدقاء من حولك، وإن لم يكن فقد تتدخل المادة وتفك عنك كربات عدة، ولكن مسألة التوزيع هذه معضلة وهي أكبر معضلة ولا أنصح أي كاتب (مبتدئ) من أمثالي أن يبدأ وهو لم يحدد من سوف يتكفل بتوزيع كتابه، فالتوزيع يخضع لرأي شركات النشر والتوزيع من حولك، وهم يحكمون موازين عدة من أجل نشر الكتب وتوزيعها، وقد تُحسب هذه الموازين لدى عامة الناس بميزان نشر الثقافة، أما لدى المؤلف المبتدئ فتُحسب من وجهة نظر تعتمد على تشجيع المبتدئين وتحفيزهم، ولكن كل ماسبق لن يغطي خسائر شركات التوزيع، فهم يحسبونها وبدقة

وبمثقال الهللة والذرة، وعنوان الحسبة عندهم كم الفائدة التي سوف تودع في رصيد الشركة، إن هذه الحسبة بكل تجرد هي نظرة واقعية، ونظرة محقة، لكن المؤلف يصاب بخيبة أمل ويصطدم بالواقع فيكاد أن يحبط، وينظر لتعبه وجهده فيغرق في همه وحزنه.

ما حذرت منه أعلاه وقعت فيه فقد مررت على شركات التوزيع بكافة أشكالها ومكانتها في السوق، كانت الابتسامات جد جميلة، ولكن لم تكن النهايات توازي تلك الابتسامات، بعضهم عرض علي أن يأخذ مجموعة من النسخ ما لا يزيد عن خانة المئات ثم يعرضها بالسوق فإن لاقت القبول فهناك يتغير مجرى المفاوضات فيتم الزيادة لخانة الألوف وإن كان هناك قبول أكبر يزاد الطلب، وكل ذلك والبيع على التصريف والمحاسبة تتم كل فترة زمنية، فإن كانت النتائج مرضية فأنعم بها وإلا يقال للمؤلف طبت وطاب مسعاك، وفرصة سعيدة أن التقينا بك، فتعاد النسخ المتبقية ويتم قسمة المبالغ الواردة بعد أن يرجع إلى الشروط المتفق عليها بالعقد

والتي بالغالب تكون نسبة كبيرة لدار النشر والتوزيع وصغيرة للمؤلف الضعيف.

زرت دور نشر شهيرة من أجل معرفة المزيد، فوضعت الكتاب بين أيديهم وعرضت الموضوع عليهم فتشابهت أقوالهم، يقول ليسنج:"الاستلاف شبيهٌ بالتسول". وطلب توزيع الكتاب لا يشبه التسول بل هو التسول بعينة وأنفه، وهو تسول للطبقة المؤلفة يطلبونه في بلاط مالكي دور النشر لعلهم يرحمون عبداً ضاقت عليه الدور بما رحبت، إن مايسعى إليه لا يجده إلا عندهم، حتى كأن لسان حاله يقول بصوت خجول: لله يامحسنين أنا مؤلف مسكين؛ لقد عرضتُ على الدور كتابي فقالوا بالمختصر أن لدينا ثلاث طرق للنشر، أن يخضع الكتاب للجنة وتتفحصه حتى ترى نسبة استفادتها من نشره وتوزيعه، فإن اجتاز تلك المرحلة، فهناك قسمان آخران إما أن يكون قيماً ويرجى من خلفه الرجاء الكبير، فيتم طباعته من قبل الدار ويكون للمؤلف نسبة مئوية من دخل الكتاب تتراوح بين

١٠-٢٠% وقلما تزيد، أو أن الدار تقبل بالكتاب مضموناً ولكن تعتذر عن طباعته فيكون على المؤلف أن يسدد قيمة الطباعة ودور دار النشر توزيع الكتاب بمعرفتها. وتكون نسبة ما تجنيه الدار من الربح قريبة من النصف أو يزيد. والخيار الثالث أن يتم رفض الكتاب بالكامل فلا نشر ولا توزيع فيخرج المؤلف متحسراً على كل وقت قضاه في التأليف.فمنذ أول لحظة ذكرت فيه الإحالة إلى لجنة كان على المؤلف أن يعلم إنما هي حبال من أجل أن تشنق أحلامه كما يقول شارلس ف كترنج:"إذا أردت أن تقتل أي موضوع في عالم اليوم، فأوكله إلى لجنة ".

وفي غالب الأحوال لن تكون للمؤلف أرباح مادية قيمة قد تحسب من خلف كتابه، لكنه يؤمل أرباحاً معنوية طائلة لا تخفى على القراء من نشر الثقافة والعكوف على بثها والسعي من أجل أن يوصل المرء الرسالة كل تلك الأشياء لا تقد بثمن، وفي المقابل فإنها على الصعيد الشخصي فهي فرصة لأن يطلع المرء على مصادر ومراجع

وأن يستزيد من أجل أن يستفيد ويفيد، وكذلك فيها ربح معنوي أجل وأكبر وهو أن تجد كتابك قد اصطف في المكتبات بجانب العباقرة والمفكرين، ومن أفضل الكلمات أن يأتيك ويحادثك بعض القراء أن له رأي في كتابك إما بالسلب أو الإيجاب، فالكاتب يحس أن له أثر في الحراك الثقافي أو له يد جعلت القارئ يتأمل المكتوب فيراجع ما قرأ مع ما يعتقد.يقول المثل إنجليزي:"الأقوال تطير، والكتابات تبقى".

بالنسبة لكتابي فمن حسن الحظ أن هناك دار توزيع قد بدأت العمل في الميدان للتو وكان لأخي الأكبر علاقة وطيدة بهم، فاقترح أن أعرض الكتاب على أصحابها، مع عرض أخي المغري حضرت بذهني المقولة المناسبة في الوقت المناسب:"إذا لم يكن هناك قانون، فالعلاقات الشخصية هي القانون". وفعلاً وبعد العرض على دار التوزيع كانت الموافقة مباشرة بعدما أطلعوا على محتواه. بدأ التوزيع في المكتبات وبدأت الأيدي تصل إليه، أحس بأن كل يد تصل

لكتابي فكأنها يد تصافحني، أحس بها من بعيد، كنت أرقب المتسوقين في المكتبات، وأنظر إليهم عندما يمرون من جانب الكتاب، وأنظر نظراتهم وانفعالاتهم حوله، كل تلك الأشياء كانت بالنسبة لي لحظات سعيدة، وعندما أسأل الباعة عن الكتاب ومستوى الإقبال كانت الردود متفاوتة وإن كانت بالغالب تدعوا للتفاؤل، سررت بذلك وسعدت أيما سعادة، وأحسست أنني قد قدمت عملاً يستحق أن أشيد بنفسي قبل أن أنتظر أن يشيد الناس بي، فإشادتي بنفسي تعني أنني قد تجاوزت عراقيل عدة وعبرت محطات متنوعة فكان النجاح الذي أرجوه، والوجود الذي لم أتوقعه من خلال الكتاب فكما يقول سير توماس براون:"إننا نحمل في داخلنا كل العجائب التي نبحث عنها خارجنا". فلله الحمد والمنة.

أول لقاء على الهواء: يقول بيرون:"أحسن وسيلة للتمتع بالسعادة، هي أن تشرك فيها غيرك". هذا شعوري بعدما سمعت معد برامج القناة الإخبارية وهو يطلب مني لقاء على الهواء

في حوار مباشر عن الكتاب، وافقت على الفور فلم يكن أمامي إلا الموافقة أو الموافقة، فليس هناك أي مجال للتردد مع هذه الفكرة الرائعة وهذا العرض المميز، بعد ما أغلقت السماعة، أحسست أن السعادة التي دائماً ما أجدها في السفر والترحال بدأت تتسرب من بين أيدي قراء الكتاب وفي طريقها لتصل إلى عيون وأسماع المشاهدين، وبعد أن قال المعد: سوف أرسل لك محاور اللقاء، دخلت في حالة بين الوعي وللاوعي، بين الحلم واليقظة، هل من المعقول أن الكتاب وصل ليد المذيعين والمعدين في القنوات وحاز على إعجابهم، أحسست بشعور غريب لا يمكن وصفه، أين كنت؟ وأين أصبحت؟ -بفضل الله تعالى-، كنت متفائلاً ولكن لم يكن التفاؤل يصل بي إلى أن أكون بحديث مباشر على القنوات الفضائية.

أمامي أيام عدة فقط قبل اللقاء ويجب أن أكون بمستوى الحدث، كيف لا وهو إما أن يكون خير دعاية للكتاب ومحتواه، أو يكون ذا

أثر سيء في أول خطوة لي في هذا المجال، كيف لا والفضاء يصل إلى أطراف الأرض، فيستمع اللقاء البعيد والقريب، والكبير والصغير والأديب والمثقف والعامي، كيف لا وقد يستمع إلى اللقاء الملوك والوزراء. أتساءل في نفسي هل سوف يعجب المتابعين أم يطلبون ما أخشاه..تغيير القناة. كان التركيز على أن أبدأ وأنتهي بسلاسة وتسلسل،وأن يكون اللقاء سهل الوصول لكافة الطبقات، وذكر لي أحد الأصدقاء ممن خاضوا التجربة أن اللقاءات الفضائية بالضبط كقائد الطائرة إن استطاع أن يقلع بهدوء ويهبط بهدوء فقد وفق في عيون الركاب، فقال ركز على الدقائق الأولى والأخيرة أما مابينهما فقلما يكون تركيز الناس عليها، فالدقائق الأولى تجعل المشاهد يستمر بالمتابعة والدقائق الأخيرة تجعل المشاهد يستمر بتذكر تلك المقابلة، ونصحني ناصح أن أكون على هبة الاستعداد لمكالمات المداخلة أو لأسئلة مفاجئة من المذيع، وأن لا أستطرد فيما لا ينفع أو قد يوقع في الحرج فكلوديوس يقول:"لا ينبغي أن تقول كل ما تعرف، ولكن ينبغي أن تعرف كل ما تقول". كل تلك النصائح

حفظتها وأخذتها بعين الاعتبار، ولما حانت ساعة الصفر نسيتها ويبقى الحال يفرض نفسه.

قدمت إلى مبنى التلفزيون فركنت سيارتي بالمواقف القريبة من برج التلفزيون، فبدوت صغيراً جداً بجانب برج التلفزيون العملاق، وأحسست مع كل خطوة أنني في مفترق طرق وأن الخطوات القادمة لها أثر في حياتي اللاحقة، في بوابة مبنى التلفاز وقف شاب وكل بأمر الاستقبال، فكان استقبالهم رائعاً فيه من الرسمية غير متكلفة والكثير من الدفء والحرارة. هي دقائق معدودة مشيتها معه حتى الاستوديوهات، هذه الدقائق كانت بعمر الزمن، فالأحاسيس والمشاعر لا تحتاج إلى وقت طويل من أجل أن نستشعرها، فهي أنفاس نتنفسها ونبضات نحس بها فتمكث في الحنايا أبد الدهر، ممرات مبنى التلفاز خالية ولا أسمع إلا قرع نعال المستقبل ثم يتبعها قرع نعالي، دخلنا صالة الانتظار ريثما يتم الانتهاء من نشرة الأخبار ثم نكون من بعدها على الهواء، ومعنى ذلك أن وقت البرنامج في

وقت الذروة ووقت تحلق الناس حول الأخبار. الوقت الفاصل بين اللقاء والاستعداد له كان قصيراً جداً ولكن في الواقع كان يمشي بطيئاً جداً فالانتظار يحبس الأنفاس دائماً، ومن المهم أن أكون بنفسية معدة بشكل مناسب ولكن هيهات هيهات أن تطيعني النبضات، بحثت عن أي أحد للحديث معه وعن أي شيء من أجل أن أخرج من دائرة التفكير باللقاء، فلم أجد إلا بعض الشباب الذين يعملون في مبنى التلفاز فشكرتهم على جهدهم وبذلهم ولكن يبدو أنهم مشغولون بأشياء أهم من كلمات الشكر التي يبذلها هذا المرء الحائر في أمره.

فتح معد البرنامج باب الغرفة فقال ننتقل لغرفة النقل المباشر، فتحت أبواب الأستوديو فوجدت أنوار مسلطة على بقعة معينة، وكمرات متعددة قبلتها نقطة محددة، ومن حول ذلك أناس يتحركون يمنة ويسره، بعضهم يحمل لاقطات وبعضهم سماعات والبعض الآخر مهتم بالإضاءة، أسلاك على الأرض متقاطعة وكشافات في السقف

متدلية، ومسار للكاميرات محددة، ووجوه متعبة ووجوه مبتسمة، وعمل متزامن لا يتقاطع، أحسست أنني مجرد قطعة صغيرة وسط هذا المخزن الضخم من المعدات، حتى أحسست أنه يمكنني أن أختبئ عن عيون المشاهدين خلف ماخلف الكواليس. سلمت على المخرج وتناقشت وإياه ببعض الترتيبات ثم تركته من أجل أن يستعد للقاء بالشكل لمناسب، وقد أخبرني أن فقرتي تبدأ بعد أن يقدم المذيع فاصلاً وتقرير، ثم يأتي إلى المكان المعد للحوار ويبدأ الحوار معي حول الكتاب.

سمعت كلمات (البداية) من المخرج فصمت الجميع فكأن كل شيء لم يكن، فقط أسمع صوت المذيع وأنفاسي، كان المذيع أمامي وهو يرحب بالمشاهدين ويقدم تقريره المصور، وكنت أرقبه من بعيد وعين الكاميرا مركزة ومسلطة عليه، فالمشاهدين لا يرون إلا المقدم أما صاحبكم فقد كان في زاوية أخرى، نحن الآن على الهواء وبعد لحظات سوف ينتهي التقرير وينتقل المذيع إلى طاولة الحوار فنكون

في الفقرة الثانية من البرنامج، أقنعت نفسي أن أستغرق بالفاصل مع المذيع فأبتسم عندما يبتسم وأتعجب عندما يتعجب، وكل ذلك لأخرج من دائرة التفكير، وفعلاً كان الحال أفضل، بعد دقائق قال المذيع للمشاهدين ننتقل للفقرة التالية، فقدِم إلي ورحب، فدار الحوار حول الكتاب وحاجة المسافر العربي لمثل هذا الكتاب وتحدث المقدم عن بعض محتويات الكتاب وطلب مني التوضيح والإسهاب، عندما بدأ اللقاء أحسست أنني في عالم آخر، وحاولت أن أكون تلقائياً أو على أقل تقدير أن لا أظهر كممثل بارع يتصنع الحرف، لذا كان في ذهني أن آخذ بنصيحة برنارد شو على أسوء تقدير:"الممثل المتميز، هو الذي لا يستطيع أن يمثل". بالطبع كان هذا هو الأمل ولكن بدلت نصيحة برنارد شو: هو الذي يستطيع أن لا يتلعثم، وبقي الواقع ينقل نفسه على الهواء مباشرة، شعرت أن ماقبل اللقاء أعظم وأصعب من اللقاء، توالت الدقائق حتى سمعت المذيع يشكرني على القدوم للبرنامج، في لحظة من الزمن عبرت من

بين تلك الجموع المحشودة في تلك القاعة وكأنني قد استيقظت من حلم جميل، وخرجت إلى العالم بعد أن انقطعت ساعة.

عند الباب الخارجي للأستوديو تنفست الصعداء، وأسرعت في الممرات، فكأنني خشيت أن أسمع صوت المذيع ليقول لي عد فإن اللقاء لم ينته بعد، فالرهبة عاودها الحنين لأن تغزوا جسدي من جديد وأن تجعل أطرافي تتراقص ليس طرباً بل ارتجافاً، خرجت من مبنى التلفاز وقد أعددت الماء البارد من قبل وذلك من أجل أن أستزيد منه بعد أن حرمت نفسي اللحظات التي تسبق اللقاء، تنفست الصعداء وفتحت جوالي فإذا الرسائل والمكالمات تنهمر عليّ.

في منتدى (زاد المسافر) كان اللقاء مسجلاً، ومعروضاً على الجميع، وهذا يعتبر حدثاً مهماً، فالأعضاء بشوق لكشف ماخلف القناع، والأعضاء ينتظرون الفرصة ليشاهدوا أصحاب المعرفات المجهولة هل هم بنفس الصورة التي رسموها لهم في مخيلتهم، عن نفسي أقول: لقد

فشلت في رسم أي عضو من الأعضاء قبل أن أقابله على أرض الواقع، فكل عضو من الذين قابلتهم يكون بشكل مختلف جداً عن الصورة التي نسختها له من حروفه، وتهيأتها من موضوعاته أو من خلال أسلوبه، والبعض يدع لمشاعره أن تسترسل برسم الصورة عبر حروف الكاتب التي يراها في المنتدى، فمشاعره تتصور أن الكاتب صاحب الكلمات الرقيقة الحانية له من الصفات ما يناسب تلك الكلمات، بينما في الواقع هناك بعد المشرقين بين رسم الحروف والواقع المألوف وأن تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه، بل من الممكن أن يكون الكاتب في الشبكة ذا حوارات هادفة وموضوعات قيمة وطرح راق، بينما هو في الواقع لا يمت إلى كل ذلك بصلة، فالصفات التي يرسمها على أرض المنتديات لا تتقاطع معه في أي نقطة، ففي الحوارات المباشرة صوته جهوري ويده تمتد قبل لسانه والحق معه وليس مع غيره، بل إن تلك الصورة الزاهية التي يظهر بها في المنتديات وكأنه شاب رقيق يتقافز بين الزهور، تجده في الطبيعة مقبل مدبر، عريض المنكبين والحنكين والرسغين بل عريض في كل

شيء. ولا أطيل الوصف لأنني أخشى أن تقولوا: سبحان الله وكأنه يصف (نسيم نجد).

في جانب آخر الأعضاء قد عرفوا (نسيم نجد) كاتباً فكيف هو متحدثاً، هل هو بنفس القدرة أو أقل أو أعلى، وبالفعل إن هذا الأمر ملفت للانتباه لرواد الشبكة ولقد قابلت من الأعضاءِ من يجيد الحديث في المجالس ويتمتع بجمال سرد القِصَص وحسن المنطق، بينما هو في عالم الكتابة يصعب عليه أن يجمع حرفين مع بعضهما، وإن جمعهما لا يستقيم لهما معنى، بل البعض قد أعطاه الله المخزون العظيم من الكلمات والمرادفات ولكن سبحان الله يشرق ويغرب ويغربل بالقراء من أجل أن يوصل فكرته، حتى يبدو أمهر من (الحبِشي) الذي سؤل عن أذنه فدل عليها من خلف رأسه، وليست هذه هي المشكلة بل المشكلة العظمى أن بعضهم وكأنه أخذ عليه العهد أن يأخذك بمتاهات من غريب الألفاظ ونشازها، حتى كأن قراءة سطوره حكم بالتعذيب الثقافي، ولقد قرأت بعض الموضوعات

وخرجت ويدي برأسي تجر شعري ولساني يولول من حالي، بعد أن ذهب بي الكاتب يمنة ويسرة في كلمات مرصوصة لا يربط بينها رابط إلا كونها على سطر واحد. فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به. وأحمد الله أن يعافيكم مما ابتلاني به إن كنت منهم أو ممن حولهم.

في اللقاء التلفزيوني كنت أتوقع أن الناس سوف يهتمون بمحتوى اللقاء والطرح المعروض خلال اللقاء فيتولد من بعده نقاش ثري، ولكن المفاجأة أن الاهتمام بالساعة التي لبستها – وقد كنت استلفتها من أخي– أهم من اللقاء برمته، ومن الغريب أن بعضهم أهتم بالشخصية أكثر من الشخص، وليس ذلك بغريب فحالنا دائماً أننا نبحث عن القشور قبل اللب، وأخشى أنهم لم يجدوا في هذه المقابلة لباً فلم يبق أمامهم إلا القشور يتأملونها حق التأمل.

كان اللقاء الفضائي الثاني عبر برنامج مستشارك السياحي في قناة (دليل) وعبر المذيع إسماعيل العمري، التقيت بالمذيع قبل بدء

البرنامج بدقائق، وبحكم أنه برنامج يومي كانت المحاورة ذهنية، ولم تكن مكتوبة لديه ونبهته إلى أن أي مداخله تتطلب الفتوى عن أحكام السفر فلن أجيب عليها فعلى المذيع أن يحيلها لبرنامج الفتاوى وكذلك نبهته أن المتصلين قد يستخدمون بعض المصطلحات الإنجليزية وقد تخفى علي وعلى المشاهد الكريم فلذا من الأفضل أن يتم الطلب من المتداخل أن يترجم أي مصطلح يذيعه، اللقاء كان قبل قدوم الصيف، فبدأ اللقاء بحوار حول السفر وكيفيته والطرق المثلى للاستعداد له، وانتهى بنصائح للمسافر وكيفية استغلال الوقت فيه، خرجت من اللقاء بعد أن قضيت ساعة كاملة في أستوديو القناة.

على صعيد آخر ألقيت محاضرتين عن السفر وتعريف بسيط بالكتاب، المحاضرة الأولى كانت في مركز الخضير الحضاري في محافظتي (محافظة البدائع)، وكان التوقيت سيئاً جداً فالمحاضرة كانت الساعة العاشرة صباحاً في أيام اختبارات النصف الثاني، حضرت

قبل الموعد وتفقدت المسرح، وأجهزة الصوت وجهاز العرض والمكان بشكل كامل، وعندما دقت ساعة الموعد لم يكن الحضور في القاعة التي تتسع لما يقارب خمسمائة شخص سوى خمسة وعشرون شخصاً لعل أكثرهم من نفس الإدارة المنظمة، قال لي المنظمون هل تريد أن نؤخر المحاضرة، أو نؤجلها، فقلت لهم لو حضر طفل رضيع من أجلي فلن ألغيها أو أؤجلها، فمن حضر تكريماً لنا فيجب أن نكرمه ونسعده بما لدينا، بدأت المحاضرة وكانت عبارة عن صور ومقتطفات لرحالة ورحلات يتخللها نقاط عن كيفية التخطيط السليم لمن يريد أن يصل إلى النهاية السليمة في سفره بحسب التخطيط الذي خطط له من قبل، المزج بين الصور واللقطات تعطي المحاضرات بعداً آخر، أحسست به أثناء المحاضرة، بعد أن انتهت المحاضرة فرحت جداً فقد كان الحضور هم من أساتذتي في مراحل التعليم المختلفة ولهم فضل بعد الله عليّ في أكثر من جانب، وفرحت أنهم طالبوني بالمزيد من المحاضرات على مدار السنة، كانت اللقاءات الفضائية قد كسرت الحاجز الإعلامي والمحاضرة من مثل هذه قد كسرت حاجز المواجهة

المباشرة، وفي تلكما التجربتين كنت فرحاً بخوضهما وتحقيق النتائج المناسبة التي فاقت عمر المرحلة التي كونتها.

وفي جانب آخر ومن أحد رحلات الخطوط السعودية تصلني رسالة من الأخ العزيز والصديق القريب الدكتور/يوسف بن عبدالله العريني يخبرني برسالته أن مجلة "أهلاً وسهلاً" التابعة للخطوط السعودية قد عرفت بالكتاب بما يقارب النصف صفحة، ويبارك هذه الإشادة، وبالفعل كان خبراً ساراً أن تشيد وتعرض مجلة تابعة لخطوط الطيران بالكتاب فهذه بنظري تعتبر شهادة وفي نفس الوقت دعاية غير مدفوعة الثمن.

في السنة الثانية للإصدار كان الاتصال في الصيف من قبل إذاعة الكويت وطلب لقاء حول الكتاب، عبر برنامج (خير صديق في الزمان كتاب)، فكان الحديث عن الإصدار السياحي والخطوات التي كتبتها والرأي في بعض الجوانب السياحية، وفي الحقيقة أن اللقاءات الإذاعية مختلفة بالكلية عن اللقاء التلفزيوني، فاللقاء تم عبر

الهاتف رغم تفضيل إذاعة الكويت أن يكون حضورياً، ولكن بعد المسافة لم يجعل هناك خيار آخر، واللقاء الإذاعي أسهل من اللقاء الفضائي، ولكنه أقل متعة للمتحدث فتعابير الوجه للضيف أو للمذيع غير ظاهرة وبالتالي الرسالة التي تود إيصالها قد تصل ولكن لن تكون بنفس القوة والتأثير.

واليوم نزل للمكتبات الكتاب الثالث، والذي أسأل الله أن يكون فيه خيراً للجميع وقد كان موجهاً للأمهات من أجل إيصال العواطف المختزنة في قلوبهن إلى فتياتهن، وسميته (بُنيتي لكِ حبي) وعنوان فرعي(٧٠٠ همسة ليصل عطف الأم لأبنتها)، الكتاب أيضاً هو نتاج بذرة المدونة وبذرة كتابات قديمة، زدت فيها حتى غدت بهذا العدد من الفقرات، وكل فقرة تتحدث عن مرحلة معينة من سن الفتيات، وبحمد الله ففي شهوره الأولى تم التعاقد مع بعض الجهات المهتمة بهذا الأمر بشراء مايزيد على ٨٠٠نسخة للتوزيع. كذلك

كان للعرض الذي قدمته صحيفة الجزيرة عبر الملحق الثقافي عن الكتاب أبلغ الأثر في نفسي وخطوة تفاءلت بها.

واليوم قبل نقطة الختام أضع كتابي الرابع (مذكرات مدمن إنترنت) والذي آمل أن يكون فيه الخير لكل من خاض تجربة الإدمان، وأن تكون الرسالة التي احتواها ذات قيمة مؤثرة لكل من تأثر بهذا العالم الخيالي، فهي مليئة بالجوانب السلبية والإيجابية، ولكن يبقى كيف نستفيد من جوانبها الإيجابية وكيف نقلل من الجوانب السلبية..يقول جبران خليل جبران:"ما أتعس مَن يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك". أخشى أن أكون "قد أعطيتكم من قلبي لآخذ من جيوبكم" بعكس ما أراد جبران..وحياة سعيدة أينما كنتم..

وسعدت برفقتكم في رحلتي محبكم/ نسيم نجد سابقاً سليمان الصقير حالياً

في الختام..

يقول برناردشو:"عندما تطالع سيرةً ما، تذكر أن الحقيقة دوماً غير قابلةٍ للنشر".

وصفة علاجية إنترنتية :

شخصية الكاتب:

- ارسم لنفسك شخصية واضحة، يتعرف عليها الأعضاء من خلال كتاباتك، وتكون دليلاً لشخصيتك.

- ارسم لك منهجاً للحياة، ولا تفرض هذا المنهج على الآخرين، ولكن اختر من الأعضاء من يقارب منهجك وطريقتك في الحياة، وتبادل معه الخبرات والاستشارات والحوارات.

- لكل عضو إمكانياته، ولكل عضو تميزه في جانب معين من جوانب الإبداع، أعرف إمكانياتك، تقدم بثقة ونافس بقوة، ولكن بلطف، واستفد ممن سبقوك في هذا المجال.

- للمنتديات قوانين قد تخالف آراءك، قبل أن توافق الانضمام لذلك المنتدى، أقرأها بمهل، وعندما تلمس زر الموافقة يجب أن تتقيد بها.

• أوامر الدين هي ركائز الحياة، ونور القلب، ومشعل الضياء في هذه الدنيا، وهي الأصل في هذه الحياة، وأنت مقياس نفسك، فعندما تحس أن هناك واجبات معطلة، أو سنن متروكة، أو انتهاكات شرعية، فيجب أن تقف مع نفسك وقفة تأمل، ويجب أن تعاود الحسابات، فوضعك قد ينذر بالخطر، وطريقك قد يؤدي إلى المهلكة، وأحرص أن لا تعود إليها، بل تجنب كل الطرق المؤدية إليها.

• عندما تشارك. ضع لنفسك أهدافاً تحقق لك وللقراء مكاسب عدة دينية ودنيوية، ففيها الفائدة ومنها الإفادة.

• لا تفتح الإنترنيت قبل الأذان بوقت يسير، أو قبل موعد النوم. فالإنترنت تسرق الوقت مما يفوت المصلحة.

• أجعل كفارة المجلس هي ختام أعمالك اليومية بالإنترنيت.

• اعلم أن معظم النار من مستصغر الشرر، وتذكر أن درهم وقاية خير من قنطار علاج، وإن السلامة لا يعدلها شيء. فالمنتديات التي فيها سباب للدين أو خروج من حماه أو تشكيك بالعقدة، فهي أشد فتكاً وضرراً من غيرها فلا تحاول أن تسجل فيها من أجل حب الاستطلاع أو من أجل الرد عليهم إن كنت لست ملماً بالعلم الشرعي، وذلك خشية أن تتشرب بفكرهم من حيث لا تدري.

• أحرص على المشاركة في المواضيع القيمة والتي تثري حصيلتك الثقافية وتعطي بعداً قيماً لشخصيتك.

• الأسماء الخاصة بالمشاركين قد تكون خادعة فليس اسم المؤنث يدل على أنثى، والعكس صحيح.

• الحذر من التواصل برقم الهاتف أو الاسم الحقيقي إلا عندما تتأكد من الطرف الآخر.

• الناس في الانترنيت لا يعبرون عن حالاتهم الحقيقة فقد يظهر الطيبة والعطف، ويخفي الدهاء والخبث، وقد يبدي الحب وقصده الغدر، وقد يبدي التواصل وقصده الوصول، وقد يكون في صورة منمقة جميلة تخفي خلفها وحش كاسر، فالحذر الحذر من الإنترنت فهي ليست مكاناً للعواطف الحقيقية.

• من السهل أن تتعلق بأي شيء قد يبدو لك من أول وهلة أنه جميل، ولكن من الصعب التخلص من مثل هذا الكابوس المخيف، فليكن المشارك واقعياً في تفكيره متزناً بتصرفاته.

• خلال استعمال الإنترنت. ضع المواقع التي يتم فيها بث آيات القرآن الكريم أو المواعظ حتى تغتنم الوقت فيما يفيد عند قضاء بعض أعمالك في المنتدى.

• في وسائل الشبكة يهرب المتابعون من المشاهد الإباحية ويخافونها ويخشون على أنفسهم منها، وهذا منبعه سلامة في الفطرة، ولكن يتساهل البعض منهم من المواقع التي تنشر البدعة أو تخدش العقيدة

وهذه أعظم وأثرها أكبر ونتيجتها أفدح، فلنبتعد عن جميع مايمس ديننا وفطرتنا.

كتابة الموضوعات:

• عندما تكتب في أي موضوع، حاول أن يصاغ بعيداً عن الاحتمالات التي قد تؤول على غير مقصدها.

• لنحاول أن نعزز من مشاركاتنا في الصفحات الإسلامية، فدعمها متوقف على مشاركاتنا، فلنلزم أنفسنا بمشاركة دورية في الصفحات الإسلامية وذلك حتى تزيد من رصيدنا في الآخرة، وليكن أقل ما نقدمه هو فتاوى أو مقالات منقولة أو أن ندل على مواقع إسلامية قيمة.

• دخولك فقط للمواقع الإسلامية يرفع من تصنيفها العالمي، فإذا كنت غير قادر على المشاركة فاجعل دخولك لرفع مكانة هذه المواقع هو دافعك الأهم.

• لا تنسلخ من الماضي، أربط هواياتك القديمة بهواياتك الجديدة، أعقد صفقات صداقة مع سابق عهدك فالماضي لا يجوز لأحد أن يتنازل عنه فمثلاً عندما تريد أن تكتب موضوعاً سياحياً عن بلد معين، ولك هواية قديمة هي القراءة، ألزم نفسك بالقراءة عن ذلك البلد، والإطلاع على بعض ثقافته وكتابه..وهكذا في كل مجال من مجالات الكتابة..فلا تتحرر من الهوايات القديمة وتقيد نفسك بهواية واحدة جديدة

• أطلع المشاركين في الشبكة على هواياتك قبل دخولك عالم الإنترنيت، وأجعل لمن له نفس الميول أن يشاركك تلك الهوايات، فيتحقق لكما أنكما تزيدان من خبرتكما ويطلع الآخرون على هواياتكما، ويحصل بذلك تجديد للعهد القديم.

• لا تكتب إلا مايسرك، وأجعل هناك هدفاً بعيداً تهدف إلى تحقيقه، وليكن هذا الهدف، إما فائدة دينية أو دنيوية، أو تقويم معوج أو تعديل سلوك في مجتمعك، أو نجاح شخصي، فهنا تكون قد أفدت

واستفدت، ومن المؤكد أن هذا العمل يرفع من همتك، ويزيد من حسناتك. فلا تكتب بلا هدف.

• قنن مشاركاتك في الشبكة وأجعل مبدأ الثواب والعقاب حاضراً عندما تُخترق لوائحك، فأوقف المشاركات أو قللها أو أكتب أي نظام يجعلك تلتزم بهذا المبدأ.

• احتسب الأجر، وأخلص النية، واجعل أعمالك في الشبكة لله خالصة، فيتحول الوقت المهدر إلى وقت ذي فائدة، فهنا وعبر الإنترنيت يمكنك أن تنال الأجر، وتزرع الخير، وتنشر الفضيلة، وتنمي الأخلاق الفاضلة، وقبل ذلك ترفع من مستوى الوعي في أمتك، كل ذلك كفيل أن يجعل عملك في صالح أعمالك.

• لا تفتح على نفسك جبهات، بل اكتب موضوعاً ثم تممه، ثم ابدأ بموضوع آخر.

• أعط كل موضوع حقه ثم اختمه بما يناسبه فالخاتمة المناسبة هي النهاية السعيدة التي يتذكرها القراء.

• كوسيلة لعلاج حالة الإدمان، من الممكن العمل من خلال مقاهي الإنترنت الراقية، فذلك يحدد الوقت اللازم للمكوث أمام الإنترنيت، فمقاهي الإنترنيت لها أوقات خاصة، وبالتالي يكون وقت البيت للبيت.

• أطلع من يعز عليك على مشاركاتك في الإنترنت، ولا تنس أغلى الناس لديك..أمك..فهذا كفيل أن يجيب على حالة التساؤل التي تحوم في نفوس من ابتعدت عنهم.

• احفظ مشاعر المشاركين معك في مواضيعك في قلبك، ولا تحفظها في عقلك، فإن ذلك كفيل أن يجعلك تفكر فيها في كل حين.

• نظم أوقاتك خلال المشاركة في الإنترنت،فاجعل أوقتاً للردود، وأوقتاً لكتابة المواضيع، وأوقتاً لقراءة مواضيع الأعضاء، ووقتاً للرسائل الخاصة..وهكذا..

• أجعل الكتابة في الإنترنت خطوة أولى لخطوات أكثر اتساعاً، لتكن كتاباتك في الإنترنت هي فهرس كتابات قيمة تثري بها المكتبات العامة في المستقبل.

• يعيب بعضنا عند الكتابة في الإنترنت أنهم لا يقومون بالبحث العلمي العميق للموضوع المراد طرحه، فالبعض يطرح الموضوع مباشرة حالما يطرأ الموضوع في ذهنه، فلا هو بحث عن مصادر، ولا أجرى تنقيباً عن ذلك الموضوع كاملاً كي يخرج بحثاً ثرياً.

• اتبع دائماً المنتديات التي ترى أنها تضم نخبة من المثقفين والكتاب، فذلك حري أن يزيد من ثقافتك وينمي مواهبك.

• اختر الجلسة الصحية التي تعينك على العمل بالإنترنيت بشكل سهل، واعلم أن الجلسة الخاطئة تؤثر بالجسم ولو بعد حين.

• لا تعش بلا هدف، ولا يكن هدفك بلا معنى، لا تهتم بعدد المشاركات أو بوضع موضوع فقط، بل لا يلزم أن تشارك كثيراً وعندما تشارك كن مميزاً.

• لا تجعل نفسك بمحل مقارنة مع الآخرين، فإنك بذلك تحمل نفسك مالا تطيق فإن لكل إنسان طاقته ومواهبه، فيجب أن يسخرها بحدودها وإمكانياتها.

• يمكن كتابة الموضوعات والردود في أماكن عدم توفر الإنترنيت عبر برامج الكتابة مثل (الوورد) في الكمبيوتر المحمول. فهذه الطريق تعطيك حرية أكثر في التنقل والكتابة والردود في أي مكان.

• عندما تلمع في ذهنك فكرة مميزة لموضوع معين، لا تسجلها ذهنياً بل قيدها في أقرب وقت فالأفكار تأتي سريعاً وتغادر سريعاً.

- يضيع الكثير من الوقت في المنتديات بالتوسع بعلاقاتنا مع الأعضاء، وهذا حسنٌ ولكن الوقت يمضي بمثل هذه العلاقات، فالمناسبات السعيدة والتعيسة يجب أن تقدر بقدرها، لذا يحسن عمل بطاقات خاصة للمناسبات العامة مثل: التهنئة بمولود – التهنئة بقدوم عضو من السفر – التهنئة بالشفاء من السقم – التعزية، وهكذا بحيث لا يضيع الوقت بكتابة رد خاص لكل فرد، فعندما تمر أحد هذه المناسبات لأحد الأعضاء الأعزاء،فتقوم بنسخها وتقديمها، واحرص أن تكون مميزة.

- فتح مواضيع بعدد يوافق الوقت الذي تملكه للإنترنت، بحيث لا تفتح أكثر من جبهة للعمل فمتابعة المواضيع وكتابة الحلقات والردود على القراء تحتاج إلى الوقت الكثير.

- تقنين التصفح المباشر، من الممكن قراءة المواضيع التي تعجبك بدون اتصال، وذلك بتخزينها وتصفحها في أوقات الفراغ التي لا

تملك فيها خط اشتراك مثل أوقات الفراغ أو لانتظار في أماكن عامة وهكذا.

- لا ترد على كل عضو برد مستقل، فذلك يقتل الوقت اجعل كل مجموعة من الردود لهم رداً واحداً، ولكل عضو في هذا الرد رداً يخصه.

- اجمع مجموعة من الردود في مواضيعك في رد واحد، فلكل عشر ردود مثلاً، رداً واحداً، ولكن يجب أن يصاغ هذا الرد بشكل جميل يناسب هذا الجمع.

- الذي لاحظته أن أغلب وقت الإنترنت ينقضي ليس بالكتابة والمشاركة، وليس بالقراءة والاستفادة، بل بتتبع الصفحات والتنقل من مكان إلى مكان. لذا لا توسعن دائرة بحثك فالإنترنت لها أول وليس لها آخر.

• أحرص أن لا تشارك في مجموعات بريدية كثيرة، فهؤلاء سوف يمطرونك بالرسائل صباح مساء، ولكن أنتق لك المناسب من المجموعات وأشترك بها.

• تولد في العالم إدمان آخر غير إدمان الإنترنت وهو إدمان الأجهزة المحمولة ببرامجها، وهذا أعظم فمدمن هذا النوع لا يعمل على الشبكة بل يعمل على البرامج التي لديه في جهازه كبرامج التصاميم الرسومية أو برامج المونتاج الخاصة بالفيديو أو برامج الفلاشات، أو برامج العروض، وغيرها من البرامج، وهذا عالم آخر يستحق التوقف والتفكر، لأن البرامج كل يوم تصدر إصداراً جديداً يحتاج إلى تعلم ومتابعة، فالحذر من هذا النوع من الإدمان.

• أيضاً هناك جانب آخر من جوانب الإدمان وهو إدمان التصميم والبرمجة الخاصة بالمواقع على الشبكة وهذا أشد فتكاً، فالمدمن يعيش عزلة أكثر من غيره، ويتطلب هذا الأمر تفكيراً وجهداً لا يقارن بالمشاركة بالموضوعات. فلنكن على حذر حتى من هذا النوع من الإدمان، وعندما نحس أننا بدأنا نتوسع في خطواتنا الخاصة بتصميم

البرامج فيمكن الاستعانة بفريق عمل يدعمون مسيرتنا ويخففون الحمل عنا.

• هناك إدمان صوتي أو كتابي وهو إدمان غرف المحادثات وهذه الغرف تنتشر وتتوسع وفيها من الجدال الكثير واللغط العظيم، ليس هذا على وجه العموم ولكنه ظاهرة تستحق الوقوف والتأمل.

• اكتب الردود التي لا تحتاج إلى تركيز في أوقات ميتة، مثلاً وأنت تتناول القهوة أو تلاعب أطفالك..وهكذا..

• يمكن متابعة المشاركات الجديدة على موضوعاتك من خلال البريد الإلكتروني، فهذه وسيلة أفضل من أن تدخل الانترنيت فتبحر في عالم آخر.

• خير الكلام ما قل ودل، اجعل هذه المقولة نصب عينيك، فالقارئ حريص على تلقي المعلومة التي تفيده، فهذا يختصر الوقت لديك ويفيد القارئ.

• عندما يشاركك الأعضاء في المواضيع تأكد أنهم بحاجة لأن تشاركهم مواضيعهم، فشاركهم بحدود، وبادلهم النصح والإرشاد والتوجيه، ولكن لا تنسق لكل نداء، فرضى الناس غاية لا تدرك، بل اجعل لك خطاً تسير عليه ومنهجاً يعرفك الجميع به.

• المشاركة تأخذ الكثير من الوقت، لذا قنن مشاركاتك في مواضيع الأعضاء في أولها، ولا تهتم بمتابعة أي موضوع بأكثر من ذلك، إلا إذا كان الموضوع يتطلب منك أن تتابع كل الردود الواردة عليه من بعد مشاركتك.

• ليست كل الردود تحتاج إلى التنسيق الكامل لها، فهناك بعض المواضيع من الممكن أن تكتب بواسطة الردود السريعة.

• أجعل بين كل موضوع وآخر فترة، فترة استراحة المحارب تجدد فيها نشاطك ويتجدد إبداعك عند الانطلاق مرة أخرى، وتتابع ما يدور في المنتدى من المواضيع فالأعضاء بحاجة إلى من يتابعهم ويشجعهم.

• نداءات القراء بالكتابة مستمرة وحبهم لك يجعلهم يطالبونك يومياً بالمواصلة، لكن يجب أن يعتادوا على طريقتك في الكتابة وبرنامجك الكتابي.

• اجعل أول ما تتصفحه الصفحة الخاصة بجميع مواضيعك التي كتبتها. حتى لا تضطر للتنقل بين البوابات فيضيع الوقت.

• الرسائل الخاصة لا يرسلها إلا إنسان يحمل لك محبة في قلبه. أجعلها من أولوياتك وأعطها اهتمامك ولا تؤخرها عن وقتها. واعلم أن قيمة الرسالة بما تحمله من المشاعر لا بما تحمله من كثرة العبارات. ولكن احذر أن لا تغادر الرسالة بدون الرد عليها، فهذا جهد آخر يحتاج إلى رجعة إلى الرسالة مرة أخرى.

• إذا كنت لا تريد أن تكتب كثيراً على الإنترنيت. فلك أن تكتب مواضيعك في وقت فراغك على ورقة وتعطيها الناسخ ليطبعها ولو بالأجر، فأنت تشتري وقتك الذي هو عمرك ببعض الأموال.

• زر غباً تزدد حباً، شعار طبقه في المنتديات حتى لا تصاب بالملل، ولا يصاب المشاركون منك بالملل.

• في الردود على المواضيع اختر الكلمات ذات المعاني الواضحة التي لا تحتمل التأويل، ولا تدخل في المهاترات، ولا تحمل الكلمات ما لا تحتمل، فذلك كفيل بأن يزيد الضغينة في القلوب، ويذهب الوقت فيما لا يفيد.

• يجب أن نعيد مراجعاتنا في الردود على الأعضاء أكثر من مرة، خاصة عندما يكون العضو من الجنس الآخر.

• يجب أن نشارك بعقلانية فلا إفراط ولا تفريط.

- اعلم أن الأعضاء يحملون أفكاراً مختلفة، ونفسيات متفرقة فاجعل ردودك متزنة، فأنت في مكان عام، ومع أشخاص لا تعرفهم، فمن الممكن أن تبني لمدة سنة وتحبط بنائك بكلمة غير مقصودة.

- الصمت في بعض المواقف حكمة فاجعله دائماً نصب عينيك.

- عندما نجد أنفسنا أننا جانبنا الصواب بأي شكل من الأشكال،فلنعمل على حذف الرد عن طريق المسئولين، ومن ثم نبادر بإرسال رسالة خاصة لمن أخطأنا بحقه.

- اختر الرد المناسب ولا تخرج عن صلب الموضوع، فأنت بخروجك عن الموضوع تبدد جهد كاتبه، وتخرج بموضوعه عن مساره الذي يريد.

- احذر الرسائل مجهولة المصدر في البريد الإلكتروني فقد تدعو إلى مالا يليق. أو تهدف من ورائها التجسس والاختراق.

النقد والتوجه والردود والحوارات:

- عندما نوجه النقد والنصح علينا أن نلمح ولا نصرح، علينا أن نوضح ولا نجرح، أن يكون الدواء بقدر الداء.

- عليك أن تستخدم في كتابة المواضيع النقدية أو التصحيحية كلمات تدل على البعض والجزء وليس على الكل، وأن لا تعمم، بل تستخدم الكلمات التي تحدد فئة بدل الكل، مثل كلمة – بعض الناس، بدل كل الناس، أو تدل على النفس بدل أن تدل على الغير مثل نحن بدلاً عن هو، وهكذا ...

- لكي تنقد موضوعاً، يجب أن تقرأ الموضوع أكثر من مرة، لتستبين نقاط النقد فيه.

- من الممكن أن تستشير أصحاب الرأي إذا أردت أن توجه نقدك.

- ركز في نقدك على نقاط الخلل، ولا تركز على كاتب الموضوع.

• إذا كان هناك من تخالفه الرأي، أو ترى أنه مخالف في أي جانب من الجوانب التي لا تحتمل الصمت عليه، فيجب أن تطرح رأيك على صاحب الموضوع عبر (رسائل الخاص) قبل أن تقدم له النصح فقد يكون فهمك الخاطئ هو المسبب لذلك الخطأ.

• يجب أن تطالع مواضيع من تريد الرد عليه، خاصة إذا كنت لا تعرفه بالقدر الكافي، وذلك حتى تلتمس اقرب الطرق إلى قلبه.

• مواطن النقد ثلاث: مخالفات شرعية – مخالفات اجتماعية – اختلافات شخصية ولكل موطن أسلوب تصحيحي.

• إذا كان موطن النقد مخالفة شرعية. فعليك أن تطلب من صاحب الموضوع، وعبر رسالة رقيقة هي أقرب للعطف من النقد على استيضاح بعض النقاط إن أمكن، وتبين له أن هذه النقاط قد تكون في موطن المخالفات الشرعية.

• إذا كانت مخالفة اجتماعية أو عادات محلية، فعلينا أن نتفهم أن المنتديات ليست حكراً على بلد معين، أو مكان معين بل إن الشبكة تجمع العالم من أطرافه وتجعله في قرية واحدة، لذا للجميع الحرية بطرح وجهات النظر الغير مخالفة للشرع.

• أما الخلاف في وجهات النظر، فهذه يكون حلها في الحوار المتبادل، وبغية التوصل إلى نقاط الالتقاء، والتزود فيه الحوار من فكر الآخرين والاستنارة بعلمهم ومعارفهم.

• يجب أن نتعلم لغة الحوار، وأن نتمرس على نقد الذات وتقبل الأطراف الأخرى وأن نعرف كيف نقدم النقد البناء، فنقدم النوايا الحسنة إذا أردنا الحوار، بل إن المنتديات من أفضل الأماكن لتعلمها.

• إذا رأيت أي حوار يدور بين عضوين، فيحسن أن لا تدخل بينهما حتى يتم دعوتك لذلك.

- كن وسيط خير إذا رأيت سوء تفاهم بين المتحاورين، وليكن التوفيق بينهما على رسائل الخاص، فذلك أجدى، وأحرى أن تصل رسالتك إلى القلوب.

- عندما تريد أن تغير خطأ، تأكد من الخطأ، استخر، استشر وادع الله بالتوفيق.

- عندما تريد أن تغير خطأ ليكن قلبك على الكاتب وعينك على القارئ.

- إلتمس لأخيك ألف عذر إن رأيت أنه قد أخطأ.

- عندما تريد أن تغير خطأ، ليكن عندنا ميزان نوازن به المصالح والمفاسد من الرد.

- عندما تجد من الرد عليك قاسياً، فلك أن توضح الحق وبغض النظر عن الردود الجانبية التي تركز على شخصك، وليكن هدفك إظهار الحق وإن أخطأ الناس في حقك.

- وعندما تجد من الرد عليك قاسياً، فلك أن تراسله، على الخاص فهي أفضل وسيلة لتصفية القلوب.

- عند تجد من الرد عليك قاسياً، استحضر الحكمة، فقد يكون من الحكمة أن لا ترد.

- عندما تجد من الرد عليك قاسياً، استهل الرد عليه بذكر أفضاله، ثم اعرض عليه موقفك، ثم اختمها بالدعاء له.

- للحق مئات الصور التي يمكن أن نظهره بها، وللحق آلاف الصور التي يمكن أن نقتله بها، وبحسن نية. فأحذر أن تكون أنت القاتل.

• لا تجامل في ردودك، ولا تتحامل فيها على من ترد عليه، أو تبتعد عن اللباقة في الرد؛ بل تذكر الاتزان دائماً.

• ضع أمام عينيك أثناء الرد أمرين، الحكمة والاتزان قبل كتابة الرد، والحكمة وقبول الحق بعد الرد.

• لكل منتدى طريقته الخاصة وخصوصيته، فإذا كنت تشارك في أكثر من منتدى، حافظ على خصوصيات كل منتدى على حده.

• عندما تدخل في نقاش حاد، فلك أن تعطي نفسك إجازة مؤقتة تسترجع فيها أنفاسك، وتبتعد عن الضغط النفسي، تراجع فيها حساباتك، وتتأمل مواقفك، فقد تجد مع الوقت أنك مخطئ.

• الاعتذار، كلمة صعبة على بعض النفوس لكن من ذاق حلاوتها، وتعلم النطق بها، فسوف يجدها المخطئ أفضل وأقرب الحلول إلى نفسه، بل هي أسرع الحلول، فلكم ملأت قلباً مبغضاً بصاف من الحب، فتعلمها، تذكرها، تعود عليها، فستجد حلاوتها في الحال.

- صفاء النفس ونسيان الأخطاء،حُلة يلبسها الكرماء وصفاء قلبي يظهر على وجوههم، وتاج يفخرون به بين الأقران، وجنة تسعد بها أنفسهم، فتكتسي وجوهم بالنقاء والوفاء والصفاء. فاليكن لديك ذاكرة قابلة للمسح، فمن يخطئ بحقك اليوم التمس له العذر من غدٍ.

- في المنتديات كن مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر.

- إذا أردت أن تقدم النصح فجانب حظوظ النفس، واجعله من القلب إلى القلب، واقرنه بالدعاء، وأرسله في خفاء، فإن ذلك أدعى للإجابة، فهل تريد غير ذلك فأنا أعلم أن هذا هو مبتغاك، فهل نحن بحاجة إلى أن نختار الطرق الأخرى.

التعامل مع الأعضاء:

• أعضاء الشبكة هم من البشر الذين يتعرضون لضغوطات الحياة، فتتغير نفسيتهم تبعاً لذلك، كن يقضاً لتلك النقطة في تعاملاتك معهم، فليس من كان بالأمس صافي الذهن تجده اليوم كذلك.

• أيضاً..تذكر بأن الردود التي تناسب الرجال قد لا تناسب النساء، فهن أرق قلوباً، وأسرع تأثراً بالمجابهة المباشرة، هي أختك فاختر لأختك ما يناسبها.

• ملاطفة الأعضاء لها ذات كبيرة لرفع الكلفة بينهم، لكن كن على حذر فليس كل الناس يقبل ذلك، وليس كل الأوقات مناسبة لهذا الفعل.

الأسرة والإنترنت:

• لنعلم أن حياة الناس مقسمة إلى ثلاثة أقسام، ثلثٌ للنوم والأكل، وثلثٌ للعمل، والثلث لبقية متطلبات الحياة، وهذه الأثلاث هي بمعدل ثمان ساعات يومياً تقريباً، فلك أن تقسم هذه الثماني ساعات بين أشياء كثيرة جداً، بعضها واجب القيام به، وبعضها يتم

عمله بحسب القدرة. ومن الأشياء التي يجب أن تقوم بها في وقتها ولا تحتمل التأخير الواجبات الدينية، ومن ثم حاجيات العائلة والبيت، ومجالسة الأزواج والزوجات وتربية ومداعبة الأولاد والعلاقات الاجتماعية وممارسة وتنمية الهوايات. فلو نظرنا إلى كثرة هذه المتطلبات وقلة الوقت لهالنا الموقف، إذاً لن ينجح في اجتياز هذه الصعاب إلا من، قسم وقته، وجهده، ورتب أمره، لذا يجب علينا في كل أمر من أمورنا أن نحدد مقدار الوقت الصافي المخصص للهوايات عن غيرها.

• التربية هي بحقيقة الأمر زراعة، زراعة للمبادئ والقيم السامية، وهي ليست محصورة في مكان معين أو زمان محدد، فلك أن تُعلم أبناءك في كل مكان، فقد ولت سني التلقين، التي يقف فيه الابن ليسمع سلسلة من التوجيهات المباشرة من ولي أمره، بل نوع في أساليبك ومصادرك واجعلها في كل مكان:على سفرة الطعام أو في السيارة أو أثناء عملك على الإنترنيت، اجعل أبناءك في جانبك أثناء التصفح، علمهم بعض الأخلاق السامية، اجعلهم يشاهدون بعض المشاهدات التي تناسبهم في الإنترنيت، مازحهم وأنت تشارك، أظهر

لهم لقطات جميلة، أظهر لهم لقطات تحث على مكارم الأخلاق، أجعل هواياتك مصدراً لتتعلم أنت وأبناؤك.

• أختر قصة من الإنترنت، تريد أن تقرأها، اجعلها قصة لما قبل النوم لأبنائك، اجعلهم يسمعون وأنت تقرأ، فهنا تحصل على شيئين أن تطالع موضوعاً جديد، وأن تنهي يوماً جميلاً مع أبنائك، فتوسع من مداركهم وتفتح لهم نافذة جديدة على العالم.

• تصفح مع أبنائك موضوعاً جديداً تعشقونه سوياً، فيكون مكافئة لهم لإنهاء واجباتهم المدرسية اليومية.

• نظم بعض المسابقات التي تعتمد على البحث من خلال الإنترنت، وسوف يعزز عند أبنائك حب البحث عن المعرفة ويضعهم أمام مشكلة تبحث لها عن حل فنجاحهم بحلها يعتبرونه نصراً لأنفسهم، واستفادة من الشبكة في زيادة معارفهم وتوسيع مداركهم.

• ليكن هناك اختيار منك لبعض السمعيات أو المرئيات من الشبكة مثل أشرطة المحاضرات والأناشيد والألعاب، وقدمها هدية لأبنائك، فلسوف يرسخ هذا العمل فهماً في أذهانهم أن الإنترنيت مصدر جميل لكل مفيد.

• انتهت الرقابة المباشرة على الأبناء في هذا الزمان، وحل محلها التحصين الذاتي، نمّ في أنفسهم حب الخير، وأزرع فيهم كره كل مافيه شر، علمهم أن العالم أصبح قرية واحدة عبر وسائل الاتصالات الحديثة بخيرها وشرها، وأن الإنسان في هذا الزمان ليس عليه رقيب، أما المسلم فالرقيب معه في كل وقت وحين، إنه رب العالمين–سبحانه وتعالى–.

• في الإنترنيت وأجهزة الحاسوب هناك الكثير من الوسائل في تنمية هوايات الأبناء لذا دعهم يتواصلون مع هواياتهم عبر هذه الوسيلة مثل (الرسم، والقراءة، والكتابة، والسماع والمشاهدة، وحب الاستكشاف، والتعلم)، ومع العلم أن هذه الهوايات التي لا تحمل

بينها المشقة أو الحركة، لذا لا تنس أن تنمي هواياتهم الرياضية أيضاً. ففيها صحة للبدن ونشاط للجسم وتنمية حب العمل الجماعي.

• لا نخلط بين العمل والهوايات، فعندما نكون على الإنترنيت، فلا ينبغي لنا أن نغلق على أنفسنا الأبواب، أو نتجنب الاختلاط مع أفراد أسرتنا، أو نعتزل اجتماعاتهم، ولا تجعل اجتناب المشاركات أو أنشطة المنتديات كالواجبات، بل اجعلها بين أبنائك ووسط أسرتك،ولتكن قاعدتك القيام مع القدرة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

• هناك منتديات للأطفال فمن الممكن أن تجعل أطفالك يشاركونك اهتماماتك. وجه الدعوة لهم من أجل أن يشاركوا ويرسموا إبداعاتهم، بل هناك مواقع لكتابة القصص الخاصة بالطفل فعندما يشاركون فيها فسوف يكتشفون أنفسهم. وكذلك الفائدة من هذا الأمر أن يعي الطفل الفائدة من الشبكة ويفهم ما الذي تعمله من خلالها فيعي أنها تحتوي على مواقع مفيدة.

• لا تكن شجره ثمارها في غير بيتها، أحسن إلى الناس، ولكن لا تنس أن الأقربين أولى بالمعروف، فاحتسب الخير في بيتك ومنتداك.

• رتب أوقاتك تسعد في حياتك، وليكن ترتيبك لها قاعدتك في كافة جوانب الحياة، ومع الإنترنيت أوجب.

• اجعل يوماً محدداً في الأسبوع لإصلاحات البيت، ولا تقدم الإنترنيت على المتطلبات الضرورية للبيت، بل اقطع جميع الأعمال في الإنترنيت وبادر بالإصلاحات، فهنا الفائدة عظيمة، حتى لا يشعر أي من الزوجين بتقديم الإنترنيت على عشهما ومكان سعادتهما.

• لا تثبت في وضع واحد خلال عملك على الإنترنيت، بل قم وأذهب وشاهد أبنائك، وتابع أسرتك. فذلك فيه التقليل من وقت الفقدان، وفيه تنشيط الجسم على متابعة العمل.

• إذا كنت مدمناً للنت، لا تجعل الإنترنيت في كل مكان، اجعله في مكان محدد شارك، ثم ارجع وشارك أسرتك الحياة.

• من المواقع التي تهتم بالمرأة في الإنترنيت، اختر أجمل موضوع يهتم بالبيت أو الطبخ وقدمه هدية لزوجتك. ثم دلها على ذلك الموقع لتحببها في الإنترنيت ولتعيَ أن بين صفحاته أشياء كثيرة مفيدة، مع مراعاة أن الموضوع يحمل جوانب جميلة.

• اجعل بحثك والتخطيط لسفرك عن طريق الإنترنيت، اختر مع زوجك عبر الإنترنت وجهة السفر والمكان المناسب للسكن والأماكن المميزة للتمشية، فعندما تسافران ويجد الطرف الآخر كل المعلومات متوفرة وكل الأماكن محجوزة، فلا بد أن يقتنع بأهمية هذا الشيء الجديد في الحياة العصرية.

• لا تنقل هموم (نتك) إلى بيتك، فليس عليهم أن يحملوا همهم وهم غيرهم، أجعلهم يشعرون أنك لهم فقط. وليس هناك ما يعكر صفوك معهم.

- اختر هدية من أحد محلات البيع عبر الإنترنيت تناسب زوجتك ثم أشترها وأرسلها لها بالبريد السريع، وقل لها إن وقتي الذي أمضيه أمام الإنترنيت لا ينسيني زوجتي العزيزة. (وللزوج بالمثل)

- إذا كنت من كتاب الإنترنت. فأشرك الطرف الأخر في أمرك واجعله يتفاعل مع ميولك، دعه يشاهد كتاباتك، يطالع مدى تقدير المشاركين لك، وحماسهم معك.

- ليهيب أحد الزوجين أن يكتب بعض الردود والمشاركات باسم الآخر.

- ابحث عن ميول الطرف الآخر، واختر أجمل المواقع التي تتحدث عن هذا الميول وأطبعها وقدمها له مع هدية بسيطة.

• اختر مواقع توافق ميول الطرف الآخر، وسجل له اسماً مستخدماً وكلمة مرور، فقدم له الموقع لتصفحه فإن أعجبه فقدم التسجيل باسم مستخدم مناسب هدية له.

• في الحياة تمر بعض المصاعب التي لا نجد لها حلولاً، وهي كذلك موجودة في الحياة الزوجية، ابحث عن بعض الحلول للمشاكل الأسرية في الشبكة العنكبوتيه وقدمها كخيار مقترح لمشكلة عرضت لكما وتحتاران في حلها.

• تذكر دائماً الاعتدال في كل شيء، لا تجعل حديثك عن موقعك المفضل، أو هواياتك المفضلة، هي التي تأخذ الحيز الأكبر من حياتكما.

• اختر الأوقات المناسبة للعمل على الإنترنيت، وليكن أوقات انشغال الطرف الآخر بهواياته، أو بمتطلباته اليومية أو وقت خروجه هو الوقت الأفضل للعمل عليه.

• عندما يكون هناك أمر يشغل تفكير الطرف الآخر، فارم كل ما في يدك وأقبل عليه بسمعك وبصرك وقلبك، لا تدعه يشعر أنك تقدم الإنترنيت على مشاغله أو همومه أو أحزانه.

• أشرك من حولك باهتماماتك بأسلوب جذاب، وذلك بذكرك إياهم في مواضيعك وإبداء مواقفهم الجميلة عبر مواضيعك (الإنترنيتيه)، فذلك قد يخفف ألم بعدك عنهم، وقد يجعلهم شركاء في النجاح معك، أعطهم بعض وقتك، لتريهم المواضيع وردود القراء، أكتب مواضيع تخصهم وتبرز الجوانب الإيجابية فيهم، حتى تكون هذه المواضيع دافعاً لهم لقراءتها، وتشجيع الجوانب الإيجابية لديهم.

• لا ترفض أي عمل من متطلبات الحياة، أو من متطلبات الأسرة، أو الأبناء من اجل الإنترنيت، فأنت بذلك العمل تقتل حبهم وتزرع في نفوسهم الكره لهواياتك.

• عندما يحين وقت وجبات الطعام أجّل جميع الأعمال، واذهب حيث تلتقي الأسرة على وجبات الطعام اليومية، لا تجعلهم ينتظرون فيملون فيكرهون.

• عندما يلاعبك أبناؤك أو يضاحكونك وأنت مشغول بالإنترنيت، لا تزجرهم ولا تنهرهم بل دع الإنترنيت، واذهب معهم في لعبهم وشاركهم.

• عند المشاركة في المنتديات اختر لك توقيعاً واسما مناسباً يبعد عنك أصحاب النفوس الضعيفة. فمثلا : اسم فتاة الإسلام يقرب إليك الأخوات الصالحات وأين منه اسم: فتاة الحب مثلاً، واسم: فتى الدين لا يقارن باسم: العاشق، وهكذا.

• عند الخوف من طرق الغواية لتكن المشاركات في منتديات معينة وليطلع عليه الأهل والأقارب حتى يكون عليك رقيب خارجي تستفيد من توجيهاته ويعصمك من الخطأ بإذن الله تعالى.

• تعلم طرق الكتابة السريعة على لوحة المفاتيح فهي تقلل من الوقت المصروف في كتابة الموضوعات.

• إن كنت من الأعضاء المشغولين، فلا تقبل أن تعمل في الأشراف على البوابات فالبوابات تتطلب عملاً دءوباً، وجهداً مضاعفاً، لا تجامل في هذا الأمر وارفض منذ البداية ولا توافق لئلا تخفق في أمر إدارة صفحتك التي وكلت بها.

في الختام..

يقول برناردشو:"عندما تطالع سيرةً ما، تذكر أن الحقيقة دوماً غير قابلةٍ للنشر".

استفدت من الكتب التالية في الحكم و الأمثال والأقوال :

١- كتاب لا تحزن للشيخ الدكتور عائض القرني

٢- ما قل ودل للمؤلف قاسم عاشور

٣- أقوال في الإدارة للمؤلف إبراهيم عبدالله المنيف

٤- متعة الحديث ١-٢ للمؤلف عبدالله الداوود

مذكرات

مدمن

انترنت

رحلتي في عالم الإنترنت و كيفية تأثيرها على حياتي في الجانب السلبي و الجانب الأيجابي و هي كمذكرات أو سيرة عن حياة مدمن للشبكة سوف أكتب من بداية تعرفي على المواقع و الكتابة فيها إلى أن إنتهى بي المطاف في التأليف..و المقصود من الكتاب أن يتم نقل الجانب الآخر الخفي لمدمن الأنترنت و كيف يعيش حياته و كيف تؤثر عليه في يومياته و مع اسرته و على عمله و في جانب آخر كيف تؤثر في شخصيته و تغير فيه في الجانب الحسن و كيف من الممكن أن يجد فيها أرض خصبة لبذرة قد تكون ذات شأن في جانب معين..